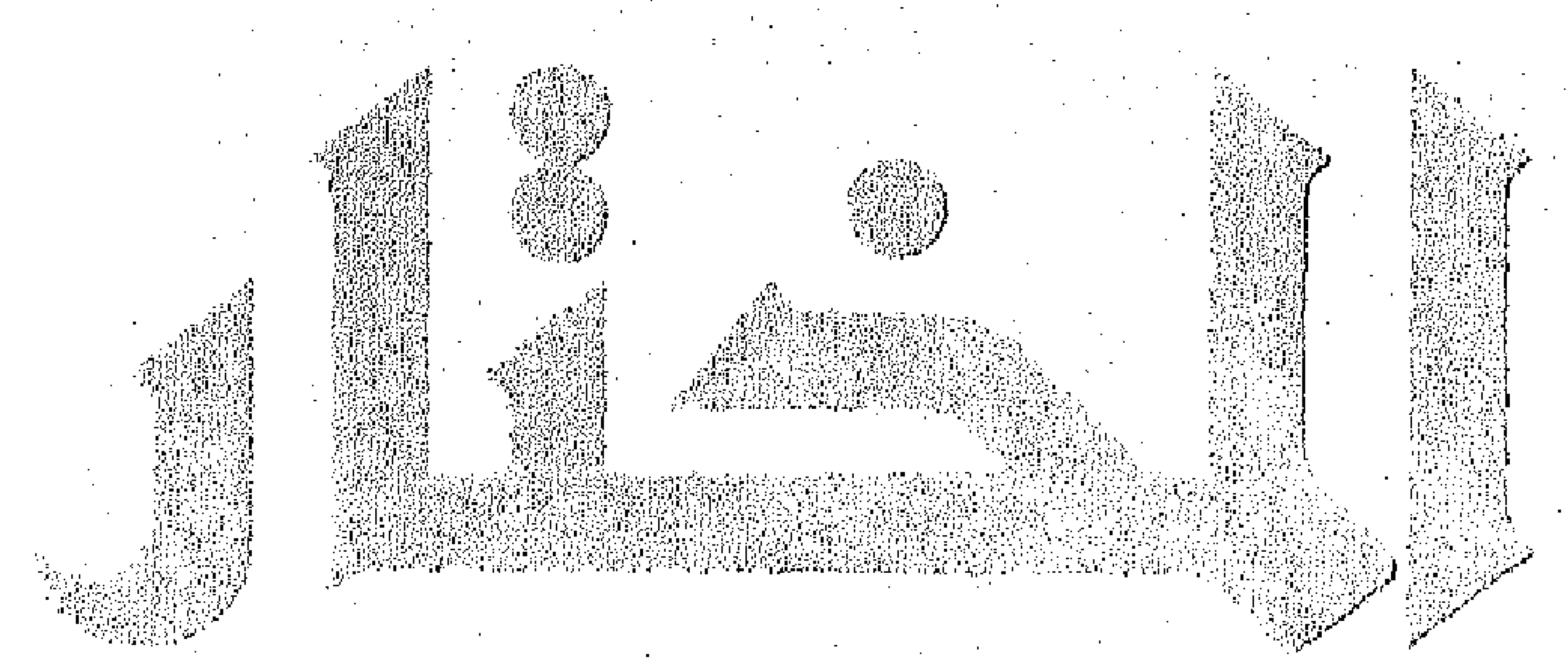
اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١ - ربيع الثاني ١٤١٢



AL MUKHTAR min Reader's Digest October '91 N° 155

أوسع المجلات انتشارًا في العالم

خلفيات الدور الألماني في العراق

(ص ١٣)

الحرب ضد الايدز: كل شريك خفير!

(ص ١٨)

الكرش قنبلة في البطن

(ص ٧٧)

التعب المزمن مرض العصر

(ص ٧)



مجـلة شهـريّـة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575
Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

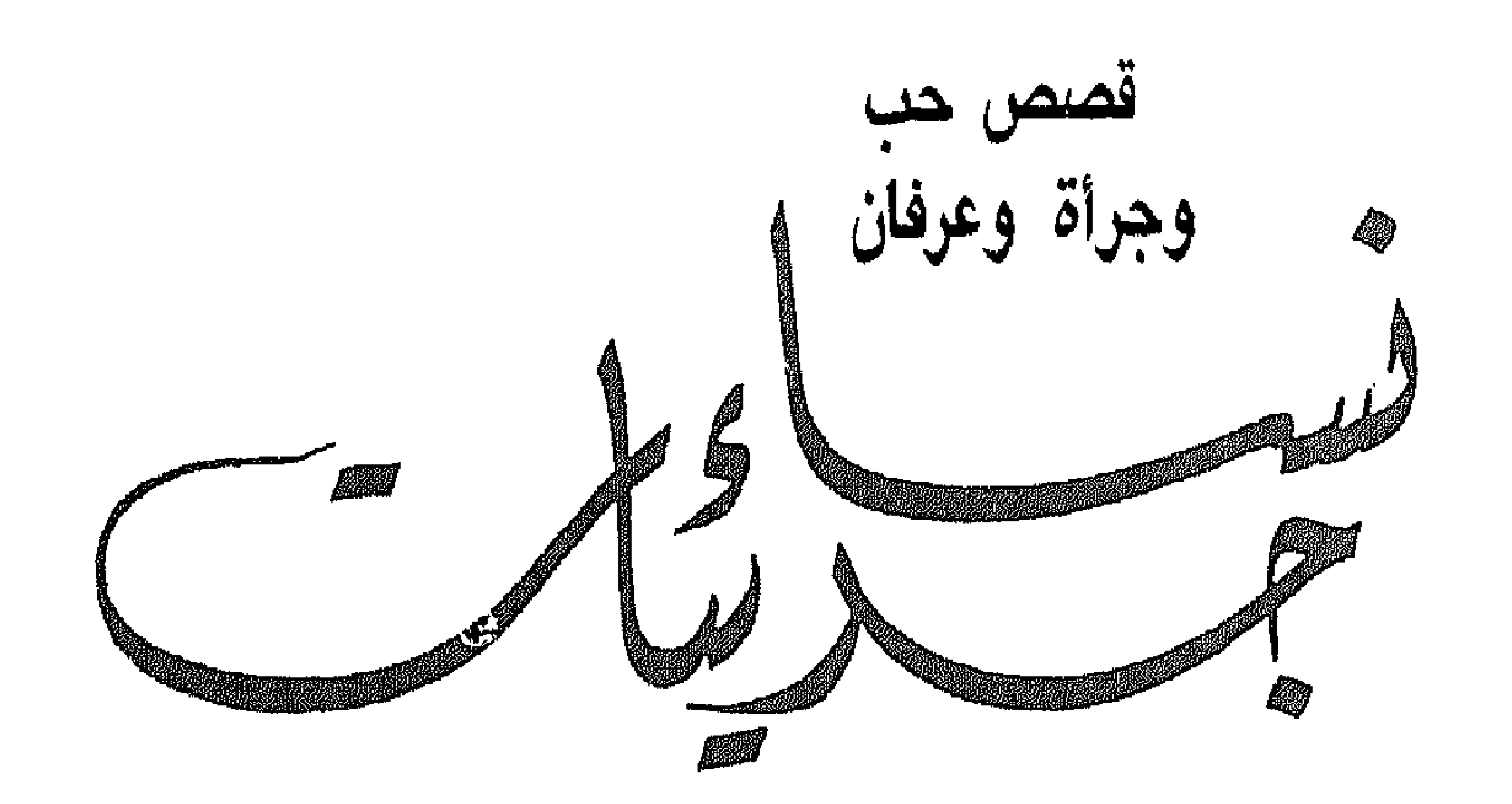
October '91 N° 155 (New Series) Vol. 13

ريـدرز دايجسـت
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدوليّة

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانيه) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية، والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والكورية والهندية، الى العربية وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة

نان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٩ر - البحرين ٩٠٠ف
سعودية ١٢ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ١٥ ر - مسقط ٩٠٠ ب - قبرص ١ ج
نس ٧٠٠م - المغرب ٨د - الجزائر ٧د - انكلترا ١ج - اليونان ٢٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د



"لا حب أعظم"

لا أظنكم سمعتم بجمعية "لا حب أعظم." وقليلة هي المؤسسات التي تتمتع بقوة وتأثير كبيرين وتبقى مغمورة كهذه.

تأسست جمعية "لا حب أعظم" في العاصمة الامريكية واشنطن قبل ١٩ عاماً بجهود امرأة اسمها كارميلا لاسبادا. وتقوم على مبدأ أساسي لا يفكر فيه كثيرون، وهو إعلام الاشخاص الذين يضحون بحياتهم – واعلام عائلاتهم وأحبابهم من بعدهم – أن هناك من يقدر تضحيتهم.

تطوعت كارميلا لاسبادا طوال عقدين من عمرها في تنظيم احتفالات لتكريم الجنود العائدين من الحرب او لاحياء ذكرى المفقودين. وهي نظمت احتفالات تذكارية للشهداء الذين سقطوا في المعارك، بدءاً بالحرب العالمية الاولى وانتهاء بحرب الخليج.

ومن الاشخاص الذين شملتهم رعاية جمعية "لا حب أعظم" مويرا فولي دريسل التي تقول: "كنت في السابعة من عمري يوم أُعلن والدي في عداد المفقودين قبل ٢٨ عاما، وكان مقدَّما في الجيش. وقد تذكرت كارميلا لاسبادا أعيادنا، وبعثت إلينا بهدايا صغيرة، كما دعتنا الى حضور حفلات حضرها نجوم سينما ورياضة. أنه لأمر مهم أن يشعر الطفل بأنه محط رعاية واهتمام."

ولم تنس لاسبادا أن تحتفل بعودة فرانك ريد وروبرت بولهيل من الاسر ربيع ١٩٩٠، وهما أستاذان أمريكيان خطفا

في بيروت عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧. ولا تزال تساعد بولهيل الذي يمضي فترة نقاهة بعد اصابته بسرطان الحنجرة.

تقول لاسبادا إن روح المسؤولية تجاه الجماعة تولدت لديها نتيجة تربيتها العائلية، "فقد كان الحب هو القانون الذي نظم حياة عائلتنا: أبي وأمي وأخي وأختي وأنا، وجدي وجدتي اللذين كانا يقيمان معنا. تعلمنا ألا نحصر محبتنا في اطار العائلة، بل أن نشارك الآخرين فيها. أذكر والدي – وكان حلاقا – كيف كان يحمل المقص وماكينة الحلاقة الى المستشفى ليقص شعر المريض الذي يعوده أو ليحلق ذقنه."

وتؤكد لاسبادا أن الجمعية لا تتلقى دعماً ماليا من الحكومة، فهي تعتمد كليا، منذ تأسيسها، على تبرعات الناس. وتقول رداً على سؤال حول تمسكها بهذا النوع من العمل: "هذا هو العمل الصحيح." وغالباً ما تستشهد بعبارة للكاتب الامريكي هيرمان ووك: "ان بداية نهاية الحرب تقوم على الذكرى."

أما مويرا فولي دريسل فتقدم شرحاً آخر: "تمتلك كارميلا لاسبادا حباً عظيما. ولطالما شعرتُ بأن ذراعيها تسِعان العالم، وهما ممتدتان أبداً لحمايتنا."

مايكل رايان

في "باريد"



طفلة جريئة

كانت لينا فوغات، البالغة من العمر ست سنوات، تحب أن تجلس في حضن جدها راي وهو يقود جرّاره في مزرعة العائلة في ولاية فيرجينيا الامريكية. وذات يوم اصطحب راي حفيدته ليحرق كومة من الاغصان اليابسة. وما ان صب قليلا من الوقود على الكومة وأشعل عود ثقاب حتى اشتعلت الاغصان وحاصرته النار. فسقط أرضا وهو يصرخ، وراح يتدحرج في محاولة يائسة لاخماد النار. وجهد للوقوف على قدميه، ومشى مترنحا مسافة عشرة أمتار الى حيث كانت لينا جالسة على الجرار، وهمس لها: "اذهبي ونادي جدتك." وسقط على الجزازة المربوطة الى الجرار مغمى عليه.

كان جلد ذراعيه مقشوراً كورق شفاف، وتقرح صدره وتشوه وجهه بفعل الحروق. الا أن لينا تمالكت نفسها. وخشيت ان تترك جدها وحيداً، وأدركت أن أملها هو في قيادة الجرار الضخم الى المنزل الذي يبعد مسافة ٨٠٠ متر. وهذا أمر لم يكن جدها ليسمح به، لكن الطفلة التي لم يتجاوز طولها المتر قررت أن تقدم عليه.

انزلقت على المقعد وداست رزاً أحمر باصبع قدمها، فدار المحرك واهتز الجرار محدثاً هديراً قوياً. وقادته لينا بمشقة نحو

المنزل، وجدها ما زال ملقى على الجزازة.
ولما وصل المسعفون الى المكان عاينوا آثار الخطوط المتلوية التي تركتها عجلات الجرار، فتبين لهم مدى ما عانته الطفلة في تجاوز الحافات والنتوءات وقنوات الريّ وجذوع الاشجار المقطوعة.
أصيب راي فوغات بحروق من الدرجتين الثانية والثالثة في جزء كبير من جسده. لكنه الآن تعافى كليا تقريبا. ويرى الاطباء أنه لم يكن لينجو لو لم تتصرف لينا كما فعلت.
ويقول دون ديرنر منسق فوج الاسعاف المحلي: "لقد احتفظت لينا برباطة جأشها، وأدركت ما عليها أن تفعل، وتصرفت على هذا الاساس."
كريستوفر ا. بوجاليان



تدخُل في محله

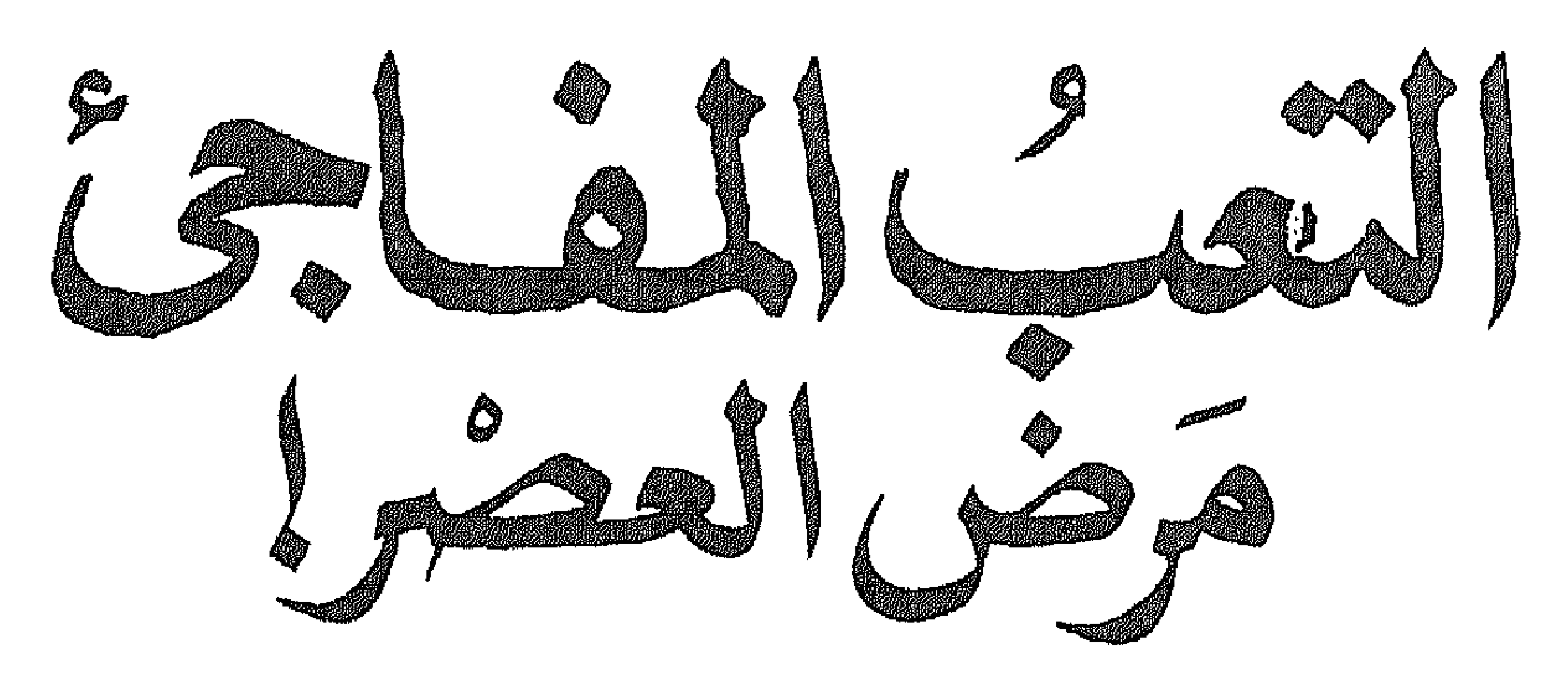
لم يكن ابن الحادية عشرة، الجالس بالقرب من أورنا سيغل في صالة سينما في لوس انجلس، هادئا، مما أثار سخطها. فالتفتت جانبا لترى أن مرافق الصبي، وهو رجل في نحو الستين، يداعبه بشيء من الشذوذ. فطلبت سيغل من مدير الصالة أن يتصل بالشرطة.
وعند انتهاء الفيلم خرجت سيغل مع أطفالها ووقفت تراقب الصبي والرجل. ولما رآها مدير الصالة هز كتفيه، فأدركت أنه لم يتصل بالشرطة على الاطلاق.
دخل الرجل الستيني متجرا مجاورا برفقة الصبي. فاقتربت سيغل من مدير الصالة الذي رفض التدخل، لكنه اذ رآها متوترة ومشدودة الاعصاب سمح لها باستعمال الهاتف في مكتبه لابلاغ الشرطة بما رأت.
خرج الرجل ومعه الصبي من المتجر، وكان هذا يحمل سوطا وقبعة كاوبوي اشتراهما له مرافقه. وبعد دقائق وصل رجال الشرطة، فقصت عليهم سيغل ما حدث. ولما عادت الى البيت وجدت في انتظارها رسالة من الشرطة على آلة التسجيل المتصلة بالهاتف. جاء في الرسالة: "شكراً لك. لقد أنقذت حياة صبي. والرجل موقوف عندنا."
كان اسم الرجل مدرجا في دائرة الشرطة ضمن لائحة المهووسين الشاذين. وهو كان صديقا لعائلة الصبي، يدعوه أفرادها "العم مارك"، وقد اصطحب الصبي الى السينما "لمناسبة عيد ميلاده." اعتقلته الشرطة بعدما تحققت من اسمه في قسم المحاسبة في متجر الالعاب ذاك.
نالت سيغل جائزة تقديرية من دائرة الشرطة. وهي تقول: "في البدء لم أكن أتدخل في مشاكل الآخرين، لكني الآن أبذل ما في وسعي لمساعدة الناس."
ماري الن ستروت
في "موكسي"

اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١
ربيع الثاني ١٤١٢

Reader's Digest
المختار

السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر



بعد الايدز ظهر في امريكا وباء غامض يبحث الاطباء عن تعريف له

قبل ١٧ عاما ابتليت نانسي كايزر بمرض غامض اشعرها كأنها ستفارق الحياة. وهذه المرأة الشابة في الثامنة والثلاثين من عمرها، تحب الحياة وهي شغوفة بالرياضة وخصوصاً الغولف والسباحة. وقد غلب عليها الوهن والعياء الشديد واصيبت بالتهابات في المثانة وألم في العضل وانتابتها نزوات تغيّر فيها مزاجها فجأة وضعفت ذاكرتها. فارتأى الاطباء ان مثل هذه الاعراض غالباً ما تحدث بعد انقطاع الطمث، فوافقت كايزر على استئصال رحمها جراحيا، الا ان ذلك لم يجدها نفعا فاحالها معالجوها على الاطباء النفسانيين.

حتى العام ١٩٨٧، كانت كايزر عرضت حالتها على ٢١٢ من الاطباء والاختصاصيين. فبدأ نظرها يضعف وباتت تعاني نوبات مرضية يومية. ونظراً الى عجزها عن تحديد مرضها، لم يوافق احد على انها مريضة حقاً. ولمح الاطباء الى ان المعالجة في مؤسسة للأمراض العقلية قد تفيدها.

اذا تصفحنا المجلات الطبية الرئيسية فلن نجد فيها ما يشير الى مرض نانسي

كايزر الغامض، ولكنه يعتبر حالياً مصدر قلق كبير على الصحة العامة. فالمتخصصون بعلم الاوبئة يقدرون ان خمسة ملايين من الامريكيين اصيبوا بمثل هذا المرض وتتلقى مراكز ضبط المرض (CDC)، وهي الوكالة الاتحادية المسؤولة عن تقفّي الأمراض المعدية، نحو ٣٠٠٠ مكالمة شهرياً لاستجلاء حالة هذا المرض.

مرض غامض. تُعرف هذه العلة باسماء متعددة. فالمصابون بها في كندا وبريطانيا يسمونها التهاب عضل اتصال الدماغ والنخاع الشوكي[1]. وفي اليابان تسمى متلازمة خلية القاتل الطبيعي الادنى[2] (ME). وفي الولايات المتحدة تدعى متلازمة العياء المزمن[3] (CFS). وبعض اعراضها مألوف مثل الحميّات واورام العقد اللمفية وعرق الليل وآلام المفاصل والعضل، وكلها تبعث على القلق. ولكن المتلازمة، خلافاً لمرض "أيدز"، لا يبدو أنها مرض ينتقل من طريق الاتصال الجنسي ولا يتسبب في موت الناس، ولكنه يحوّلهم مرضى مشوشين، فبعض المرضى يعاني تغيرات في المزاج او نوبات ذعر ومعظمهم يصابون بانحطاط في ذكائهم، وهم عادة معرضون لاضطرابات في النوم ولمشاكل في النظر. لكن وإن زال المرض احيانا بعد بضعة اشهر من معاناة جحيمية فانه يظل يراوح لسنوات او ينحسر ليعود مجددا.

يقول الدكتور ولتر غون محقق المتلازمة الاول في مراكز ضبط المرض: "ليس واضحاً اذا كان ذلك مرضا واحدا ام امراضا عدة او اذا كان سببا واحداً أو اكثر." ولكن التشخيص لا يعدو كونه وسيلة لاستبعاد الامراض الاخرى، بما فيها الأيدز والسرطان والتصلّب المتعدد. وتتم المعالجة من طريق التجربة والخطأ.

قد لا تكون متلازمة العياء المزمن مرضا جديدا، الا ان مركّب الاعراض المحبط ظهر في فترات متقطعة، وفي تجمعات محلية، خلال ما يزيد على القرن. ولكن، الى الآن، لا تزال الافادات عنه نادرة.

البداية في منتجع. في امريكا، بدأت دورة القلق الحالية في قرية إنكلين بنيفادا وهي منتجع على بحيرة تاهوي. في خريف ١٩٨٤ قصد الطبيبين بول تشيني ودانيال بيترسن عدد من المعلمين في المدارس الثانوية وهم يعانون ما بدا انه داء انفلونزا متشبث بعناد ولا يزول. ولم يمض شهران حتى كان قرابة ٢٠٠ من سكان المحلة يعانون الاعراض ذاتها من دون ان يظهر اي تحسن لدى اي منهم. وكانت اجساد معظم المصابين تنتج أجساما مضادّة لمرض "إيبستين - بار"[4] اي فيروس الحلأ الذي يسبب داء

(١) Myalgic Encephalomye Litis
(٢) Low Natural Killer Syndrome
(٣) Chronic Fatigue Syndrome
(٤) Epstein - Barr

"مونونيوكليوسيس"[٥]، اي كثرة وحيدات النواة، وهو داء معد. ولكن هذا المرض نادر لدى البالغين ولم تسجل اصابات بينهم. لذلك أبلغ تشيني الى مراكز ضبط المرض تفشي هذا المرض الغامض.

في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٥، وإثر مساع متكررة، أرسلت الوكالة اثنين من المحققين اللذين استنتجا في تقرير لهما ان إيبستين – بار لم يكن المشكلة، في مطلق الحال. فهذا الفيروس يصيب كل شخص تقريبا في سن البلوغ، والاصحاء تظهر لديهم احيانا اعداد من الاجسام المضادة المرتفعة التي كان تشيني وبيترسن يسجلانها. الى ذلك لم يكن إيبستين – بار المرض الوحيد الذي كان اولئك المصابون يكافحونه ظاهريا. فقد اظهرت فحوص الدم أعدادا مرتفعة لاجسام مضادة لمرض الحلأ البسيط والفيروسات المضخّمة للخلايا أيضا.

واقترح المحققان على الاطباء التركيز على معالجة المرضى الذين يشكون من "حالات في الامكان تحديدها على وجه اكمل، ومعالجتها بالتالي."

ولا يزال الدكتور ديفيد بك يتذكر ما قرأه في العام ١٩٨٦ عن وباء بحيرة تاهوي. فهو كان في مكتبه في لندوتفيل بنيويورك البلدة – المزرعة الواقعة جنوب بحيرة أونتاريو، منهمكا في تقصي أغرب مرض عرفه في حياته: حالة شبيهة بانفلونزا حادة مستمرة لا سبب ظاهر لها. واستخلص مما قرأه ان البلدة، وهي منتجع في نيفادا، اصيبت بما يسمى "يوبّي فلو"[٦] وهو نوع من المراق او وسواس المرض او توهم وجوده، يصيب الشبان الميسورين من سكان المدن، وان اثنين من الاطباء المحليين يعزوان السبب الى فيروس إيبستين – بار. ويقول الدكتور ديفيد: "عرفت ان ما كنا عاكفين على دراسته لا صلة له بيوبي فلو."

في الواقع كان معظم المرضى من الاولاد وليس من البالغين، والفحوص التي اجريت على ربع عددهم كانت سلبية لجهة وجود فيروس إيبستين – بار.

حساسية ام جرثومة. بدأت مشاكل بَل في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٥، حين توجهت سكرتيرته جين بولارد وزوجها الى المستشفى لاجراء جراحة الزائدة الدودية لابنتهما البالغة من العمر ١٣ عاماً. فاقامت بناتهما الثلاث الاصغر سناً مع عائلة صديقيهما ديفيد ودبي دونكنسن التي ضمت ثمانية اولاد ايضاً. وكان ثلاثة من هؤلاء مرضوا في تلك السنة. وبعد اسبوعين على تاريخ الجراحة مرضت بنات بولارد الثلاث ودبي دونكنسن وخمسة من اولادها الصبيان. وشكا جميع هؤلاء من آلام في الحنجرة واورام في العقد اللمفاوية واوجاع في المعدة وتقيؤ وتعب منهك. فقدّر بل انها إنفلونزا سرعان ما تزول. لكن، بدلا من ذلك، اشتدت عليهم وطأة المرض. وتتذكر دبي دونكنسن بعض ما حدث: "كان

(٥) Mononucleosis
(٦) Yuppie Flu

اولادي يمشون رافعين سواعدهم لشدة الالم في العقد اللمفاوية لديهم." أما بنات بولارد فكدن لا يقوين على المشي طوال ثلاثة أشهر. وفي الصيف التالي كان بَل يعالج قرابة ٣٠ حالة مماثلة شملت اولاداً وبالغين على السواء.

وبعد محاولته، عبثاً، حمل دائرة الصحة في الولاية على الاهتمام بالأمر، بدأ بَل يتفحص مرضاه بحثاً عن عوامل مشتركة في ما بينهم، فتبين له ان الاولاد المصابين كانوا معرضين، على الارجح، لحساسيات ما كما كانوا يشربون حليبا غير معقم. ولسوء الحظ لم تتطابق الاعراض وأياً من الحساسيات العامة او العدوى الجرثومية.

وفي ربيع عام ١٩٨٧ كان عدد الاصابات لا يزال مرتفعاً على لائحة الدكتور بَل. وحاول إحالة المرضى على اختصاصيين لكن هؤلاء لم يجدوا فيهم علة. واتصل بمراكز ضبط المرض فجاءه رد من مسؤولين هناك انهم لا يسعهم التدخل في الامر ما لم تطلب منهم ذلك دائرة الصحة في الولاية. ثم أتته، مصادفة، مريضة تعاني حالة كلاسيكية تسمى "متلازمة مرض لندونفيل"[٧] ولكنها قدمت من كاليفورنيا وعرفت ان مرضها هو متلازمة إيبستين – بار مزمنة. فادرك بَل للحال ان الاطباء في المنتجع عند بحيرة تاهوي الذين قرأ عنهم، كانوا منهمكين في معالجة المرض ذاته.

وكان ابلغ في الواقع عن وجود مثل هذا المرض في انحاء عدة من الولايات المتحدة. لكن فئة قليلة من الباحثين الطبيين اهتمت به. وكان الدكتور انطوني كوماروف رئيس دائرة الطب العام في بريغهام ومستشفى النساء في بوسطن، أجرى دراسة مستقلة عن المرض الذي تفشى في المنتجع قرب بحيرة تاهوي فبان له دليل قوي على وجود مرض عضوي. في تلك الفترة انشغل الدكتور سيمور غروفرمن أحد المتخصصين بوباء السرطان في كلية الطب بجامعة بتسبرغ، في دراسة عن تفشي مرض غامض بين اعضاء الفرقة الموسيقية لكارولينا.

وفي الخريف التقى بَل وتشيني في مؤتمر وطني خصص للبحث في هذا المرض. وراحا يتبادلان المعلومات حوله. كان معظم الباحثين ما زالوا يسمّون المرض متلازمة فيروس إيبستين – بار المزمنة. لكن كثيرين كانوا أولوا اهتمامهم فيروسات أخرى تشمل فيروس حلأ تمّ اكتشافه حديثاً يدعى «HHV - 6» وفيروسات معوية متعددة. والمشكلة انه لم يكن اي من تلك الفيروسات ناشطا لدى كل مريض، كما لم يظهر اي منها حصراً لدى الذين يعانون هذا المرض. وعام ١٩٨٨ اعادت مراكز ضبط المرض تسمية الوباء المستجد "متلازمة عياء مزمن"[٨]. **فبات تجاهل وجوده متعذرا.**

مسألة مناعة؟ ظهرت فرضَية تقول بان متلازمة العياء المزمن هي في الأساس

(٧) Lyndonville Syndrome
(٨) Chronic Fatigue Syndrome

اضطراب في جهاز المناعة. ويطرح باحثون نظرية مؤداها ان المرض يبدأ عندما يتلف "عامل مجهول" - قد يكون عنصرا كيميائيا غير معروف أو عدوى مجردة - جهاز المناعة في الجسم، فيتيح التلف للفيروسات، المكبوتة عادة، الانتشار في الجسم من دون ضابط.

وثمة اكتشافات أخرى عززت الصورة التي تبين الفوضى العارمة التي تصيب جهاز المناعة بسبب هذا المرض. واظهر البحث الذي اجرته الدكتورة نانسي كليماس من كلية الطب في جامعة ميامي، ان الخلايا الطبيعية القاتلة التي تهاجم عادة اي شيء دخيل على الجسم هي بطيئة، الى حد مفرط، لدى المرضى بمتلازمة العياء المزمن. واكتشفت ايضاً ان بعض انواع خلايا T - القاتلة والمعدّة لمهاجمة غزاة معينين - هي اقل نشاطا حيناً او مفرطة في النشاط احياناً.

الحلقة المفقودة. هذه الاكتشافات، وإن دلّت على تقدم، الا انها تعمّق الغموض الاساسي الذي يدور حول السؤال الآتي: ما هو العامل الذي يعطل جهاز المناعة ويوقعه في فوضى وينزل باجسام المرضى أشدّ الأذى؟

ولقد أثار وباء الأيدز في اوائل الثمانينات السؤال ذاته وتبين ان المجرم هو ريتروفيروس[9] HIV السيىء السمعة. والريتروفيروسات هي، في الاساس، انواع ذاتية الاكتفاء من RNA تستطيع تحويل ذاتها DNA والارتباط، على نحو دائم، مع كروموزومات بعض الخلايا (تدعى ريتروفيروسات لان RNA مصنوع عادة من DNA). فهذه الجراثيم شائعة بين الحيوانات ولكن اربعاً منها اكتشفت في البشر وهي: HIV, HIV-1, HTLY-1, HTLY-2 وكل هذه الفيروسات تهاجم خلايا جهاز المناعة التي تسمى "ت - ليمفوسيتس"[10] اي خلايا "ت" اللمفاوية، وهي مترابطة مع أمراض مزمنة تشمل ابيضاض الدم (اللوكيميا) وامراضا عدة في الجهاز العصبي اضافة الى التصلب المتعدد.

في شهر سبتمبر (ايلول) القائت اعلن فريق من الباحثين، بينهم الدكتور بل والدكتور تشيني والدكتورة إيلين ديفريتاس من معهد ويستار بفيلادلفيا، اكتشاف صلة وراثية محتملة بين فيروس خليّة لوكيميا - ت البشري (HTLV-2) ومتلازمة العياء المزمن. ولكن اذا كان السبب هو ريتروفيروس فهل هو فيروس حيواني انتقل من طريق الحليب او اللحم (كما أشار اليه تفحص بَل المحلي) ام هو ريتروفيروس بشري انتشر من طريق تلامس عَرَضيّ؟

وثمة باحثون آخرون عاكفون على استكشاف سلسلة كاملة من العوامل الفاعلة، في محاولة لتحديد اسباب المرض. وقد أفيد أن الدكتور جون مارتن وهو باحث مرموق في الأسرة الطبية وباثولوجي جزيئي اختصاصي في علم

(٩) Retrovirus

(١٠) T Lymphocyte

الأمراض واسبابها واعراضها، من جامعة جنوب كاليفورنيا، توصل الى تحديد ما يعتقد انه سبب متلازمة العياء المزمن. وهو يؤكد ان اكتشافاته، حين تنشر، ستدحض بعض النظريات المطروحة.

وسط كل هذه الغوامض والالتباسات يتضح امر واحد وهو التباطؤ الشديد لوسائل الاعلام والأسرة الطبية في إيلاء المتلازمة المذكورة الاهتمام الجدي. فكثير من الابحاث في الولايات المتحدة يموّل حاليا وينشر بواسطة مجموعات معنية بالمرضى او اطباء افراديين.

كانت نانسي كايزر من سعداء الحظ اذ التقت الدكتور بيترسن الذي كان ملما بمشكلتها بعد الاختبار الذي شهده في قريته إنكلين بالقرب من بحيرة تاهوي. وهو اراد مساعدتها. فقد تناولت، باشرافه، دواء اختباريا شعرت معه بالارتياح. وهي الآن تعيش حياة طبيعية لكن المحنة القاسية التي مرت بها ما زالت تثير حنقها.

جوفري كاولي ■

صبي كبير

بعد تخرجي في الجامعة حيث كنت طالباً داخلياً، عدت الى منزل والديّ. وذات صباح تأخرت في النهوض والتوجه الى عملي، فطلبت من أمي أن تحضر لي شطيرة. وبعد دقائق التقطت كيس الغداء واندفعت خارجاً. وما ان اقفلت بوابة الحديقة حتى سمعت رنين قطع نقد في الكيس. فالتفت، فرأيت أمي واقفة في الباب كما كانت تفعل في صباي لدى خروجي الى المدرسة. فسألتها: "لماذا وضعت هذه النقود في الكيس؟"

أجابت: "لكي تشتري بها حلوى."

س.غ.

حقائب النساء...

عدت الى البيت في حافلة، وما ان ابتعدت الحافلة عن المحطة حتى تذكرت أني نسيت حقيبتي على أحد مقاعدها. فاتصلت بالمحطة بعد حين، فقيل لي ان الحقيبة موجودة لديها.

وحين قصدت المحطة لاسترداد الحقيبة، تحلّق حولي عدد من السائقين. وناولني أحدهم كتاباً وصفحتين مطبوعتين وعلبة فيها محتويات حقيبتي. وقال لي: "نحن مكلفون اعداد قوائم بمحتويات الحافظات والحقائب المفقودة. واعتقد انك ستجدين هنا كل ما يخصّك."

واذ بدأتُ اعادة بعض المحتويات الى الحقيبة، تقدم مني السائق بلطف قائلا: "أرجو ألا يكون لديك مانع من أن نراقب كيف ترتبين كل هذه الاشياء داخل حقيبتك. فقد حاولنا ذلك كلنا، فلم نفلح."

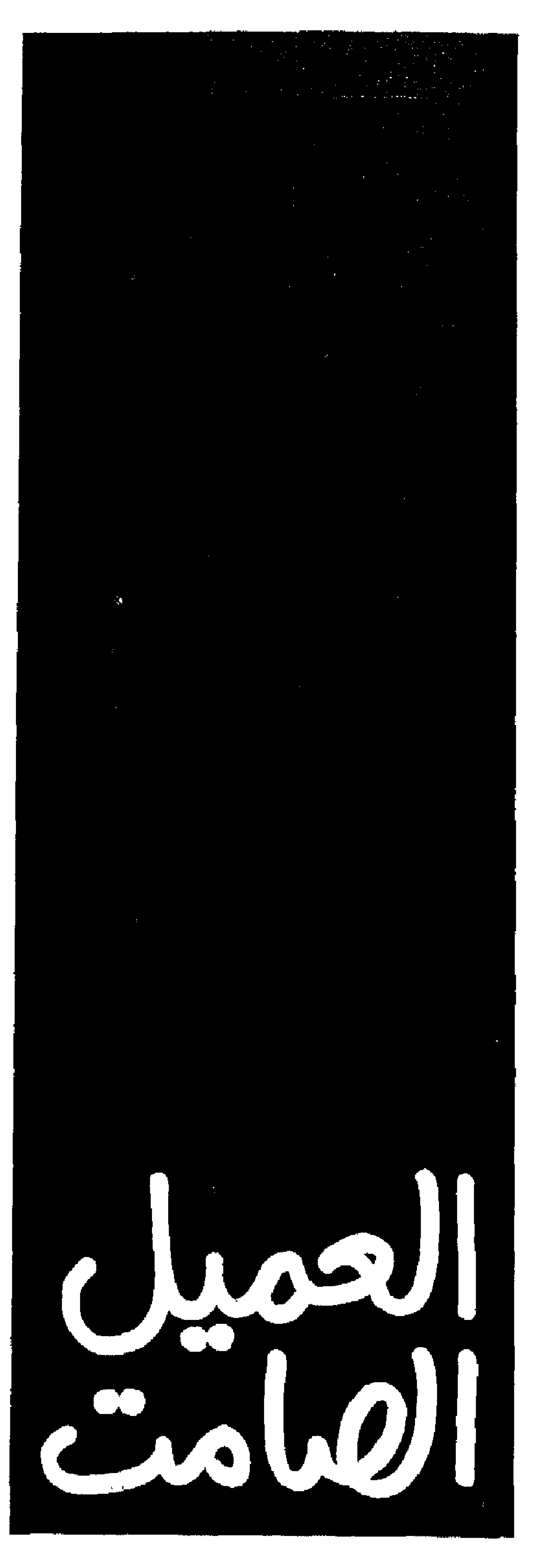
ل.س.هـ.

زود الالمان صدام حسين كل ما احتاج اليه لانتاج اسلحة الدمار الشامل!

زار هانس – ديتريش غينشر، وزير الخارجية الالماني، اسرائيل اثناء حرب الخليج في يناير الماضي (كانون الثاني) فاطلعه مسؤولون هناك على معلومات مؤداها ان اجزاء المانية الصنع لصواريخ "سكود" سقطت على تل ابيب وحيفا، وقيل له إن هذه الصواريخ العراقية ما كانت لتصل ربما الى اسرائيل من غير مساعدة الخبرة الالمانية. فاعتذر غينشر الى المسؤولين الاسرائيليين عن هذا الامر ووعد باتخاذ اجراءات مشددة من شأنها الحؤول دون تكراره في المستقبل.

وبعد اسبوع، خاطب غينشر البرلمان الالماني. ومما قال: "ان مسؤوليات تاريخية واخلاقية تربط المانيا بالشعب اليهودي. في هذه اللحظات التي يتعرض وجود اسرائيل نفسه للتهديد، نقف الى جانبها من دون تحفظ. لقد رفضت المانيا تصدير السلاح الى العراق طوال ٣٠ سنة، لكن الالمان الذين خرقوا قوانيننا وضلّلوا سلطاتنا شاركوا في انتاج صدام حسين للغازات السامة، وعلى المجتمع ان ينبذهم."

يمكن اعتبار خطاب غينشر مثالا للنفاق. فقد اضطلع رجال اعمال وخبراء المان، لاكثر من عقد من الزمان، بدور أساسي في برنامج العراق لانتاج اسلحة



تدمير شامل والذي بلغت تكاليفه ٥٠ مليار دولار، فيما هم يعلنون انهم لم يعرفوا ان العراق كان يستخدم صادراتهم لاغراض عسكرية.

وتشير أفضل التقديرات الامريكية الى ان المانا زودوا العراق معظم قدراته النووية والبيولوجية والكيميائية. وأكثر من ذلك، ان الحكومة الالمانية كانت مطلعة على تفاصيل هذه الامور.

البداية. بدأ التورط الالماني في برنامج الاسلحة الكيميائية العراقي عام ١٩٧٧، وبعد اربع سنوات بوشر بناء مصنع للمبيدات الحشرية في سامرّاء وهي بلدة تقع على مسافة ٦٠ كيلومتراً الى الشمال الغربي من بغداد. كان واضحاً ان هذا المصنع الخاضع لحراسة مشددة لم يكن مشروعاً عادياً. وكما قال فني الماني لاحقاً: "انك لا تحتاج الى حماية امنية مشددة كهذه اذا كنت تنتج رذاذا مضاداً للذباب، أليس كذلك؟"

وتحدثت تقارير صحافية المانية أيضاً عن غرف غاز لـ"حيوانات ضخمة" بنتها للمشروع شركة المانية. وجاءت التكنولوجيا الاساسية لمصنع سامراء من اربع شركات المانية هي: "كارل كولب" وفروعها، "بيلوت بلانت"، "ووتر انجينيرينغ تريدنغ" و"بروساغ".

ولم تكن هذه معلومات سرية، فقد نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" تقارير مطولة عن مصانع غازات سامة المانية في العراق في ١٩٨٤ وهو العام الذي اصبح فيه مصنع سامرّاء جاهزا للانتاج. كذلك فعلت وسائل الاعلام الالمانية غداة استخدام العراق أسلحة كيميائية على نطاق واسع ضد ايران ذلك العام. لكن مارتن بانغمان، وزير الاقتصاد الالماني آنذاك، لم يحرك ساكناً معتبراً أن هذه الضجة الاعلامية لا تعدو كونها حسداً مهنياً امريكياً. وكان بانغمان عضواً في الحزب الديموقراطي الحر الذي يرئسه غينشر، مثله مثل سلفه في الوزارة ووزيرين بعده.

وفي وقت سابق من العام الفائت، وبعد سيل من الانتقادات الدولية والمحلية، كلفت الحكومة الالمانية البروفوسور ورنر ريتشارز من المعهد الاتحادي السويسري للتكنولوجيا دراسة مسألة مصنع سامرّاء وافادتها اذا كان بني خصيصاً من اجل انتاج اسلحة كيميائية. واكد ريتشارز، بما لا يقبل الشك، أن المصنع أنشىء لهذا الغرض. واضاف أن العراق بات قادراً على انتاج غاز "التابون" السام والحامض البروسي[1] الذي يستخدم لاتلاف المرشحات (مصافي التنقية) في الاقنعة الواقية من الغازات.

وجاء في تقرير لمجلة "شتيرن" الالمانية ان شركة "تايسن راينشتال تكنيك" الالمانية أشرفت هي أيضاً على بناء مصنع رئيسي آخر للاسلحة الكيميائية في منطقة سلمان بك جنوب بغداد، أطلق عليه اسم "ديالا". وهو كان

(١) محلول سيانيد الهيدروجين.

ينتج سلسلة من الاسلحة البيولوجية المسببة للكوليرا والتيفوئيد والجمرة، الى الاسلحة الكيميائية، في مختبرات بنتها الشركة الالمانية تحت الارض. (انكرت الشركة معرفتها بما كان ينتجه المصنع.)

كذلك كانت المانيا طليعة الدول التي ساعدت العراق في تطوير صواريخ اكبر وافضل. وفي هذا المجال، كان مشروع "سعد – ١٦" الضخم في الشمال الاكثر شهرة. وتضمن هذا المشروع الذي بلغت تكاليفه ربع مليار دولار، منشآت متطورة استخدمت لاجراء أبحاث على الصواريخ وتطويرها. وكان المتعهد الرئيسي للمباني شركة "غيلد مايستر بروجيكتا" الالمانية، اما المنفذ الاساسي للاشغال فكان شركة "مسر شميت – بولكو – بلوم – ترانستكينكا". وتبين ان هذه جهزت المختبرات التي استخدمت في مشروع تطوير الصواريخ.

وجلي أن شكوكاً ساورت مديري شركة مسر شميت في شأن المشروع فأخفوا أمره على واحد، على الاقل، من اعضاء مجلس الادارة، الى أن كشفت الصحافة القصة. وعلى رغم كل الضجة التي احاطت بها، فقد لاحظ وزير الاقتصاد، في تقرير نشر في اغسطس (آب) ١٩٩٠، أن لا دلائل كافية على الارجح لادانة الشركة.

اضافة الى نظام "رولاند" المضاد للطائرات الذي استخدم لاحقاً في حرب الخليج. كما شحنت الشركة نفسها طوافات مدنية من المانيا الى اسبانيا والنمسا حيث جرى تأهيلها لاستخدامات عسكرية قبل أن ترسل الى العراق. لكن مسر شميت لا تزال تنكر انها كانت على علم بأن الطوافات ستطور للاستخدام العسكري مع انها تملك ١١٪ من اسهم الشركة الاسبانية التي نفذت جزءاً من المهمة.

وكان دور الشركات الالمانية حيوياً أيضاً في بناء مجمع عراقي لصنع الاسلحة في منطقة تاجي. ومن المشاريع الكثيرة التي نفذتها هذه الشركات مصنع عملاق للفولاذ بنته شركة "كلوكنر" لمصلحة مؤسسة نصر الحكومية للصناعات الميكانيكية. وترتبط هذه المؤسسة بوزارة الدفاع العراقية، وقد استخدم المصنع لانتاج المدافع.

وتطلع العراقيون عام ١٩٨٨ الى شركة المانية اخرى تدعى "فيرّوستال"، لبناء "مصهر عالمي" في تاجي، اكتشفت الحكومة الالمانية لاحقاً انه ينتج سباطانات (مواسير) لقطع المدفعية.

ان هذه الامثلة ليست سوى غيض من فيض، فقد ساهمت مئة شركة المانية في مشروع تاجي وحده.

طوافات بعد الصواريخ. أواسط الثمانينات، ساعدت مسر شميت العراق على انتاج صاروخ مضاد للدبابات،

البرنامج النووي. ولا ننسى مسألة البرنامج النووي العراقي، اذ اصبحت المانيا بعد العام ١٩٨١ المزود الرئيسي

لعناصر هذا البرنامج. فقد امّنت شركة "إتش أند اتش متالفورم" الآلات التي استخدمت لصنع المكونات النابذة[٢] الضرورية لانتاج اليورانيوم المخصّب الذي يستعمل في الاسلحة النووية. كما زودت شركة اخرى هي "اكسبورت يونيون" نوعاً خاصاً من الفولاذ المقوّى يستخدم في صنع شفرات المراوح.

وكانت الحكومة الالمانية تعرف، من دون شك، بامر هذه النشاطات. فقد اطلعت واشنطن سلطات بون على المعلومات المتوافرة لديها عن مصنع سامرّاء على امل ان توقف هذه السلطات نقل التكنولوجيا الى العراق، كما اعلمت اسرائيل الالمان بأمر هذه النشاطات. كذلك اعلم مسؤولون كبار في الحكومة الالمانية بتفاصيل عدد من الحالات حتى قبل ان تبدأ التحقيقات القضائية في شأنها. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠، ابلغت وكالة الاستخبارات الالمانية الى وزارة الخارجية ان صناعيين المانا حصلوا على ضمان رسمي ضد الاخطار بقيمة ٨٥٠ الف دولار من اجل معدات صُدّرت الى العراق لاستخدامها في تطوير الصواريخ. وهكذا ثبت ان وزارة السيد غينشر ابلغت رسميا مسألة التورط الالماني قبل سنة من ذهابه الى تل ابيب للاعتذار عن هجمات صواريخ سكود عليها.

الطمع ما نفع. في كل مرة حاول ديبلوماسيون امريكيون لفت نظر المسؤولين الالمان الى موضوع نقل تكنولوجيا خطرة الى العراق، كان رد فعل بون يوحي – الا في حالات نادرة – أن الامريكيين يحاولون منع المانيا من التعاطي التجاري على المستوى الدولي.

والواقع ان القوانين والعقوبات الالمانية المتعلقة بتصدير مثل هذه المواد كانت ضعيفة على نحو مذهل، ناهيك بأن الجسم القضائي الالماني غير ميال الى فرض تطبيقها. فعندما دين رجل اعمال من فريبورغ بتهمة تصدير تكنولوجيا نووية الى باكستان عام ١٩٨٥، اكتفى القضاة بحكم بسجنه ثمانية اشهر مع وقف التنفيذ. وحجتهم في ذلك أن السلطات المسؤولة عن الرقابة الحكومية هي التي سهّلت له ارتكاب جريمته. وهم محقّون في هذا المجال، فالحكومة الالمانية لا تجري وراء البضائع بعد شحنها بغية التأكد من ان التكنولوجيا المعقدة او الاسلحة قد ذهبت الى مقصدها وانها تستخدم للاغراض المتفق عليها، وذلك بخلاف غالبية الحكومات الغربية. وفي غياب مثل هذه الاجراءات ليس هناك قانون يحول دون وقوع تكنولوجيا التسلّح في ايدي امثال صدام حسين.

لماذا تورط عدد كبير من رجال الاعمال والعلماء والزعماء السياسيين الالمان، وباصرار، في بناء ترسانة صدام حسين من اسلحة التدمير الشامل؟

الجواب هو الطمع! ومثال التعامل مع

(٢) Centrifuge Components

العراق يعكس جانباً من سلوك اوسع واشمل. فعلى امتداد العقدين الاخيرين، كانت المانيا المصدر الاكبر لتحويل التكنولوجيا الحساسة بطريقة غير شرعية، ليس الى الشرق الاوسط فحسب، وانما الى الاتحاد السوفييتي وحلفائه كذلك.

ولقد دأبت المانيا على خرق قواعد الرقابة على نقل التكنولوجيا المعقدة وعملت باستمرار على اضعاف هذه القواعد، على رغم مشاركتها ظاهراً في الجهود التي تقودها الولايات المتحدة في هذا الشأن.

وكان هانس ديتريش غينشر في مقدم المسؤولين الالمان الذين لم يلتفتوا الى خطورة هذه المسألة، ذلك لانه آمن، كما فعل سلفه فيلّي برانت، بان قدر المانيا الفريد قد وضعها خارج قواعد الصراع بين الشرق والغرب، وان عليها ان تكون جسراً بين الكتلتين.

الا ان الامر المشجع هو التحول المذهل الذي حدث داخل الرأي العام الالماني، اثر استخدام العراق صواريخ سكود في حرب الخليج، وهو الذي تظاهر اول الامر بمئات الالاف ضد هذه الحرب.

هل سيقود هذا التغيير في المشاعر الى اصلاح الممارسات التجارية الالمانية؟

الزمن وحده كفيل بالاجابة.

مايكل ليدين ■



زوجان في متاهة

أثناء استكشاف متاهة من الممرات المحيرة في إحدى الحدائق العامة التقينا زوجين مسنّين ضلا طريقهما وغلب عليهما الاحباط والارهاق. وكان الرجل يتقدم زوجته ويهم بسلوك ممر خطأ آخر، فصاحت به هذه: "اني خارجة من هذا المكان!"

فرد الزوج: "حسناً يا عزيزتي، ساتبعك."

م.ف.

صبّارة لقيطة

أُهديت الى ابنتي المولعة بالنباتات شجيرة صبّار رائعة، لكنها لم تجد لها مكاناً مناسباً في شقتها الصغيرة. ولاحظت عدداً من نبتات الصبار على شرفة منزل احد الجيران، فعنّت لها فكرة. قامت في منتصف الليل ولفّت الصبّارة باوراق صحف ووضعتها كأنها طفل لقيط - في مدخل ذلك المنزل، بعدما ألصقت عليها بطاقة جاء فيها: "أرجوكم، اعتنوا بي!"

وفي الصباح شاهدت الصبارة تتصدر رفيقاتها في مكان بارز على شرفة الجيران.

ج.ف.

كل شريك خفير!

برنامج "اعلام الشريك" يهدد بكسر حلقة اساسية في انتشار الايدز

التقيا للمرة الاولى في فبراير (شباط ١٩٨٣ في افتتاح صالة عرض فنية في بروكسل. جان - كلود س.، عازب وسيم في الثامنة والثلاثين من عمره، وآنيت ن.، كاتبة في الثلاثين صغيرة الجسم، انيقة ومطلقة. حصل اعجاب متبادل من النظرة الاولى، تبعه غزل عاصف من جان - كلود، وبعد أربعة اسابيع من اللقاءات قررا اقامة علاقات دائمة.

لم يكن جان - كلود ذلك العشير المخلص. فقد كان عمله مهندسا مدنيا في مصلحة دولية يبقيه بعيداً عن المنزل لعدة اسابيع، كل مرة، يمضيها عادة في افريقيا. وكان خلال هذه الاسفار يقيم علاقات عابرة مع نساء كيفما اتفق له ذلك. حتى في بروكسل، كان المهندس الدمث يخون صديقته تكراراً. اخيراً، في ابريل (نيسان) ١٩٨٥، طلبت منه آنيت ان يترك المنزل.

وبعد شهرين، زارت آنيت عيادة طبيب العائلة وهي تشكو نقصاً لا تفسير له في وزنها وانتفاخا في الغدد والتهاباً مستعصياً في جهازها التنفسي العلوي. وقد أظهر تحليل الدم انها مصابة بفيروس قصور المناعة (HIV)[1]، وأشارت الاعراض التي تعانيها الى ان الفيروس بدأ فعلا يغزو الكريات البيض ويضعف

(١) Human Immuno — deficiency virus

نظام الدفاع المناعي في جسدها، فاحيلت على الدكتور ناثان كلومك رئيس قسم الامراض المعدية في مستشفى سان بيير في بروكسل.

وابلغ الدكتور كلومك، وهو رجل نشيط في منتصف الثلاثينات من عمره، الى أنيت بلطف انها مصابة بالايدز، مرض قصور المناعة المكتسبة. فصعقت وصرخت: "ولكن ذلك مستحيل. ان جان - كلود هو الرجل الوحيد في حياتي منذ تطلقت قبل خمس سنوات، وأنا أكيدة أنه لم يكن لوطياً." الاكثر من ذلك، انها لم تحتج في حياتها الى نقل دم ولم يكن أي منهما يتعاطى المخدرات.

الحلقة البلجيكية. كان الناس في العام ١٩٨٥ لا يزالون يؤمنون بان الايدز مرض محصور في مجموعات معينة مثل اللوطيين ومتعاطي المخدرات بواسطة الحقن الوريدية. لكن الدكتور كلومك اوضح لأنيت: "ان ذلك ليس صحيحاً يا سيدتي." وهو كان تعامل مع مرضى بالايدز في بلجيكا وافريقيا حيث كان المرض متفشيا على نحو غير مكبوح. وقد اصبحت بلجيكا، بحكم علاقاتها مع مستعمراتها السابقة - زائير ورواندا وبوروندي - مركزاً رئيسياً لانتقال عدوى الايدز بين الذين يقيمون علاقات جنسية طبيعية. والواقع ان اعدادا كبيرة من المرضى الذين عولجوا في وحدة الايدز في مستشفى سان بيير التقطوا العدوى عبر اتصال جنسي طبيعي. ولاحظت منظمة الصحة العالمية ومراكز مراقبة الامراض في أمريكا تزايداً في أعداد المصابين بفيروس قصور المناعة، في دول غربية اخرى، بين الذين يقيمون علاقات جنسية طبيعية. مذذاك تصاعد هذا المنحى بسرعة كبيرة. وتفيد مصادر منظمة الصحة العالمية ان عدد الذين ثبتت اصابتهم بالفيروس حول العالم يراوح بين ٨ الى ١٠ ملايين شخص، التقط ٧٠ في المئة منهم العدوى عبر علاقات جنسية طبيعية. وتتوقع المنظمة انه بحلول السنة ٢٠٠٠ ستكون ٨٠ في المئة من حالات الايدز قد انتقلت، عبر هذه الطريقة، من مرضى الى اصحاء. ويحذر الدكتور كلومك من ان "فيروس قصور المناعة متجذر في المجموعات التي تمارس علاقات طبيعية، ومن أن الذين يتورطون في علاقات جنسية متعددة الطرف، من دون اعتماد وسائل الوقاية، هم عرضة اكثر من سواهم للاصابة به."

القاتل بالمرصاد. في البداية، اعتبر مسؤولون في مستشفى سان بيير قضية آنيت حادثة معزولة. ولكن الاشارة الاولى الى انهم قد يكونون في مواجهة حال تفش لمرض الايدز بين مجموعة تقيم علاقاتٍ جنسية طبيعية، برزت بعد اسبوعين عندما اثبتت التحاليل ان ثمة امرأتين اخريين مصابتان بفيروس قصور المناعة، الاولى طالبة جامعية في الثانية والعشرين اقتصرت حياتها الجنسية على

تجربتين: واحدة كمراهقة عندما عاشت قصة حب وجيزة، وأخرى مع مهندس "وسيم ومرح وإن اكبر سناً" امضت معه ليلة واحدة بعد أن التقته في احدى المحاضرات، قبل خمسة أشهر، وكان اسمه "جان - كلود س." اما المريضة الثانية فكانت محامية مطلقة في السادسة والثلاثين من العمر اخبرت الدكتور كلومك: "هناك مصدر وحيد ممكن لاصابتي." فقبل ثمانية أشهر تقريباً التقت جان - كلود س.، وهذه كانت العلاقة الوحيدة لها خلال أكثر من عامين. واستطاع الدكتور كلومك، من خلال بحث الموضوع مع زملاء له، تحديد هوية ضحية رابعة هي سكرتيرة في الثامنة والعشرين من عمرها صرحت ان جان - كلود هو آخر من عاشرت.

ادرك الدكتور كلومك في ذلك الوقت ان هؤلاء المصابين يواجهون احتمال خطر قاتل، وأوضح: "ان فيروس قصور المناعة، بخلاف العوامل المعدية الاخرى، يتطلب بين سبع سنوات او ثمان قبل ان يعلن وجوده." وهذا يعني ان شخصا نشيطا جنسياً مثل جان - كلود يملك الوقت الكافي لنقل العدوى الى نساء كثيرات قبل ان تظهر عليه هو اعراض الايدز، وتصير النساء اللواتي التقطن الفيروس، بدورهن، ناقلات لعدواهن الساكنة الى الآخرين.

اعلام الشريك. هل ثمة وسيلة لقطع حلقة الانتقال هذه؟

كان كلومك يعرف ان لدى كل من منظمة الصحة العالمية ومراكز مراقبة الامراض في أمريكا ما يدعى "برامج اعلام الشريك" لوقف انتشار الامراض التي تنتقل جنسيا مثل السيلان وداء الزهري. وتستهدف هذه البرامج اقناع المرضى بتحديد هوية شركائهم لتحذيرهم من اصابات محتملة، ونصحهم بالخضوع لتحاليل واستشارات ومعالجة.

لماذا اذاً لا يطبق البرنامج نفسه في حالة فيروس قصور المناعة؟

السبب هو أن اعراض العدوى في الامراض الاخرى تُبان خلال ايام ما يجعل اقتفاء اثر الشركاء اسهل كثيراً. اما في حالة فيروس قصور المناعة فان انتشار الفيروس يستلزم وقتا طويلا. وقد دلت الابحاث التي أجريت في أمريكا على انه لم يكن غريباً، في مطلع الثمانينات، على لوطيين يحملون الفيروس، من دون اعراضه، ان يقيموا اتصالات بعشرة شركاء او اكثر خلال اسبوع، فينتهي ٢٠ الى ٥٠ في المئة من هؤلاء حملة للفيروس. ويتذكر الدكتور كلومك: "الانطباع الاول الذي تكوّن لدي هو انه لن يتوافر لنا المال او العنصر البشري الكافي لايجاد وإن عدد يسير من شريكات جان - كلود واخضاعهن للفحص."

وعلى رغم ذلك، فكر كلومك في ان مبدأ إخبار الشريك قد يساعد في كسر حلقة الانتقال هذه. وتطورت اعراض الايدز في المرضى الاربعة بسرعة غير عادية، ما

يشير الى ان جان – كلود، "المريض المؤشر"[٢]، هو اما ناقل فاعل للعدوى او انه يمتلك سلالة خبيثة من فيروس قصور المناعة. وفي كلتا الحالين، يقصر المدى الزمني بين اقامة الاتصال الجنسي وظهور اعراض الايدز. وهكذا ينقص عدد الاشخاص الذين يمكن ان تتوافر لهم فرصة نقل العدوى الى شركاء جدد.

اتصل الدكتور كلومك من غير ان يكشف مصادره، بجان – كلود في يوليو (تموز) ١٩٨٥ وابلغ اليه ان لدى عيادته اسباباً تدعو الى الاعتقاد انه اقام علاقة جنسية مع امرأة مصابة، مخفياً امكان وجود فيروس قصور المناعة لديه، وتقصّد قول ذلك تحاشياً لاصابة جان – كلود بالذعر. واقترح الدكتور كلومك ان يلتقي جان – كلود خارج العيادة لمتابعة البحث في الامر.

التقى الرجلان في مقهى قريب، فاصغى جان – كلود بانتباه الى شرح الدكتور كلومك ووافق على الحضور الى العيادة لاجراء تحاليل دم. وعندما اظهرت النتائج انه يحمل فيروس قصور المناعة، هزّ جان – كلود رأسه وكأنه يتوقع النبأ. واوضح انه امضى اربعة اسابيع خلال شهر يوليو (تموز) ١٩٨٠ في افريقيا الوسطى حيث التقى بضع نساء غير متزوجات. ويذكر انه، بعد عودته الى بروكسل، عانى "فترة مرض قصيرة رافقتها حمى عاليه وورم في الغدد." لكن حاله تحسنت الى أن شعر منذ ايام قليلة بتوعك بسيط. وقد اكتشف الاطباء الذين عاينوه التهاباً عاماً في الغدد اللمفاوية وتعداداً عالياً جداً للكريات البيض في دمه.

واوضح كلومك لجان – كلود انه اذا زود العيادة اسماء شريكاته، فقد يستطيع العاملون فيها مساعدتهن. وقدّر جان – كلود انه كان يقيم قرابة عشرين علاقة سنوياً موزعة على قارتين، واستطاع ان يتذكر اسماء ١٧ شريكة فقط، جميعهن في بلجيكا.

تسلّم مارتين شوماخر الذي كان تلقى تدريباً على العمل الاجتماعي، عناوين تلك الشريكات وارقام هواتفهن وراح يتصل بهن. وقد شملت اللائحة مصوّرة فوتوغرافية وموظفة في مصرف وبضع مدرسات وممرضتين قانونيتين، وقد اعطت معظمهن اسم جان – كلود على انه المصدر الممكن الوحيد للاصابة على رغم عدم ذكر اسم المخبر او تاريخ اللقاء.

وحُددت هوية ١٥ شريكة – اضافة الى الاربع اللواتي حددهن جان – كلود أساساً – ارتبطن بالمهندس وتم الاتصال بهن فوافقن جميعهن، ما عدا واحدة، على اجراء تحاليل دم، واثبتت التحاليل ان ١١ منهن يحملن الفيروس، بينهن ستة اقمن علاقات جنسية مع شركاء جدد، بعد اصابتهن. وظهر ان واحداً فقط من هؤلاء الرجال يحمل الفيروس. "كنا محظوظين"، يقول الدكتور كلومك، "ان

(٢) المصاب الذي يشكل الحلقة الاولى في سلسلة انتقال مرض ما Index Patient

هؤلاء النسوة لم يكنّ ممن يكثرن الاتصال الجنسي." ونتيجة لذلك، حُصر الفيروس في مجموعة صغيرة نسبيا.

قضى الايدز، وقد استشرت اعراضه، على آنيت والمحامية خلال ١٨ شهراً، فيما عاشت اربع او خمس نساء لسنوات بعد التقاطهن الفيروس. ومنذ ربيع ١٩٩١، تعيش واحدة فقط من المجموعة الاساسية من دون اي اثر للايدز. اما جان – كلود فقد توفي في يونيو (حزيران) ١٩٨٦ من جراء التهاب في الدماغ مرتبط بالايدز. في هذه الاثناء يتابع الدكتور كلومك ومارتين شوماخر تقفي آثار مجموعات جديدة من المصابين بفيروس قصور المناعة.

اخبار جيدة. هل تستطيع برامج "إخبار الشريك" وضع حد لطوفان الايدز بين اللوطيين والسحاقيات والذين يتعاطون المخدر عبر حقن وريدية؟

في الواقع، اعطى مثل هذا البرنامج نتائج ملحوظة بين الافراد الذين يرفع سلوكهم من درجة تعرضهم للاصابة في كل من النروج واسوج (السويد.)

تعود طريقة الوقاية من الايدز التي اعتمدتها النروج، الى العام ١٩٨٥ عندما انشأ الدكتور جورج بيترسون، وهو طبيب صحة عامة، عيادة لمرضى الايدز في اوسلو. وشاع في اوساط اللوطيين في المدينة ان العيادة تؤمن استشارات وتحاليل مجانية وسرية للتأكد من وجود فيروس قصور المناعة. واظهرت الفحوص ان ١٩٠ من الذين اخضعوا لها بين عامي ١٩٨٦ و١٩٨٩ يحملون الفيروس. وقد ضمت المجموعة، الى لوطيين، افراداً يمارسون الجنس على نحو طبيعي وآخرين يمارسونه مع شركاء من الجنسين، ومتعاطي مخدرات بواسطة الحقن الوريدية وعواهر. ولدى سؤالهم عن شركائهم، رفض ثلاثون منهم، او هم لم يستطيعوا، تحديد هوية شركائهم، ولكن الباقين اعطوا اسماء ٢٢٥ شريكاً، وتولى كثيرون ممن ثبت انهم يحملون الفيروس اعلام شركائهم، وفي الحالات المتبقية، بعث مسؤولون في العيادة برسائل مسجلة تقول: "لقد تم ابلاغ هذه الدائرة انك ارتبطت بعلاقة مع شخص يحمل فيروس قصور المناعة. اننا نوصيك باجراء تحاليل دم واستشارة طبيب."

ومن بين الذين ابلغت اليهم الرسائل، ١٧٢ شخصاً تقدموا لاجراء تحاليل دم وظهر ان ٦٥ منهم يحملون الفيروس. يقول الدكتور جان كريستوفيرسن وهو كبير الاطباء في دائرة الصحة في النروج ومدير العيادة حتى مطلع هذه السنة: "لقد ابلغ الينا نصف الذين ثبت انهم يحملون الفيروس، على الاقل، انهم لم يكونوا يدركون انهم تعرضوا لخطر الفيروس." ويضيف: "لا دليل عملياً على ان البرنامج يمكنه وحده الحد من انتشار الفيروس، ولكن ان هو استطاع منع شخص واحد مصاب من نقل العدوى، فسيكون جديراً بالمحاولة."

وفي اسوج، البلد الوحيد الذي يفرض

فيه القانون اعلام الطرف الآخر بأنه مصاب، استُخدم البرنامج على مدى عقود فكان وسيلة ناجحة لمنع انتشار الامراض المعدية. وبدءاً من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥، اضيفت الاصابة بفيروس قصور المناعة الى قائمة الامراض التي يشملها القانون.

وجاء المثال الاسوجي الاول على فاعلية برامج تتبع الشركاء قطعاً لدابر العدوى من مدينة سندسفال الصغيرة شمال استوكهولم. يقول الدكتور كريستر فرانزن: "نتوقع فيروس قصور المناعة عادة في المدن الكبيرة حيث يتجمع الافراد الاكثر تعرضاً." ولدهشته، كشف مسح روتيني خلال حملة تبرع بالدم في العام ١٩٨٥ رجلا يحمل فيروس قصور المناعة. وعندما اكدت الفحوص اللاحقة وجود الفيروس، بدأ الدكتور فرانزن عملية التحقيق وتقفي الاثر.

في العام ١٩٧٩، نزل بحار في سفينة تجارية اسوجية الى بورت – او – برنس، عاصمة هاييتي حيث التقى امرأة في احد المقاهي. ولدى عودته الى اسوج، بدل عمله واستقر في سندسفال. منذ ذلك التاريخ اقام علاقات مع سبع نساء اسوجيات، الا ان واحدة من هؤلاء اقامت لاحقاً علاقة مع شريك جديد هو المتبرع بالدم. ولدى متابعته الاثر، تمكن الطبيب من إيجاد البحار الذي ثبت انه ناقل فاعل للعدوى كذلك هو اهتدى الى النسوة السبع، وكانت اصاباتهن انتقلت بدورها الى رجلين وطفلين. وعندما تم الاتصال بافراد هذه المجموعة بدوا خالين من اي اعراض مرضية وغير مدركين اي خطر. لكنهم بحلول الربيع الفائت باتوا، باستثناء رجلين، يعانون الايدز. كما توفيت امرأتان وأحد الاطفال من امراض تسبب فيها قصور المناعة. يقول الدكتور فرانزن: "لا شك في انه لولا إعلام الشركاء، لكان الفيروس اصاب شركاء جدداً وبدأ عدة حلقات انتقال جديدة."

هل كان للاعلام الالزامي للشركاء في اسوج اي تأثير على المعدل الاجمالي لانتشار الايدز هناك؟

يلاحظ الدكتور جوهان جيسيك من دائرة علم الاوبئة الاسوجية ان "الوقت لا يزال مبكراً لاستخلاص أي نتائج." مع ذلك، استطاع الباحثون خلال دراسة اجريت في العام ١٩٨٩ تتبع ١٤٥٦ شريكا انطلاقا من ٤٦٣ مصاباً أساسياً. ومع تعذر تقصي أثر بعضهم، فقد ثبت ان ١٥ في المئة من الباقين يحملون فيروس قصور المناعة. واذا ما نظرنا الى كل مصاب كحلقة اولى محتملة في سلسلة انتقال جديدة، ندرك فاعليه برنامج اعلام الشريك كاداة لمنع انتشار فيروس قصور المناعة.

وفي بريطانيا، استهدف برنامج اعلام الشريك في الأساس ضبط انتقال فيروس نقص المناعة بين اللوطيين ومتعاطي المخدرات بواسطة الحقن الوريدي. لكنه، منذ ١٩٨٦، شمل ايضاً انتقال العدوى بين الذين يمارسون الجنس طبيعياً. والآن يُنصح كل الذين يحملون فيروس

قصور المناعة باعلام شركائهم في الجنس أو في استعمال الحقن الوريدية وحضّهم على زيارة ما يزيد على مئتي عيادة توفر المشورة الطبية والفحوص اللازمة بكتمان شديد. ونتيجة هذه الاجراءات يبدل معظم الشركاء من سلوكهم الخطر فيقطعون بذلك سلاسل انتقال العدوى.

يقول خبراء في منظمة الصحة العالمية أن نجاح برنامج إعلام الشريك يستلزم القبول الطوعي ومراعاة العناصر الآتية:

■ نظام طبي يؤمن فحوصاً ومعالجة مجانيتين، والا تفادى كثيرون ممن هم عرضة للخطر كشف امرهم فيفوت الاوان على منع انتشار الفيروس او حصولهم على معالجة فاعلة.

■ خدمات مساندة مناسبة تستطيع تقديم المشورة والتثقيف اللازمين.

■ سرية في التعامل، شفاهاً او من خلال التقارير المكتوبة، لحماية هوية المريض الاساسي وشركائه من رؤسائه في العمل ومن السلطات، ومن بعضهم بعضاً، وضمان احترام حقوقهم الانسانية وكبريائهم.

في معزل عن تحاليل الدم، قد يبقى الذين يحملون فيروس قصور المناعة سبع سنوات او اكثر وهم يجهلون حقيقة وضعهم. ان هذا المدى الزمني حيوي لتحديد هوية كل من المريض الأساسي وشركائه وحضهم، على الاقل، على اتخاذ الاجراءات الوقائية التي تمنع انتشاراً اضافياً للايدز. ومتى ادرك هؤلاء انهم يحملـون الفيروس، فسـوف يبدأون استخدام العقاقير الجديدة التي تؤخر ظهور الامراض المرتبطة بالايدز.

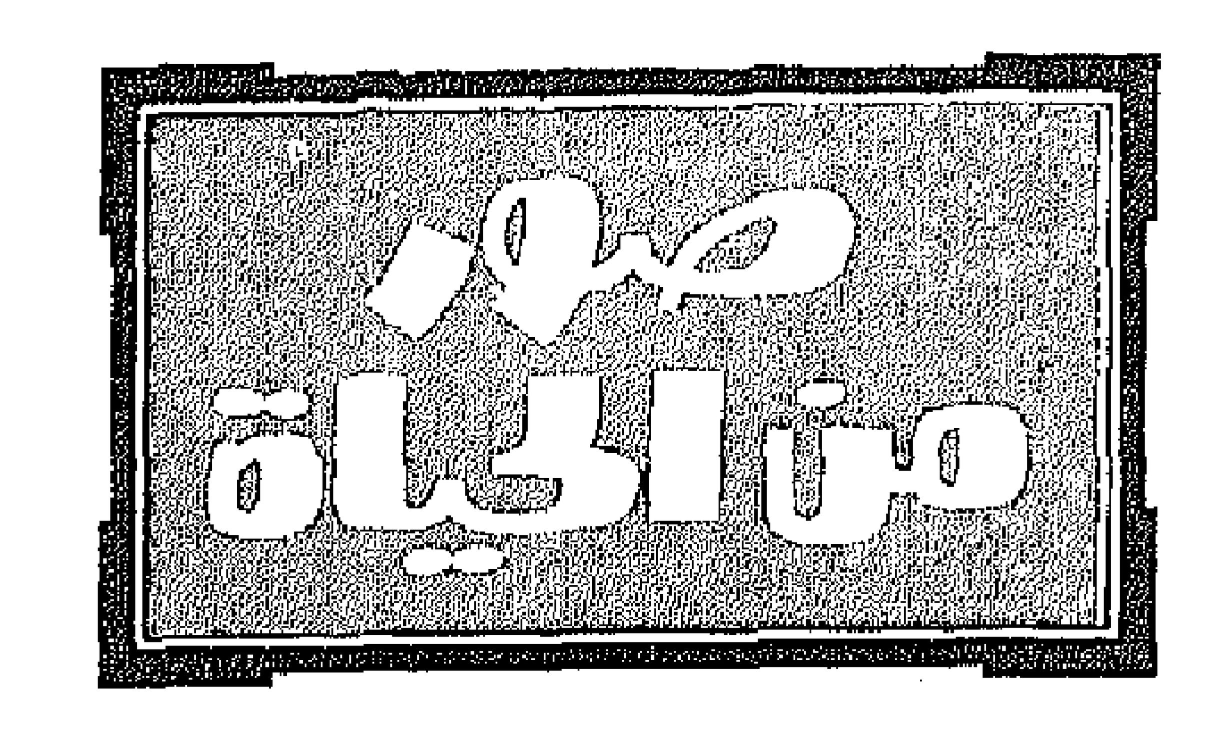
تقول الدكتورة مارغريتا بوتيغر، وهي عالمة اوبئة اسوجية وواحدة من رواد اجراءات الوقاية من الايدز: "ان برنامج اعلام الطرف الآخر ليس حلا شاملا، لكنه يستطيع ان يكون وسيلة فاعلة لقطع سلاسل انتقال فيروس قصور المناعة. علينا ان نستخدم كل وسيلة متاحة الآن، وإلا خرّ مئات الالوف صرعى الايدز في نهاية القرن."

ستانلي انغلبارت ■

"عريس" ميكانيكي

يضطرني عملي كممثل الى تغيير ملابسي على عجل للانتقال من مشهد الى آخر. وذات مرة، بعد مشهد زواج مثّلت فيه دور العريس، تسنت لي استراحة لمدة ساعة أؤدي بعدها دور عامل ميكانيكي. فذهبت خلال الاستراحة الى محطة وقود لتغيير زيت محرك سيارتي. وهناك دخلت دورة المياه (التواليت) فنزعت البذلة الرسمية السوداء وارتديت بزة عامل ميكانيكي. وحين رآني ناظر المحطة ناولني مفاتيح السيارة واسرّ الي: "لا تقلق يا سيدي. اذا جاءت عروس الى هنا في سيارة ليموزين، فسأقول لها اني لم اشاهدك ابداً."

ن.ل.



كيف نسمي أولادنا

■ عمتي سعاد امرأة تتمسك، عن حكمة، بالتقاليد الموروثة. وهي سمَّت أولادها الستة ليلى وسامي وهاني وسناء وحبيب ومنى، أسماء طالما اعتبرتُها عادية جداً. لذلك أتحفتها بمقدمة طويلة قبل أن أخبرها عزمي على أن ادعو ابني البكر هنيبعل.

قالت لي عمتي: "دعيني أعلِّمك كيف تسمين أطفالك. اخرجي الى فناء بيتك ونادي الأسم الذي ارتأيته بأعلى صوتك ست مرات. وتخيلي أنك سوف تسمعينه يتردد هكذا للسنوات الخمس عشرة المقبلة. فان ظل الاسم يروقك، فليكُن."

ففعلت ما نصحتني به عمتي ودعوت المولود زياد.

هاتف شتراوس

■ حين بدأت عملي الجديد اشتريت لمنزلي آلة للرد على المكالمات الهاتفية وسجلت عليها رداً مع لحن موسيقي جميل لشتراوس. وبتُّ لدى عودتي من العمل أستمع الى المكالمات المسجلة. وسرعان ما لاحظت أن أحدهم يتصل بي كل يوم من دون أن يترك رسالة.

وبعد شهر سجلت رداً جديداً واخترت لحناً موسيقياً آخر. وعدت في المساء لأسمع الرسالة الآتية: "سيدتي، منذ اتصالي خطأ برقم هاتفك وأنا أكرر الخطأ لكي أتمتع بسماع هذا اللحن الرائع من موسيقى شتراوس. لكنك الآن حرمتني هذه المتعة!"

م.س.

هوايات المراهقة

■ ابنتي المراهقة مولعة بتجفيف الاعشاب، حتى باتت غرفة نومها أشبه بمرج زهور. وذات يوم منعتها من الخروج من البيت قبل أن تنظف غرفتها من خليط النبات. وترقبتُ منها عبوساً وثورة احتجاج.

لكني دهشت حين انصرفت من دون أن تنبس بكلمة. ورحت أتنصَّت علّني أسمع صوت المكنسة الكهربائية، فلم أسمع شيئاً. فدخلت غرفتها، فوجدتها قابعة على الارض تراقب أرنبين يقضمان الاعشاب بصمت وهدوء.

ي ف

عمل حقيقي!

■ انتقلت وزوجي للسكن في كوخ ريفي ناء. فاتصلنا بمقاول محلي لكي يتولى تسوية الارض حول الكوخ ويقطع بعض الاشجار. ودعوت زوجته يوماً الى شرب القهوة، فراحت تحدثني عن الاعمال التي يقومان بها، كقطع الحطب وحفر الآبار وبناء الاسوار وتربية المواشي والتخييم في العراء. أخبرتني عن مغامرات الصيد معاً، وكيف كادت الدببة تفترسهما مرة، وأنهت حديثها بالقول انهما ربيا ستة أولاد. ثم سألتني: "وأنتِ، ماذا يعمل زوجك؟"

أجبتها بفخر: "انه كاتب."

فقالت وهي تهز كتفيها: "أعرف ذلك، لكن ماذا يعمل؟"

ق.ت.

أوروبـا... تأهـبي

مع اقتراب موعد رفع الحواجز الجمركية نهائياً بين دول المجموعة الاوروبية تلح الحاجة الى تدابير فاعلة لمحاربة المخدرات

ماسيميليانو ديرامو، شاب في الحادية والعشرين مدمن للمخدرات. سرق ساعة والده الذهبية لبيعها وشراء هيرويين بثمنها. وما كان منه، حين أنّبه والده على فعلته الشائنة، الا أن انهال عليه طعناً بسكين مطبخ وتركه جثة هامدة على ارض غرفة النوم. ثم خرج ومعه الساعة ومسجّلة فيديو باعهما في شوارع ميلانو وفرّ هارباً الى خارج البلاد. وفي اليوم التالي اوقفه رجال الشرطة في برشلونة بتهمة الاتجار بالمخدرات.

وفي مدينة بادوا الايطالية بادر عدد من الامهات اللواتي هالهن تحول بناتهن الى الدعارة لشراء الهيروين، الى تأليف لجان محلية أخذت على عاتقها توعية الرجال المتسكعين في الشوارع وتسجيل أرقام السيارات التي تنقل بناتهن لممارسة الدعارة. وكافحت هؤلاء الأمهات سنوات، لكن اللامبالاة العامة وقصور الادارات الرسمية دفعهن في النهاية الى اليأس والتخلي عن مساعيهن. ويوصف وضع المخدرات في ايطاليا الان بانه أسوأ مما عرف في اي وقت.

وفي محيط محطة سكة حديد هامبورغ الرئيسية يبيع الصبيان المراهقون انفسهم لرجال اكبر سناً لشراء المخدرات. كما نجد في هذا المعترك لاعبين أصغر سناً، ومن هؤلاء فتاتان، واحدة في الحادية عشرة واخرى في الثانية عشرة قبض عليهما في اشبيلية لبيعهما الهيروين.

وفي باريس تباع المخدرات في محطات المترو حيث يلجأ المتعاملون بها الى الاسلحة النارية لتسوية الخلافات على مناطق النفوذ، وحيث المجال واسعا للاختباء من الشرطة.

وفي اماكن سكنية جنوب لندن تمرّ اسابيع من دون ان يدخلها باعة الحليب وسعاة البريد ويرفض سائقو سيارات الاجرة ولوجها خوفا من باعة المخدرات والمدمنين واللصوص والقتلة.

وفي هولندا تعتمد سياسة لا تعتبر تناول المخدرات، لاغراض ذاتية، جريمة. ولكن، وإن ادعت السلطات هناك ان سياستها تحظى بتأييد عارم، فقد ثار مواطنون في احدى ضواحي ارنهايم عام ١٩٨٩ واحدثوا شغبا محاولين طرد باعة المخدرات والمدمنين من بلدتهم.

وأصبحت مثل هذه القصص أمراً شائعاً في مختلف أنحاء أوروبا. وبنتيجتها تتحطم حياة كثيرين غالبيتهم من الفتيان والفتيات الذين أغراهم أصدقاؤهم أو زملاؤهم بتعاطي المخدرات فتحولوا الى الادمان.

الحلم الذهبي. مرّ وقت طويل والاوروبيون شاخصون باعتداد الى امريكا وهم يرون رعب المخدرات يجتاح نيويورك وميامي ولوس انجلس، واثقين انها لن تلوّث مدنهم. ولكن تبدل الوضع الآن، فإزاء الانتاج الوافر وانخفاض الارباح تحول اهتمام تجار المخدرات الى اوروبا التي غزوها فاكتشفوا فيها سوقا مناسبة في حاجة الى تطوير. انها كبرى اسواق العالم واكثرها وفرة بالسيولة النقدية. وهي حلم كل تاجر مخدرات.

ولا بد ان نجاح تجار المخدرات في اوروبا فاق كل توقعاتهم الجشعة، اذ إن عدد المدمنين في دول المجموعة الاوروبية وحدها يقدر بأكثر من مليونين. وقد ارتفعت، على نحو كبير، كميات الهيروين المصادرة من ٤١٠٠ كيلوغرام عام ١٩٨٨ الى ٤٩٠٠ عام ١٩٨٩ فالى ٦١٧٠ كيلوغراماً عام ١٩٩٠. اما في ما يعود الى الكوكايين، فان الصورة تبدو اكثر سوءا. ففي العام ١٩٨٧ صودر ٣٦٠٠ كيلوغرام. وقد ارتفعت الكميات المصادرة العام الفائت الى ١٢،٩٠٠ كيلوغرام. وتحذّر السلطات الاوروبية المختصة من ان الكميات المصادرة لا تمثل الا عشرة في المئة من المخدرات التي تتدفق عبر الحدود.

في العام الفائت قضى ١٤٧٨ المانيا من جراء تناولهم جرعات مفرطة من المخدرات. وفي ايطاليا يحقن ٣٠٠ الف من المدمنين اوردتهم يومياً بالهيروين مع ان الكنيسة والروابط العائلية تفترض تحصين الناس ضد خطر الادمان. وقد توفي في العام الفائت ١١٤٩ من جراء الادمان.

اما تنفيذ أحكام القانون في شأن المخدرات فمشكلة فريدة في ذاتها لأن للجرم، في الغالب، طابعا دولياً.

والمخدرات هي من التجارات الضخمة اذ يفوق مردودها، بكثير، ريع اي من الشركات المسجلة في أسواق الأسهم العالمية.

وبحسب الاستقراءات الامريكية واستنتاجات منظمة الامم المتحدة، تقدر ارقام مبيعات المخدرات هذه السنة

بـ ٥٠٠ مليار دولار. ومع تحقق السوق الاوروبية الواحدة في السنة ١٩٩٣ والغاء الحدود في اوروبا الموحدة، سيسهل الاتجار بالمخدرات، مما يؤدي الى تدني اسعارها من جهة، وزيادة عدد المدمنين، من جهة اخرى.

ثغرات في الدفاع. يواجه الاوروبيون أزمة هم غير مهيأين لمكافحتها. فعلى رغم التقدم في التنسيق بين الدول لا تزال ثمة ثغرات كثيرة في دفاعاتها يستغلها يوميا تجار المخدرات. وهم استطاعوا، في الواقع، انشاء "سوقهم المشتركة" باعتماد التكتيك الاقدم المعروف بـ"فرِّق تسُد."

فقد اعددت قبل خمس سنوات وبصفة كوني مقرراً في لجنة البرلمان الاوروبي للتحقيق في قضايا المخدرات، تقريراً مفصلاً عن انتشار المخدرات وحذرت من ان وراءها منظمات اجرامية لها من القوة ما يكفي للتأثير في الانظمة السياسية والاقتصادية في تلك القارة. ونددت آنذاك بتقاعس الدول الاعضاء في المجموعة الاوروبية عن الاعتراف بمدى خطورة المشكلة. كان الوضع عام ١٩٨٦ سيئاً أما اليوم فقد ازداد سوءا على سوء. والتدابير التي اتخذت كانت هزيلة جدا ومتأخرة جداً.

وهولندا هي محور الاهتمام في قضية المخدرات لانها تعتبر، وفق مكافحي المخدرات المحترفين، المركز الرئيسي في اوروبا لتخزين المخدرات واعادة تصديرها. ثم إن تساهلها الكبير في اباحة تعاطي المخدرات يشكل تناقضاً فاضحا ومواقف بقية دول المجموعة الأوروبية. لذلك فان اي بحث جدي في اسلوب التعامل مع موضوع المخدرات يجب ان يبدأ بتقويم المثال الهولندي: أهو سوي لدول اوروبا ام هو خاطىء؟

وتساوي هولندا متعاطي المخدرات بمتعاطي التدخين والكحول. والحجة في ذلك، كما يؤكد مسؤولون هناك، ان نظامهم يبقي المدمنين ضمن المجتمع من طريق السماح لهم بمتابعة عادتهم جهاراً فيما هم يفيدون من برامج الارشاد الوطني وإعادة التأهيل وتناول جرعات "الميثادون"[1] المجانية والحصول على إبر حقن نظيفة درءاً لانتشار مرض الأيدز. والميثادون هو أفيون اصطناعي يساعد في الحلول محل الهيرويين ويخفف من الأعراض الناجمة عن ايقاف الادمان.

لكن، على رغم كل هذه الحجج الرائعة، ما زال عدد من الفتيات الهولنديات يمارسن الدعارة من اجل شراء الهيرويين، وما زال المدمنون اليائسون يتحلقون حول المحطة المركزية في أمستردام وفي مناطق اثرية أخرى مثل النيو ماركت.

ان السياسة الهولندية غريبة في تناقضها. فهي تتغاضى عن تعاطي الهيرويين والكوكايين، وتمنع، في الوقت نفسه، بيع هاتين المادتين تماما. فمن

(١) Methadone

أين تأتي المخدرات إن لم يكن من طريق البيع؟ الى ذلك، يتحول المدمنون، على نحو شبه حتمي، إلى بائعي مخدرات صغار لاشباع رغباتهم. وهذه حلقة جهنمية مفرغة ذاتية الاستمرار.

ويصنّف الهولنديون المخدرات فئتين: منتجات القنّب "الخفيفة" مثل الماريوانا والحشيش التي يسمح ببيعها علناً، والمخدرات "القوية" مثل الهيروبين والكوكايين التي يسمح باستخدامها ولكن يحظر بيعها. وهذا هو العنصر المربك في القضية. إذ قد لا تكون مستحضرات القنب مسببة للادمان دوماً، لكن تكرار تعاطيها قد يؤدي الى اذى خطير للصحة، كما أن التساهل بأمرها يوفر بيئة مخدرات تسهّل انزلاق الشباب الى اختبار مخدرات أقوى. وما يبدأ استعمالا "عرضيا" للهيروبين يغدو شركا لا خلاص منه إذ إن الاستخدام العرضي هو كالانتحار العَرَضي. ويدافع الهولنديون عن نظامهم ويصفونه بانه سديد وفاعل ولكني مقتنع بأنه غير مقبول في بقية انحاء اوروبا، لا عملياً ولا أخلاقياً.

توصيات للمستقبل. خلال الابحاث التي اجريتها لاعداد تقريري الى البرلمان الاوروبي، قابلت ضباطا من دوائر الجمارك والشرطة وعلماء اجتماع وسياسيين ورجال دين واطباء وعدداً آخر ممن يعالجون يوميا مشاكل المخدرات. ومذذاك زادتني اختباراتي قناعة انه اذا كان لنا ان نبطىء المد القاتل المتنامي ونعكس اتجاهه، يتعين علينا اتخاذ اجراءات صارمة، منسّقة، فاعلة وشاملة.

وهذه توصياتي:

١. التنسيق البيروقراطي. على كل دولة اوروبية انشاء دائرة لمكافحة المخدرات على نسق "وحدة المخابرات الوطنية للمخدرات" (NDIU) التي انشئت عام ١٩٨٥ في بريطانيا. وتتألف هذه من ١٠٣ عملاء بينهم ضباط من الشرطة والجمارك يعتمدون في عملهم على عقول الكترونية متطورة. والوحدة هي، في آن، مركز لتبادل المعلومات وفريق من المحللين المتخصصين مهمتها غربلة المعلومات الواردة يوميا وانتقاء ما هو وثيق الصلة بالمخدرات وتحليلها وصوغها في اسلوب قانوني يتيح لدوائر الشرطة والجمارك الافادة منها في القضاء على عصابات المخدرات.

والوحدة البريطانية هي، في آن، "رادار" يرشد الى سبل العمل وحكَم يفصل في النزاعات بين دوائر الشرطة والجمارك التي تسلك احيانا مناهج متعارضة في ما بينها.

ان النجاح في مكافحة الجرائم الرئيسية يحتاج الى فريق عمل متخصص. لذلك فإن الخطوة المنطقية التالية تقضي بتشكيل وحدة مخابرات اوروبية خاصة بالمخدرات مهمتها توحيد عمل الوحدات الوطنية وجعل المكافحة مهمة دولية، أسوة بتجار المخدرات

الدوليين الذين يستغلون التضارب في القوانين والنزاعات الداخلية بين مختلف الدوائر. وستكون الوحدة الاوروبية قوة صغيرة حسنة التنظيم والتجهيز، وليس مجرد دائرة بيروقراطية، تتخطى الاجراءات الادارية الروتينية وتركز جهودها على المكافحة.

وبما أن للوحدة هذه عملا تنسيقيا محضاً، فهي لا تحتاج الى اكثر من ٣٠ او ٤٠ محللا يستخدمون بنكاً الكترونيا للمعلومات يُحظر استخدامه الا في حال الحاجة الى معلومات. وهي تعمل على مدى ٢٤ ساعة في اليوم وتزود القيّمين على تنفيذ القوانين الصور الجانبية للمهربين فضلا عن بصمات الاصابع وارقام السيارات وانواعها، اضافة الى معلومات عن تحركات السفن والطائرات المشتبه بها وتفاصيل حديثة عن أنماط تحرّك المجرمين. وفي ليون بفرنسا الآن مختبر وطني للمخدرات يقدم بانتظام الى رجال الشرطة الاوروبيين تحاليل مصنفة ومقارنة لعينات من المخدرات المصادرة. لذلك يجب الافادة من بنك المعلومات هذا واستثماره وتوسيعه بالتعاون مع وحدة المخابرات الاوروبية.

٢. توحيد قوانين المكافحة. لا تزال قوانين مكافحة المخدرات والاحكام التي تصدر في شأنها متباينة جدا في اوروبا. ففي مياه اوروبا الاقليمية تراوح المسافات المجاز ضمنها ملاحقة المهربين بين ٦ اميال بحرية و٢٤ ميلا، وهي تختلف بين بلد وآخر. وفي بريطانيا، تجيز القوانين اصدار أحكام بالسجن مدى الحياة على كبار المهربين من دون حق في العفو، فيما تصل العقوبة القصوى في اسبانيا الى ١٢ سنة قابلة للخفض الى ست سنوات ويوم واحد، اذا اظهر المحكوم حسن سلوك. لذلك تحتاج المجموعة الاوروبية الى احكام موحدة تحول دون لجوء مهربي المخدرات الى البلدان الأكثر تسامحاً.

والتباين في القوانين يعقّد عملية تبادل المجرمين. فهناك، من حيث المبدأ، تعاون قائم بين دول المجموعة الاوروبية لتبادل المجرمين لكن الاجراءات مضنية وغير متماثلة. إلا أن التوصل الى معاهدة تسليم منظمة للمتهمين وموحّدة للأحكام يضمن تنفيذ العقوبات التي يستحقها المهربون بصرف النظر عن الدولة التي ينتمون اليها أو البلاد التي ارتكبوا جرائمهم فيها. انني احبّذ انزال أقصى العقوبات في منظمي تجارة المخدرات، فالتجار الكبار يستحقون عقوبة السجن المؤبد.

٣. تشديد الرقابة على الحدود. خفضت المجموعة الاوروبية الآن تدابير التدقيق الامنية والجمركية على حدودها الداخلية. وفي اول يناير (كانون الثاني) ١٩٩٣ سيلغى ما تبقى من تدابير. وذلك يعني، على سبيل المثال، انه اذا انزل قارب صيد سمك تركي حمولة من الهيروييين في احدى الجزر اليونانية فان

هذه المخدرات مرشحة للانتقال، من دون الكشف عليها، الى اي مكان ضمن دول المجموعة. وتقضي المكافحة، في مثل هذه الحال، بتركيز الرقابة الجمركية على الحدود الخارجية لدول المجموعة، وهذا الامر يتطلب، مثلاً، تنظيم برنامج لنقل موظفي الجمارك من الحدود الداخلية للقيام بمهمات على الشواطىء او في المطارات. ومن الواجب تزويدهم اعداداً وافرة وحسنة التجهيز من الزوارق السريعة والسيارات والرادارات واجهزة تعمل بالأشعة السينية، اضافة الى معدات للرؤية الليلية. وهذا امر مكلف يستوجب من الدول الغنية مساعدة الفقيرة. ولكن بحلول السنة ١٩٩٣، يجب ان يكون برنامج أمن الحدود الخارجية قد اخذ طريقه الى التنفيذ.

ان تحسين سبل استهداف البضائع المشتبه بها يساعد ايضاً، اذ يستحيل، مثلاً، تفتيش ٤٠ الف سيارة تخترق يوميا معبر باد ريخنهول الالماني الرئيسي الى النمسا، او تفحص ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ مستوعب تُنقل يوميا عبر مرفأ روتردام. لذلك يحدد ضباط الجمارك والحدود أهدافهم بكشف علامات التزوير والمخالفات في وثائق النقل والتصريحات التجارية وارقام المستوعبات وما شابه. ففي روتردام، مثلاً، يغربل ضباط التحليل الجمركي عدد المستوعبات المستوجبة التدقيق الى ستة او سبعة مستوعبات يجدون في اكثر من نصفها بضائع مهربة. لذلك يجب أن يتوافر في الموانيء الرئيسية "هدَّافون" أكثر عدداً وأوفر تدريبا مثل هؤلاء.

٤. مصادرة الاموال القذرة. يسعى مجرم المخدرات الكبير الى البقاء ابعد ما يمكن عن العمليات التي ينظمها. ولكن لا يسعه الا المحافظة على امواله والبقاء قريبا منها، فيوظف ارباحه في اعمال مشروعة كالعقارات والاسهم المالية والمطاعم. لذا يتعين ضربه في المكان الأشد إيلاما، أي محفظته. ففي امكاننا استخدام سلاحين لهذه الغاية هما ميثاق منظمة الامم المتحدة الذي وُقِّع عام ١٩٨٨ في فيينا، وتعليمات المجموعة الاوروبية الاخيرة التي تلزم المصارف والمؤسسات المالية الافادة عن الكميات الكبيرة من الاموال التي تتدفق اليها وكشف هوية اصحابها. وقد نفذت في سويسرا واللوكسمبور، وهما مركزان رئيسيان للاعمال المصرفية، اجراءات مشددة اعطت ثمارها. لكن اسبانيا والبرتغال وهولندا وبلجيكا والمانيا امتنعت الى الآن عن اتخاذ تدابير مماثلة. وهذا أمر لا يمكن التساهل فيه، إذ يجب الضغط على المتلكئين لحملهم على التزام هذا الموقف. ولن يتيسر قطع دابر المتاجرين بالمخدرات ما لم تطبق القوانين الصارمة في شأن "تبييض" الأموال المكتسبة من المخدرات، بما في ذلك مصادرة الودائع المصرفية والمنازل والزوارق ووضع اليد على المشاريع التجارية وغير ذلك من الموجودات.

٥. **التثقيف.** اذا كنا لا نستطيع القضاء على بلاء المخدرات، فان في وسعنا مساعدة الشباب على الابتعاد عنها. لذلك على المدارس أن تدخل في مناهجها برامج تربوية عن المخدرات بدءاً بالصفوف الابتدائية. كما يجب توفير برامج تربوية متوازية للمعلمين والاولياء الذين غالباً ما يجهلون على نحو مفجع المشاكل والاغراءات التي يواجهها اولادهم. كذلك يجب مساعدة المدمنين السابقين على التكيّف وحياتهم الجديدة متى أقلعوا عن عاداتهم السيئة. واني لمقتنع بأن وزارات التربية ستكون، في المدى البعيد، اكثر اهمية من الشرطة في الحرب على المخدرات.

لم تعد المخدرات خطراً بعيداً عن اوروبا. إنه خطر جليّ داهم. وعلينا ان ندرك ان ليس في الامكان معالجة هذه المشكلة الاجتماعية الفائقة التعقيد ما لم تعالج كل واحدة من حلقاتها.

انها الحرب ويجب ان نتأهب لها.

جاك ستيوارت - كلارك ■

الكاتب عضو في البرلمان الاوروبي منذ ١٩٧٩ ومقرر لجنة "التربية الصحية واساءة استخدام المخدرات في المجموعة الاوروبية." وهو ايضاً نائب رئيس لجنة التحقيق البرلمانية في انتشار الجريمة المنظمة المرتبطة بتجارة المخدرات.



طالبات عاملات

جلسنا، شلة من الطالبات البالغات العاملات، نقوِّم العواقب المترتبة على نيل علامات متدنية في الامتحانات.

قالت إحدى الرفيقات: "علي تقديم علاماتي الى ادارة الشركة حيث أعمل للحصول على مساعدة مالية، وسيعرف الجميع سوء انجازي."

قلت: "أما أنا فلا يقتصر أمري على تقديم علاماتي، وانما المنحة التي تقدمها الي الشركة متوقفة على هذه العلامات، فبمقدار ما تتدنى يتقلص المبلغ الذي أحصل عليه."

لكن احدى الرفيقات بزّتنا جميعاً اذ قالت متجهمة: "تعتقدن ذلك مشكلة، فماذا عساي أقول أنا؟ يتعين علي أن اقدم علاماتي الى أولادي!"

ب.ت.

بوّاب الذوات

توقفت سيارة "رولز رويس" أمام أحد المطاعم الفخمة في هوليوود ونزلت منها نجمة سينمائية نفحت البواب ٥٠ دولاراً وطلبت منه توخي الحذر في ايقاف سيارتها. فقال لها البواب: "اطمئني يا سيدتي، سأنتبه لها كثيراً، فلدي واحدة مثلها في منزلي."

أ.م.

طبيب عصامي نجح في القضاء على وباء خطير استشرى في بلدان افريقيا



ابرهيم سامبا قاهر العمى النهري

كانت خيوط الفجر الاولى بدأت تضيء سماء ساحل العاج عندما وصل الدكتور ابرهيم سامبا الى حظيرة في مطار أوديين لتحية الطيارين السبعة الذين سيقلعون بمروحياتهم هذا الصباح. وما ان أصبح الضوء كافياً حتى تراكض الطيارون الى مروحياتهم المحمَّلة الى طاقتها القصوى، وارتفعوا بها عن الارض وحوَّموا لبرهة ثم انطلقوا في سبعة اتجاهات مختلفة.

مهمتهم رش المبيدات للقضاء على يرقان الذباب الاسود[1] الذي يسبب العمى النهري[2]، وهو مرض طفيلي قاس يبتلي أكثر من ١٥ مليون شخص في ٣٤ بلداً حول العالم، ٢٦ منها في افريقيا.

بعدما درس الدكتور سامبا خرائط المنطقة والتقارير الميدانية، قاده سائق

---

(١) Simulium damnosum

(٢) River blindness or onchocerciasis

 (BACKGROUND PHOTO) TONY WARD / SUNDAY MIRROR COURTESY OF WORLD HEALTH ORGANIZATION (WHO)

الى منصة لاقلاع المروحيات داخل الدغل حيث ركب مروحية أقلته الى حيث يراقب عملية رش المبيدات. قاد المروحية ماريو فرازاو، وهو ملازم سابق في سلاح الجو البرتغالي. ارتفع بها فوق رؤوس الاشجار متوجها الى غدير تكاد تخفيه الاشجار الباسقة. وبعد جولة بحثاً عن فتحة بين أغصان الشجر، قال فرازاو لسامبا: "تمسّك جيداً." وهبط بمروحيته في سقطة تحبس الانفاس من خلال ثغرة صغيرة في الغطاء الشجري الكثيف، ثم عدَّل وضع المروحية مستوياً على ارتفاع بضعة أمتار عن سطح الماء. وضغط زراً على لوحة التحكم مطلقاً غمامة ضبابية من مبيد اليرقان من فوهة مزدوجة للرش. وناور برازاو ببطء على امتداد مجرى الغدير المتعرج حذراً من الدوالي التي قد تعلق بشفرات المروحة. وفي اللحظة التي بدت المروحية على وشك الترنح، زاد سرعة المحرك فجأة واندفع صاعداً من خلال فتحة بين أشجار الغابة.

رجل مستقيم. الدكتور سامبا طبيب غامبي في الثامنة والخمسين من العمر يرئس برنامج منظمة الصحة العالمية لمكافحة مرض العمى النهري، ويقود منذ عشر سنين حملة ناجحة على هذا المرض في افريقيا الغربية. وهو برز قائدا افريقيا من نوع جديد، رجلَ دولة غير سياسي لم يمنعه اخلاصه لمستقبل افريقيا من استخدام التقنية الغربية لحل واحدة من مشاكل القارة. لقد أثبت سامبا امكان ايصال ١١ دولة افريقية تتمسك باستقلالها بحساسية بالغة، الى اتفاق على برنامج صحي متطور تكمن فاعليته في تخطيه الحدود الجغرافية لهذه البلدان.

أحد أسباب هذه الفاعلية غير العادية واضح. فلون سامبا الاسود والندوب التي خلَّفها "طبيب" القبيلة على خديه لا تترك مجالا للشك في أصوله العرقية. لكن زملاءه من رجال العلم والخبرة العالميين لا يقلون عن مواطنيه تقديراً له. يقول أحد المراقبين في جنيف: "لو لم يكن لدى منظمة الصحة العالمية رجل اسمه سامبا لتعيَّن عليها أن تخترع واحداً."

سبب آخر لنجاح سامبا هو حرصه الشديد على الموازنة السنوية التي تخصصها منظمة الصحة العالمية لتمويل برنامج مكافحة مرض العمى النهري والتي تبلغ ٣٠ مليون دولار. يقول دوغلاس مار، العالم الاسكوتلندي الاختصاصي بالحشرات وأحد قدامى محاربي العمى النهري: "ان جهوداً كهذه لا تعمّر طويلا في افريقيا، لان الاموال المخصصة لها تتسرب على نحو ما الى غير أغراضها. لكن أي أموال تعهد الى ادارة سامبا تكون في مأمن كأنها في مصرف. انه رجل مستقيم جداً، وقد أعطت استقامته ثمارها."

في روضة الأطفال. نشأ ابرهيم واحداً من تسعة أولاد لمالك سامبا وسوكاي مباي، وهما ريفيان من قرية

سارا كندا التي لا تبعد كثيراً عن بانجول عاصمة غامبيا، ربيا أولادهما في كوخ من طين ذي سقف من قش. وفي السن الرابعة عشرة سقط ابرهيم عن شجرة مانغو وكسر ذراعه اليمنى. والتقى في المستشفى المحلي طبيباً مسناً دمثا من اسكوتلندا يدعى مالكوم غرين، جبر ذراعه موضحاً له تفاصيل عملية شفاء الكسر. فعاد ابرهيم راكضاً الى منزله وقد فتنه الموضوع، وأخبر أهله: "أريد أن أذهب الى المدرسة لاصبح جراحاً."

وصل ابرهيم الى بانجول على متن شاحنة. وهناك قصد ثلاث مدارس ابتدائية للسود، فسمع رداً واحداً في كل مدرسة: "لن نتمكن من قبولك، فأنت كبير على الصف."

ثم سمع عن مدرسة ارسالية، فقرر ألا يواجه الرفض مرة أخرى، فبحث عن غرفة روضة الاطفال وتسلق اليها عبر النافذة وجلس في أحد المقاعد.

سأله المدرس المذهول: "ماذا تفعل هنا؟"

فأجاب الفتى: "أتيت لاتعلم."

قرر المدرس تحمله لأيام عدة، ثم بدأ يرتاح الى وجوده البهيج في الصف. واستطاع ابرهيم أن يضبط "الشياطين" الصغار، كما أثبت أنه طالب متلهف للعلم. وبلغ منه تلهفه أن أنهى مقررات سبعة صفوف ابتدائية في أربع سنوات، وأنجز دراسته الثانوية في سنتين. وكان الاول عام ١٩٤٩ في امتحانات دخول احدى الجامعات البريطانية.

لم يكن لديه المال الكافي للسفر الى أوروبا وتغطية تكاليف الدراسة هناك، فتقدم الى جامعة غانا، الارخص كلفة، وقبل فيها. وبات تأمين ايصاله الى غانا، على بعد ألفي كيلومتر، مشروعاً عائلياً: رهنت والدته بعضاً من حليها، وتبرع شقيقه الاكبر بمدخراته، كما عمل ابرهيم نفسه ساعات طويلة أجيراً في ورشة بناء ثم مضيفا في سفينة شحن متوجهة الى أكرا عاصمة غانا.

أفضل طبيب. حقق ابرهيم في الجامعة تقدماً ملحوظاً، الى أن أتى يوم عُلّقت فيه الدروس فجأة. فقد تسبب الجفاف في تعطّل شبكة المياه في حرم الجامعة وأبلغ الطلاب وجوب العودة الى منازلهم. لم يكن لابرهيم مكان يذهب اليه ولا مال، فسمح له عميد الجامعة البريطاني بالاقامة موقتاً داخل حرم الجامعة. وفي الصباح التالي، فيما ابرهيم يسير كئيبا في اتجاه مدخل الحرم، توقفت سيارة بجانبه وسأله سائقها: "ماذا تفعل هنا؟" فروى له ابرهيم مأزقه، فأخبره الرجل: "أنا كوفي بوسيا، محاضر في علم الاجتماع. تفضل واركب معي."

قاد كوفي السيارة الى منزله حيث نادى زوجته فيما هو ومرافقه يهمان بالدخول: "تعالي أعرفك بابنك الجديد!"

عاش ساميا مع عائلة بوسيا طوال فترة دراسته الجامعية. وهو غالبا يرد تفانيه من أجل افريقيا الى تأثير بوسيا الذي

أصبح لاحقاً رئيساً لوزراء جمهورية غانا المستقلة.

تخرج سامبا في جامعة غانا عام ١٩٥٣، ثم سافر الى ايرلندا لمتابعة دراسته الطبية في الجامعة الوطنية هناك. وبعدما أنهى فترة تدرجه في مستشفى ويستون في بريسكوت قرب ليفربول، انتقل الى العيادة الملكية في ادنبره بمنحة للتخصص بالجراحة. تزوج في العام ١٩٦٢ ممرضة غامبية تدعى دولي كلارك، وولد ابنهما البكر في ادنبره، وتبعه توأمان، صبي وبنت.

عادت العائلة الى بانجول في العام ١٩٦٤. وعندما قيل لسامبا أن لا مركز خالياً في مستشفى بانجول، عرض أن يعمل من دون أجر.

خلال شهره الثالث من العمل التطوعي، أحضرت سيدة أوروبية طباخها الغامبي الى المستشفى. فأخبرها الدكتور سامبا أن الرجل يعاني حمّى مرتفعة ويجب ادخاله المستشفى. فهتفت المرأة: "هذا مستحيل! لدي حفلة عشاء كبرى الليلة، وهو الوحيد القادر على اعداد الطعام."

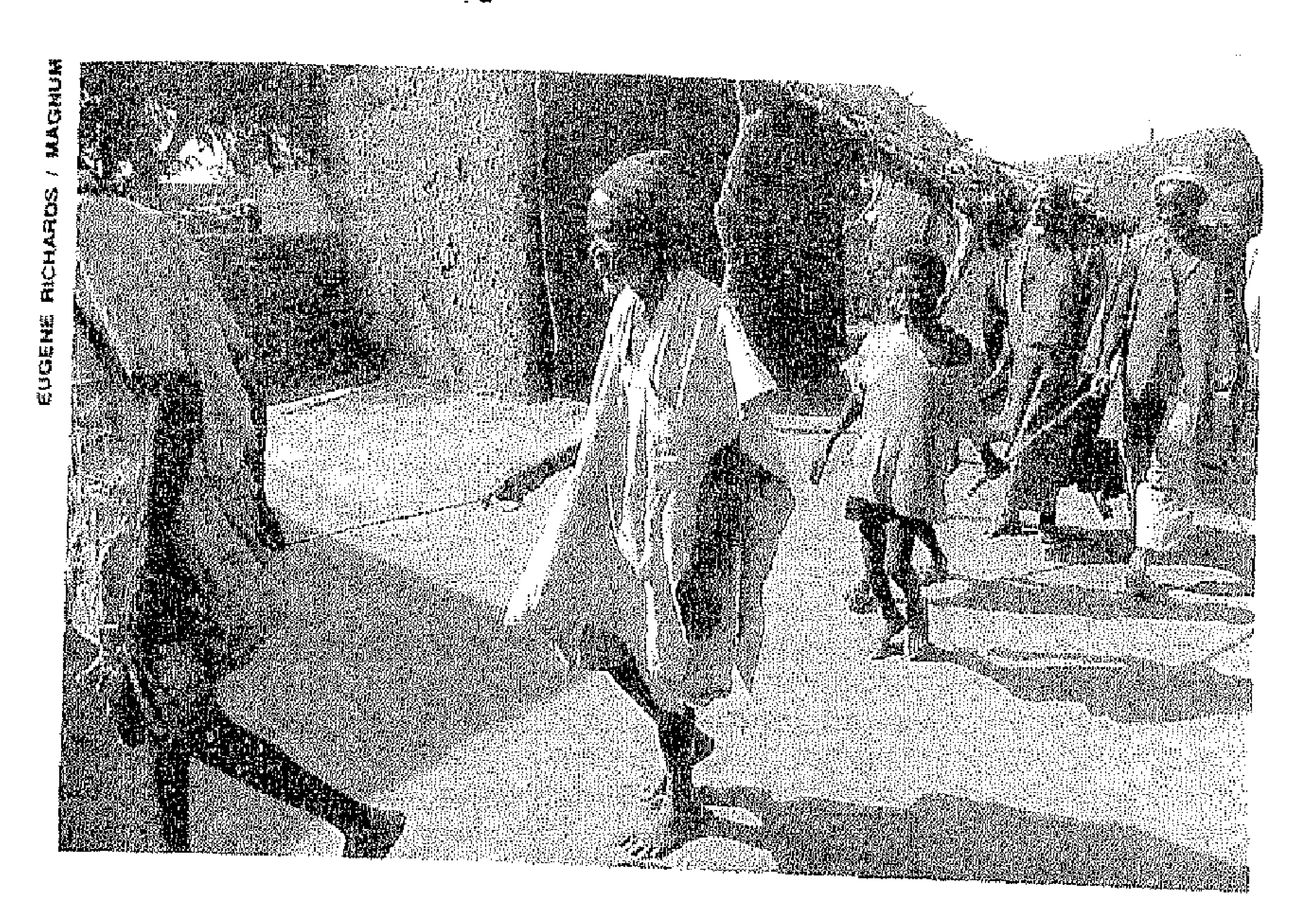
عمل سامبا على خفض حرارة الرجل بواسطة حقنة وبعض حبوب الدواء، وسمح له بالذهاب الى بيت مخدوميه والعودة بعد انتهاء الحفلة. وفي الصباح التالي استدعي سامبا للمثول أمام مسؤول بريطاني مدني كبير في ادارة مستعمرة غامبيا.

سأله هذا: "ما مركزك في المستشفى؟"

– إنني أعمل متطوعاً يا سيدي، فلا مراكز خالية في المستشفى.

"هراء! تقول زوجتي انك أفضل طبيب في المدينة. لقد عالجت طباخنا الليلة الماضية. أنت موظف اعتباراً من الآن."

ثم رتب له المسؤول قبض رواتب ستة أشهر بمفعول رجعي.



EUGENE RICHARDS / MAGNUM

اطفال يقودون عميانا مسنين، ولكن من يدري فقد يصاب هؤلاء الصغار بالعمى النهري ما لم ينقذهم عقار فاعل.

نظرة الاسد. في أواخر الستينات كانت غامبيا تحررت من الحكم الاستعماري وبدأت بانجول تتحول مركزاً تجارياً نشطاً. وازدهرت عيادة سامبا الخاصة فيما استمر هو بالعمل لدى مصلحة الخدمات الطبية الغامبية ليصير مديرها لاحقاً.

في أغسطس (آب) ١٩٨٠ طلبت منظمة الصحة العالمية من سامبا الانتقال الى واغادوغو في بوركينا فاسو لتولي ادارة برنامج مكافحة مرض العمى النهري الذي بدأ العمل فيه عام ١٩٧٤. كان البرنامج في السنوات الماضية لقي فشلا ذريعا في أداء مهماته. فكثيرا ما أُخل بمواعيد رش المبيدات بالطائرات، مما أدى الى اضعاف فاعلية المبيدات التي رشت سابقاً في مياه الجداول. وهذا الامر يسمح للذباب الاسود باكتساب مناعة ضد العناصر المبيدة. وكانت مستويات الاصابات ترتفع في أنحاء المنطقة التي شملها البرنامج.

بدأ سامبا دراسة المرض ميدانيا. ولم يجد صعوبة في العثور على دليل للكارثة الرهيبة. فهو زار قرى حيث وجد ثلاثة أرباع السكان البالغين مصابين بالعمى. رأى نسوة ضريرات جالسات على الارض يؤدين العمل الوحيد المتبقي لهن: تقشير الفستق (الفول السوداني). وكان أفراد، يبدون أصحاء، يتوقفون عما يفعلونه من وقت الى آخر ليعملوا أظافيرهم باهتياج في حكّ جلودهم.

سببُ الحكاك خيطيات مجهرية[٣] وهي ديدان متناهية في الصغر تستقر تحت جلد الانسان مباشرة. وقد يسوء الحكاك الى حد أن يفقد الشخص أظافيره من عنف استخدامها في "هرش" الجلد. وبعد سنوات يتحول الجلد الاسود اللامع رماديا باهتا، وقد يتساقط مخلفا بقعاً بيضاء بشعة. ثم يأتي العمى... ببطء ولكن باصرار لا يرحم، فتتخذ العينان تحديقة جامدة تدعى "نظرة الاسد."

في أواخر السبعينات أصيب بضعة ملايين شخص بالعمى النهري في البلدان التي يشملها برنامج مكافحة هذا المرض. وجاء الوقع الاقتصادي لهذا الامر مدمرا. فاضطر المواطنون الذين تركوا الاودية النهرية لتفادي الذباب الاسود، الى الاحتيال على العيش في أرض أقل انتاجية. فلم يتوافر لهم الا نتاج قليل يسوِّقونه، فتحللت بناهم الاجتماعية وتخلوا عن مشاريع بناء الطرق والمدارس.

أولى سامبا عملية رش المبيدات اهتمامه الشخصي. فبدأ يزور المحطات القصية من دون سابق انذار، لمراقبة العمليات. وعندما يكون في واغادوغو يذهب الى مكتبه في السابعة صباحا، وغالبا ما يبقى الى ما بعد منتصف الليل عاملا على تفاصيل ادارية ولوجستية (سَوْقية) ومالية.

شيوخ لا يرون. بدأ سامبا حملة لاقناع ادارة منظمة الصحة العالمية

(٣) Microfilariae

تفشّي العمى النهري

عندما تعض أنثى الذباب الاسود انساناً مصاباً بالمرض، تمتص نقطة دم تحوي ديداناً دقيقة تعرف بالخيطيات. تهضم الذبابة بعض الديدان وتبرزها خلال الايام السبعة التالية داخل جسم الذبابة. لكن الديدان الباقية تصبح بالغة وتهاجر الى رأس الذبابة. وعندما تعض الحشرة انساناً آخر، "تهرب" هذه الديدان عبر خرطوم الذبابة وتدخل انسجة "المضيف" الجديد، حيث تنمو ذكوراً واناثاً وتشرع في التزاوج.

ينمو ذكر هذه الديدان الى طول خمسة سنتيمترات. أما الانثى فقد تنمو الى أكثر من خمسين سنتيمتراً وتلد ملايين الخيطيات خلال حياتها التي قد تمتد نحو ١٢ سنة.

تهاجر هذه الخيطيات الى ما تحت جلد المضيف حيث تولّد تمعجاتها المتواصلة حكاكاً يدل على بداية الاصابة بمرض العمى النهري. وتتضاعف أعداد الخيطيات بتكرر الاصابات عبر السنين، وتشق الديدان طريقها تدريجاً الى بدن الضحية، وتزحف في أسوأ الحالات الى مقلة العين مسببة العمى.

بمضاعفة جهود ابتكار عقار فعال لمعالجة العمى النهري. فدعت المنظمة شركات مصنعة للادوية من أصقاع العالم لتقديم عينات من مركّباتها للاختبار. واحد من هذه المركبات يدعى "ايفرمكتين"[٤] الذي طوّره فريق وليم كامبل في مختبرات "ميرك شارب آند دوم" في راواي بولاية نيوجرزي. يقول كامبل: "اكتشفنا ان هذا العقار قادر على قتل ديدان في الفئران المختبرية بجرعات صغيرة جداً. وعندما يُحقن في الخيل فهو قادر على قتل طفيليات خيطية كتلك التي تسبب العمى النهري للانسان."

أنهيت الاختبارات الميدانية على عقار "ايفرمكتين" بتركيبته المخصصة لمعالجة العمى النهري في الانسان أوائل العام ١٩٨٦. وأدى العقار، في معظم الحالات، الى قتل الخيطيات التي تسبب العمى وشفاء الحكاك في ثلاثة أيام.

حزم سامبا حقائبه في خريف ١٩٨٧ وسافر الى الولايات المتحدة. وهو يذكر بعض الذعر الذي انتابه قبل اجتماعه الى روي فاجلوس رئيس مجلس ادارة "ميرك" في راواي: "لم تكن لدي فكرة عن الثمن الذي سيطلبه." فقد صرفت "ميرك" سبعة أعوام وملايين الدولارات لتطوير عقار "ايفرمكتين" الذي أعطته الاسم التجاري "مكتيزان."[٥] ولم يصدق سامبا ما سمعه عن قرار الشركة تأمين "مكتيزان" مجانا لكل من يحتاج اليه لمعالجة العمى النهري ما دام ذلك ضرورياً.

وزع "مكتيزان" حتى الآن على ٤٠٠ ألف شخص في منطقة عمل البرنامج. وتوجهت فرق وطنية الى جميع القرى لتوزيع حبوب "مكتيزان" على الاهالي. والنتائج مشجعة، ففي مناطق حيث كان العمى واقع حياة، وحيث نزحت مجموعات

(٤) Ivermectin
(٥) Mectizan

سكانية بكاملها، تعود مستوطنات جديدة الى النمو.

زار سامبا احدى هذه القرى الجديدة على ضفة نهر في ساحل العاج، وتحدث الى شباب سعداء منتظراً وصول كبار السن. وعندما أتى ثلاثة مسنين لتحيته، كان صبيان صغيران يقودان اثنين منهم. لم يكن ثالثهم أعمى، لكنه بدا متردداً ومتعثراً قليلاً في مشيته.

يقول سامبا: "العمى يعني أشياء مختلفة هنا وفي بلدان اخرى. في الخارج نقول عن انسان انه أعمى اذا لم يتمكن من قراءة كتاب. أما هنا فهو أعمى اذا لم يتمكن من رؤية بقرته."

سأل سامبا الرجال المسنين عن المستوطنة الجديدة، فأخبروه أنهم سعداء بالعودة الى هذا الوادي، وأنهم ينظرون بأمل الى موسم رز وافر. وعندما سألهم عن اسم القرية هزوا أكتافهم ضاحكين، وقال أحدهم: "انها حديثة جداً، وليس لها اسم بعد."

نور في نافذة. في مايو (أيار) ١٩٨٩ خاطب سامبا هيئة المؤتمر السنوي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف: "الآن، بتوافر مبيد اليرقان وعقار مكتيزان لمكافحة العمى النهري، تمت لنا سيطرة شبه شاملة على الوباء في منطقة عمل البرنامج. وسمح الدخل الاضافي، الناتج من استثمار ١٥ مليون هكتار من الاراضي الزراعية، بفضل نجاح البرنامج، باعادة توطين ١٧ مليون مواطن في مناطقهم. انني فخور بما حققناه من خلال برنامج مكافحة مرض العمى النهري، ولكن يبقى أمامنا الكثير مما ينتظر الانجاز. علينا أن نجد عقاراً يبيد الديدان البالغة المسببة للعمى النهري. وسيبقى خطر عودة الوباء كامناً ما دامت هناك ديدان بالغة، لاننا لا نستطيع اعطاء عقار مكتيزان للحوامل والمرضعات وللاطفال دون السن الخامسة."

قبيل المساء يعود الدكتور سامبا الى مكتبه في واغادوغو. تبدو عيناه زائغتين ارهاقاً اذ يلقي نظره على أكوام الاوراق التي تراكمت على طاولته خلال وجوده في أوديين. يحمل حقيبته المنتفخة ويسير تعباً عبر المبنى الخالي الى منزله، حيث يتجه مباشرة الى الفراش.

تهبط الظلمة على واغادوغو كغطاء مخملي أسود. هواء الليل ساكن. بعد حين يدق جرس بعيد معلناً الوقت: الاولى بعد منتصف الليل. فيضاء نور في نافذة غرفة الدكتور ابرهيم سامبا.

روبرت أندرسن ■

اصطلاحات اقتصادية

قال عميل بورصة محدداً: "الجمود الاقتصادي هو أن يفقد جارك وظيفته، والانهيار الاقتصادي أن تفقد انت وظيفتك، والكارثة الاقتصادية أن تفقد زوجتك وظيفتها."

و.ك.

سيرتها دليلي
في معارج الحياة



في مناسبة بلوغ والدتي عامها الثمانين، اقمتُ لها حفلة عيد ميلاد حضرها اكثر من سبعين من صديقاتي وصديقاتها. بدأ الأحتفال في الثالثة بعد الظهر يقينا مني أن العجائز سرعان ما يدركهن التعب، ولكن كم كنت مخطئة، اذ انه بعد مضي ١٢ ساعة، نالت شدة التعب مني ومن رفيقاتي فارتمينا متهالكات في مقاعدنا نراقب والدتي وصديقاتها ينشدن اغنيات الصبا والجمال. وقبل انتهاء الحفلة كانت والدتي ألقت عصاها جانبا وانطلقت هي وربعها وذراع الواحدة مشبوكة بذراع الاخرى يؤدين برشاقة لا توصف رقصة فولكلورية.

كانت امي نورا التي ولدت عام ١٨٨٧، ثاني اولاد توماس وبريدجيت دركين اللذين كانا وصلا حديثاً الى الولايات المتحدة من كاونتي سليغو في ايرلندا. ولم تكد تبلغ الثالثة عشرة حتى كان سبعة إخوة لها آخرون يملأون شقة العائلة في مدينة نيويورك. وما لبثت ان عملت ساعية في احد المخازن الكبرى وتقاضت ثلاثة دولارات في مقابل ٤٨ ساعة عمل اسبوعيا. وكانت تسير يوميا ثلاثة كيلومترات ذهابا وايابا لتوفر خمسة سنتات بدل نقل. وتابعت مساء علومها الثانوية ثم دراستها العليا. وارتقت اخيرا في وظيفتها وعينت مسؤولة عن قسم المشتريات.

رفقة الشقاء. عاشت امي قصة حب ايرلندية نموذجية، فقد خُطبت الى والدي سبع سنوات، وحين تبادلا خاتمي الزواج كانا في الاربعين من عمرهما تقريباً. وسرعان ما انجبا ثلاثة اولاد: جوزف وانا وجون.

وبعد سنوات قلائل من زواجهما، تمكن والداي من تحقيق حلمهما في امتلاك منزل. وكان هذا المسكن المبني من الطوب والمؤلف من ست غرف والواقع في البرونكس في نيويورك يساوي في نظرهما كل قصور الدنيا مجتمعة. ثم جاءت الأزمة الاقتصادية الكبرى اوائل الثلاثينات، فلحقت الخسارة بالمقهى الذي كان يملكه والدي ونفدت مدّخراتهما مما اضطر أبي الى صرف احد الندل والعمل عشرين ساعة يومياً، الى ان جاء يوم نام والدي ولم يستيقظ في الصباح تاركاً امي في الحادية والخمسين من عمرها وحيدة مع ثلاثة اولاد يثقل كاهلها رهن عقاري على البيت. تحملت والدتي حسرتها وواصلت الاهتمام بنا. وصيف ١٩٣٩، اي الصيف الذي توفي فيه والدي، اصطحبتنا امي، شقيقي وانا، لحضور المعرض العالمي. ولا يزال طيفها ماثلا امامي في وشاح الحداد الاسود المتدلي خلفها فيما نحن نقفز عن مهبط المظلات.

كان من المستحيل الحصول على وظيفة في تلك الايام، ففكرت والدتي طويلا في الأمر حتى وجدت الحل. وتصدّرت بابنا لافتة كُتب عليها: "غرف مفروشة للايجار". وبدأت معها قوافل من الناس تتقاطر على حياتنا واستمرت هكذا طوال السنوات الخمس التالية.

اتذكر ان احد المستأجرين تخلّف اسبوعين عن الدفع فحاول فجر احد الايام التسلل خارجاً على رؤوس اصابعه، ولكنه لسوء حظه ان امي التي تعودت اعادة ترتيب الاشياء، كانت غيرت في الليلة السابقة أماكن بعض المفروشات، فتعثر بمصباح فهرعت اليه ووجدته ممدداً على الارض فقالت له: "اذا كنت لا تملك المال فما عليك إلا ان تخبرني، والله يعلم انني أتفهّم ذلك." ولم تدعه يغادرنا قبل ان تعطيه دولارين.

لم تتمكن والدتي، على رغم ما بذلته، من الاستمرار في تسديد أقساط الرهن، فانتقلت بنا الى شقة من ثلاث غرف وهي على يقين اننا سنستعيد البيت يوما ما. وهذا ما لم نتمكن منه قط. وكانت كلما زارت الحي القديم، تترقرق عيناها اذ تلاحظ كم نمت ورودها الزاهية.

كانت الأمومة رسالتها ومهنتها وهوايتها وشغلها الشاغل. وهي صممت على ان يحصل اولادها على كل ما يحتاجون اليه.

المأساة. ولد شقيقي جوزف قبل أوانه، وكان يزن أقل من كيلوغرامين. وفي سنته الأولى لم يغب لحظة عن ناظري امي. وباجتهاده عوضها تفانيها له، اذ حاز ميدالية التفوّق العام في كل من السنوات الثماني لدراسته الابتدائية وكان قائد كل

الفرق الرياضية في مدرسته وبطل كل المسرحيات التي قدمت فيها. وفي الثالثة عشرة من عمره أصيب بالتهاب في النخاع العظمي، فنصح الاطباء والدتي بضرورة اجراء جراحة له لاستئصال حرقفته انقاذاً لحياته. لكن المرأة المترملة حديثا اتخذت قراراً مذهلاً بالرفض وبألا تجعل من جو كسيحاً، ويقينها ان الله لن يأخذه منها. كان ذلك في عيد الميلاد. وحملنا، امي وجون وانا، الهدايا الى جوزف في المستشفى. كانت هديته الرئيسية عصا هوكي فوعدته الوالدة باستخدامها في السنة التالية. وهذا ما فعله.

تخرّج جو في الثانوية عام ١٩٤٤ واعلن انه سينخرط في البحرية. وعوض ان تحاول أمي ثنيه عن قراره بالاشارة الى ما ستعانيه العائلة من صعوبات مادية، تركته ينخرط في صفوف البحرية مع اصدقائه. وبعد ستة أشهر قامت الوالدة برحلتها الطويلة الوحيدة في حياتها، وذلك في طائرة نقلتها الى كاليفورنيا، لتكون الى جانب جو الذي كان يحتضر في المستشفى التابع للبحرية في لونغ بيتش بعدما اصيب بالتهاب السحايا الدماغية. وهي قالت آنذاك: "لم يكن في وسعي ان أدع جو يرحل في المرة السابقة، لكن الله يريده اليوم اكثر مما أريده أنا."

في حزيران من ذلك العام، اذ تخرجت في اكاديمية "فيلا ماريا"، أقامت أمي حفلة لم تشبها مظاهر الحزن اطلاقاً. فهي اعتبرت أن ذلك اليوم يومي وصمّمت على الا تدع أمراً يفسده. وبعد بضعة اسابيع انهى جوني بنجاح مرحلة دراسته الابتدائية فأقيمت له ايضاً حفلة تحاكي المناسبة. كان افتخار امي بنا عظيماً، فنحن لم نكن مجدّين في مدرستنا فحسب بل "نحتكر ايضاً كل درجات الامتياز."

وكوني الفتاة الوحيدة في العائلة، رأت امي ان من واجبها ان تسهر على سلامتي في سنوات صباي وتسدد خطواتي في معارج الحياة. وما عدت يوما الى المنزل متأخرة إلا وكانت الى النافذة تترقب قدومي. كنت اتأوه في سرّي وانتظر مناداتها المألوفة: "أهذا انت يا ماري؟ " ولكم وددت ان اجيبها: "لا. انا لست ماري." لكن اسلوبها هذا ترك أثره فيّ. اذ ادركت ان ثمة من أعود اليه دائماً.

الام والجدة. كانت غبطتها لا توصف حين بدأت، في الحادية والعشرين، بمواعدة وارن كلارك، فقد اعتبرته شابا وسيماً لامعاً ومن عائلة محترمة جداً، وكانت والدته مديرة رابطة "اصدقاء الغابة." وللمرة الاولى انكفأت الوالدة عن برج مراقبتها الليلية عند النافذة وأوت الى فراشها باكراً متيقنة اني في امان مع ابن السيدة كلارك.

وسرعان ما وجدت الوالدة بعد زواجي من وارن سعادة كبيرة في أداء دور الجدة. ولم يزعجها قط ان تمضي ساعتين في الطريق تبدّل خلالهما ثلاثة

باصات لتصل الى منزلي في نيوجرزي للاعتناء باطفالي. وما ان بدأ هؤلاء يدرجون حتى اخذت تصطحبهم الى حديقة الحيوانات وتمثال الحرية والاستعراضات والشاطىء.

ولأن الوالدة لم تنسَ سنوات التقتير الطوال التي عاشتها، فقد كان الأولاد يشتكون أحيانا من ان جدّتهم ترغمهم على تقاسم قنينة صودا او سندويش. ووعدت مرة ابني البالغ آنذاك خمس سنوات ان تصطحبه الى قمة ناطحة السحاب "الامباير ستيت" في نيويورك. لكنها حين وجدت ان عليها ان تدفع ثمن بطاقتي الدخول الى منصّة المشاهدة، اسرعت بالصبي الى نافذة في الطبقة الخامسة والثمانين وقالت له: "ها نحن في القمة، اليس هذا مسليا؟"

احبت والدتي وارن كثيراً وسهرت على الاهتمام باموره الصغيرة. فكانت تحضّر له الشاي كما يحبه تماما وتقلق لأنه لا يعتمر قبعة. بعد عشر سنين من زواجنا، بدأ وارن يحس بآلام في صدره. واصيب في السنوات الاربع التالية بنوبتين قلبيتين قبل ان تقضي عليه ثالثة.

وافقت امي على الاعتناء بالاولاد اثناء ذهابي الى العمل. وهي لم تكن طبعاً لتهتم فقط باطفال خمسة، بل اعتبرت أن دورها يشمل ايضا رعاية "فتاة شابة" اي انا.

عدتُ مرّة في منتصف الليل لأجدها تنتظرني في غرفة الجلوس، فانتهرتني قائلة: "ماري، ماذا سيقول الجيران عن فتاة في سنك تعود الى بيتها في مثل هذا الوقت؟" وكنتُ حينها في السادسة والثلاثين من عمري.

"**أهذا انت؟**" بدأت همّة الوالدة تهن. فهي عانت داء المفاصل مذ كانت في العشرين. ومع تقدمها في السن، انتشر المرض في ركبتيها وساقيها، وكان ضروريا على الارجح ان تلزم كرسيا متحركا، الا ان حاجتها الى مساعدة الآخرين كانت عظيمة الى درجة انها ظلت تكره أطرافها المتعبة على الحركة.

أخذ انتظام خفقان قلبها يختل اكثر فاكثر وادركتُ أن أوان رحيلها عن هذه الفانية أقترب. فقالت لي يوما في خمول ظاهر: "ماري، لقد اصطحبت الاولاد الى الشاطىء لكن كارول تاهت. لا اعتقد ان في امكاني الاهتمام بهم بعد اليوم." لقد فقدت القدرة على الاعتناء بالآخرين ولم تشأ ان يضطر احد الى الاعتناء بها.

لفّت امي في مغلف اسمر قديم مبلغ الف وسبعمئة دولار جمعته من بوالص التأمين الزهيدة التي سددت رسومها على مر السنين. وارفقته بكلمة صغيرة الينا، انا وجوني: "لا تنفقا اكثر من الف دولار على الجنازة. واعطيا كلا من احفادي مئة دولار." لكنها كانت تركت لنا إرثا لا يثمّن هو ايمانها بالله وتفانيها المتجدد ومحبتها اللامحدودة.

ولا تزال امي، الى اليوم، جزءاً منّا، وكثيراً ما تتردد في المنزل عبارة: "هل تتذكر حين كانت جدتي...؟" وبعد

الانتهاء من سرد القصة، لا يجرؤ احد على الضحك. وفي السنة التي كانت فيها باتي، صغرى بناتي، تستعد لدخول الكلية، امضت فترة بعد ظهر كاملة تنقب في العلية ثم عادت ملتفة بفستان زهري وقالت: "رائحة جدتي لا تزال فيه." كان شذا بودرتها لا يزال فعلاً ينبعث من القماش. ولبست باتي الفستان الى الكلية.

لكن الزمن يمعن في توغله وتصير الاشهر والفصول سنين وها انا واترابي صرنا الجيل القديم. لكنني ادرك انه حين يبزغ فجر يومي الأخير، لن يخامرني ادنى شعور بالخوف لان أول ما سأسمعه لدى عبوري الى الابدية هو ذلك الصوت الحبيب يسألني بقلق: "أهذا انتِ يا ماري؟"

ماري هيغنز كلارك ■

نادلة بالهواية!

سجلت النادلة طلبنا في أحد المطاعم، وجلست وزوجتي ننتظر الطعام. وبعد خمس دقائق عادت الينا النادلة لتقول ان ما طلبناه قد نفد. فطلبنا طبقاً آخر، فلم يكن متوافراً هو ايضاً. فطلبنا طبقاً ثالثاً.

وبعد عشرين دقيقة عادت النادلة مضطربة ومعتذرة: "لقد نسيت تحضير طلبكما."

لم نكن على عجلة من أمرنا، فقلنا للنادلة اننا سننتظر ريثما تجهز وجبتنا.

وتناولنا عشاء رائعاً بعد دقائق. وعند الدفع أحضرت النادلة الفاتورة (الحساب) وقد ارفقتها بملاحظة اضحكتنا: "أرجو أن تعودا، فانا لا أعمل هنا كل ليلة."

ك.غ.

للصبر حدود

كنت أساعد ابني في حل فروضه الحسابية "الحديثة" التي كانت تستغرق وقتاً طويلاً. فسألته: "الى متى تظن انك ستظل تحتاج الى مساعدتي؟"

أجاب بعد تفكير قصير: "نحو اربعة اشهر."

فهتفت مستبشراً: "وهل انت واثق من ذلك؟"

قال: "لست واثقاً بكفايتي يا ابي، لكنني واثق بعدم قدرتك على التحمل اكثر."

س.س.

لا شيء يذكر

اعمل امين صندوق في احد المصارف. وذات يوم قدمت سيدة مع ابنتها لاتمام معاملة. وراحت الصغيرة تتطاول براسها وتقف على اصابع قدميها لترى ماذا يجري على المنضدة فوقها. وأخيراً ضاقت بها الام ذرعاً فحملتها ورفعتها قائلة: "أرايت؟ ليس هناك اي شيء يستحق النظر اليه."

ا.غ.



موجة سرقة السيارات تجتاح العالم، ولا ضير من بعض الارشادات لجبهها

كان على جو تمبلر ان يكون اكثر ادراكاً من غيره لما يجري حوله، خصوصاً انه يعمل في شركة كبرى لتأمين السيارات. قال في نفسه وهو يملأ خزان سيارته الجديدة في محطة محروقات: لا بأس اذا تركت مفتاح الاشعال في السيارة هذه المرة. ولكن، ما هي سوى لحظات حتى رأى السيارة تنطلق فيما هو منهمك بدفع ثمن الوقود.

تعتبر الولايات المتحدة واحدة من كبرى الدول التي تعاني انعكاسات سرقة السيارات، ففي العام ١٩٨٩ وحده سجلت فيها سرقة ١،٦ مليون سيارة أي بمعدل سيارة كل ٢٠ ثانية. ويتوقع الخبراء، اذا استمرت الحال على هذا المنوال، ان يتجاوز عدد السيارات المسروقة المليونين، سنوياً، بحلول نهاية هذا العقد.

يقول بول غيليلند، رئيس المكتب الوطني لسرقة السيارات (NATB) ، وهو مركز أبحاث يموله قطاع التأمين: "ان سرقة السيارات وباء أمريكي يطاول مباشرة اربعة ملايين ضحية سنويا." ويفوق ثمن السيارات المسروقة وما ينهب من أجهزتها، سبعة مليارات دولار، وهو رقم مذهل يسدد من الانفاق المباشر وارتفاع بدل عقود التأمين والضرائب لدعم تطبيق القانون على نحو أفضل.

"إنه كابوس" تقول مارغريت كرينشو التي سرقت لها سيارة جيب "تشيروكي" طراز ١٩٨٧ من مرأب سيارات في العاصمة واشنطن. وهي كانت دفعت ٢٠ الف دولار ثمن هذه السيارة، لكن شركة التأمين المسؤولة عن المرأب عوضتها مبلغ ١٣٠٦٤ دولارا، بحسب اسعار السوق للعام ١٩٨٩.

ويُنحي معظم مسؤولي الشرطة باللائمة، في ارتفاع عدد السيارات المسروقة، على اللصوص المحترفين. ويقول الملازم الاول روبرت مورغان من قسم مكافحة جرائم السيارات في دائرة شرطة مدينة نيويورك: "انها مصدر مال رئيسي للجريمة المنظمة."

ويوضح ان السيارات المسروقة تفكك في "محل تقطيع" وتباع اجزاؤها الى افراد او الى باعة قطع غيار مستعملة. غير أن ثمة نحو ٢٠٠ الف سيارة أخرى تهرّب سنويا، وهي في حال جيدة، الى خارج البلاد، معظمها الى أمريكا الجنوبية والشرق الاوسط وأوروبا.

يسرحون ويمرحون. لا تتعدى نسبة عدد الذين يعتقلون في حوادث سرقة السيارات ١٥ في المئة، والسبب بحسب ما تشرحه باتريشيا إثريدج من دورية الشرطة العاملة على الطرق الرئيسية في ولاية تنسّي، أن دوائر قليلة في الشرطة تجري تحقيقات منتظمة في العمق، تتناول قضايا سرقة السيارات. ولأن السجون مكتظة بالمجرمين الخطرين فان القضاة يأمرون غالبا بتخلية اللصوص المدانين على ان يبقوا قيد المراقبة المستمرة.

ولا يستثنى من هذا الواقع سوى ولاية ميشيغن حيث اعتمد برنامج خاص عُين بموجبه ٩٢ ضابط شرطة وسبعة مدعين عامين للعمل دواماً كاملا في ملاحقة ٦٥ الف قضية سرقة سيارات تسجل سنويا. ومنذ العام ١٩٨٦، تاريخ بدء تنفيذ البرنامج، انخفض معدل سرقة السيارات في الولاية بحيث نقلها من المرتبة الثانية في البلاد الى المرتبة التاسعة.

لكن مثل هذا النجاح نادر. ففي الاشهر الستة الاولى من عام ١٩٩٠ ازدادت سرقة السيارات في كل أنحاء البلاد بمقدار ستة في المئة. ومن أصل ٥١ مدينة رئيسية في الولايات المتحدة وردت أسماؤها في تقرير حديث لمكتب التحقيق الاتحادي (FBI) ، سجلت زيادات في ٣٤ منها بعضها بنسب حادة: ١٥ في المئة في نيويورك، ٣٦ في المئة في بلتيمور، ٤٠ في المئة في فورت لودرديل، ٥٧ في المئة في ليتل روك من ولاية أركانساس، ٦٢ في المئة في أوستن

عاصمة ولاية تكساس و٧٠ في المئة في فينكس. وفي الضواحي أيضا حصلت زيادات ملحوظة.

ارشادات. كيف تستطيع انت حماية سيارتك من اللصوص؟

اذا كنت مقيما في منطقة تكثر فيها السرقات او كنت تقود سيارة فخمة فخذ في الاعتبار تجهيزها بنظام أمان، يمكن أن تراوح كلفته بين ٢٥ دولاراً وألف دولار.

ويعمل بعض هذه الانظمة آليا. فبمجرد اخراج مفتاح الاشعال يتوقف عمل مضخة الوقود وجهاز مطلق المحرك. وقد هبطت نسبة سرقة سيارات "شيفروليه – كامارو" و"بونتياك – فاير برد" طراز ١٩٨٩ بمعدل الثلث حين جُهِّزت بمثل هذه الانظمة.

وفي عدد من البلدان يمكنك استخدام جهاز يرسل إشارات لاسلكية تتيح للشرطة تقفّي السيارة المسروقة. وقد زودت كاثلين توير، وهي بائعة اجهزة الكترونية من ويلند بمساشوستس، سيارتها الجديدة جهازاً مماثلا وحين سرقت السيارة من موقف امام احد المتاجر الكبيرة اعلمت دائرة الشرطة بالحادث. وهي تقول: "لم أتوقع قط رؤيتها ثانية. لكن ما ان وصلت الى منزلي حتى تلقيت اتصالا هاتفيا من دائرة الشرطة أبلغت فيه انهم وجدوا السيارة امام احد المقاهي في جنوب بوسطن."

وثمة حلول أقل كلفة، مثل تركيب قضيب خاص من الفولاذ الصلب يجمّد مقود السيارة. ويبدو أن مجرد رؤيته في السيارة يردع اللصوص.

وهناك رادع آخر بسيط نسبيا وهو أن تطبع على زجاج سيارتك رقم لوحتها. فاللصوص المحترفون يعرفون ان السيارات المدموغة على هذا النحو يسهل اقتفاؤها ما يجعلها حراما على اصحاب محال التقطيع فيحجمون عن شرائها.

لكن اللافت ان يشكك بعض رجال الشرطة في فوائد اجهزة الانذار في السيارات. يقول جيري بويد رئيس دائرة شرطة المارتينيز بكاليفورنيا: "يميل الناس الى تجاهل الانذارات التي يتبين لهم أن عدداً كبيراً منها كاذب." ويرى عدد آخر من رجال الشرطة أن فضلى الوسائل الرادعة القليلة الكلفة هي ملصق على السيارة يحذر من انها محمية ضد السرقة بنظام أمني – حتى وإن لم يكن الامر كذلك. وبدأت السلطات التي واجهت أخيراً ضغوطا شديدة في مدن أمريكية عدة تختبر حلا مماثلا قليل الكلفة، يتمثل بوضع اصحاب السيارات ملصقا أصفر زاهي اللون على احدى النوافذ يدعو الشرطة الى توقيف السيارة في اي وقت ما بين الاولى والخامسة صباحا والتدقيق في اجازة السوق ورقم التسجيل. وقد استعيد ٩٠ في المئة من هذه السيارات المسروقة في دالاس عام ١٩٩٠.

بعض الوسائل. ان الحرص وحسن الدراية قد يساهمان، الى حد بعيد، في

حماية سيارتك. وهذا عدد من الوسائل الفاعلة:

●□ اقفل سيارتك واحتفظ بالمفتاح.

يقول مكتب NATB انه في ١٣ في المئة من السرقات كان مفتاح الكونتاكت (ادارة المحرك) لا يزال في مكانه.

●□ لا تترك اشياء ثمينة مكشوفة في سيارتك. وفي حال الاضطرار ضعها في الصندوق الخلفي بعيداً من الانظار.

●□ اوقف سيارتك في الاماكن المضاءة أو قرب سيارات اخرى او حيث يمر المشاة، خصوصا في الاسواق التجارية.

●□ حين توقف السيارة، أدر العجلات الامامية الى أقصى اليمين أو أقصى اليسار، وأحكم ضغط الكابح الاحتياطي وثبّت ذراع ناقل الحركة عند درجة التعشيق الاولى أو درجة التوقف، الامر الذي يعطل حركة العجلات الاربع معا ويصعِّب على السارق قطر السيارة.

●□ متى كنت في المنزل، أوقف السيارة في مرأب مقفل. واذا لم يكن لديك واحد منه، ففي الطريق الخاصة بالمنزل.

●□ لا تستخدم الاجهزة الممغنطة لاخفاء المفاتيح، فما من لص لا يعرف موضعها.

اخيراً تعلم درساً من جو تمبلر. فهو خالف القاعدة الاولى لتفادي سرقة السيارة: كل ما يمكنك فعله لجعل مهمة السارق أصعب، يعزز فرص احتفاظك بسيارتك.



بازار

سردت علينا معلمتنا تفاصيل دراسة نشرت حديثاً، فقالت: "تظهر التجارب ان اقتناء حيوان مدلل يحسِّن صحة المرء. فبمجرد مؤانسته وتمرير اليد على جلده يخف الشعور بالاجهاد ويهبط ضغط الدم."

كان الموضوع شائقاً. وفي نهاية الحصة كتبت المعلمة اسمها ورقم هاتفها على اللوح واضافت قبل أن تخرج: "بالمناسبة، وضعت هرّتي اربعة جراء. وانا على استعداد لاهداء جرو الى اي واحد منكم يرغب في تحسين صحته."

ب.هـ.

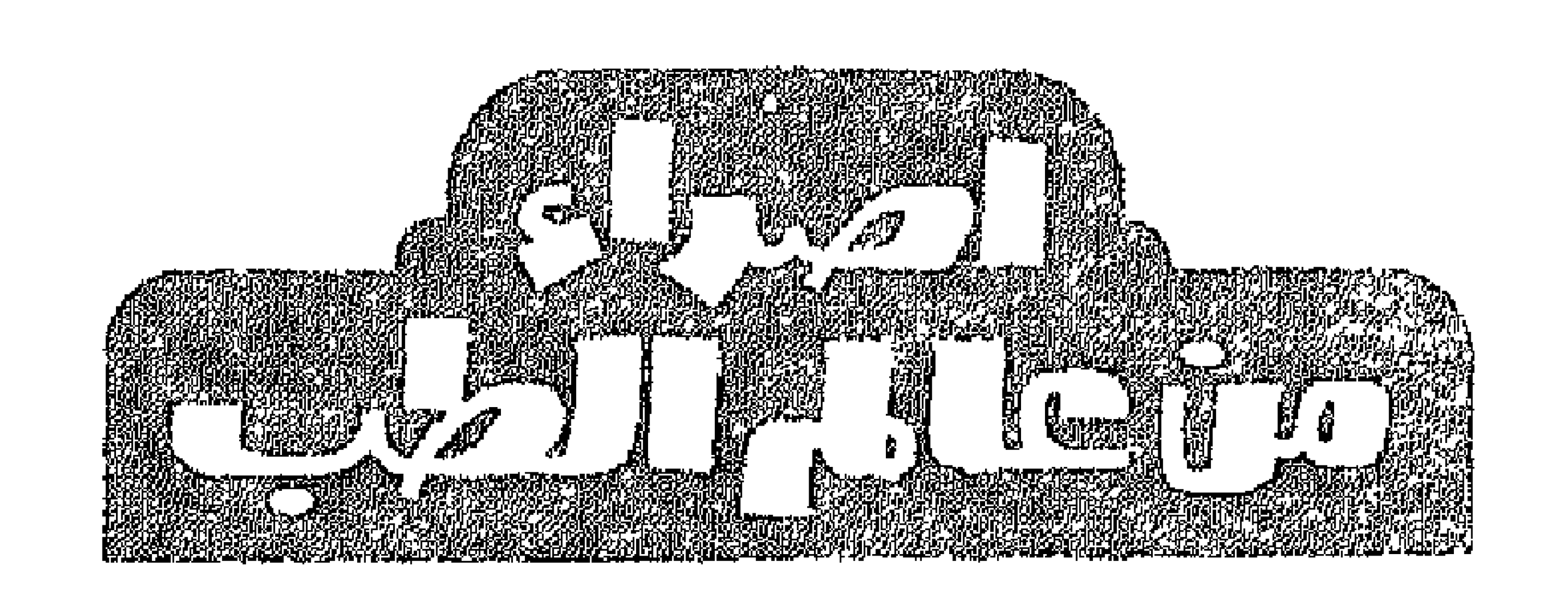
فتاة البارحة

ردت ابنتي على مكالمة هاتفية من احدى صديقات شقيقها المعروف بكثرة صداقاته. فأخبرتها انه غائب، وسألتها هل تريد ان تترك له رسالة مع اسمها؟

قالت المتكلمة: "اخبريه فقط ان فتاة البارحة اتصلت به."

فردت ابنتي بعفوية: "وفي اي وقت من البارحة؟"

ب.ج.



حشو الاسنان ينقذها

■ كثير من عمليات قلع الاسنان غير ضروري. ومع ذلك تبين أن ٢٨ في المئة من الامريكيين، رجالا ونساء، لا يزالون يفضلون اقتلاع سن مؤلمة على اجراء عملية حشو للحفاظ عليها.

وتقضي عملية الحشو بتفريغ الجوف المعطوب للسن وحشوها بمادة سادّة خاتمة تتيح لها الاستمرار في أداء وظيفتها. والسن المحشوة قد تدوم طوال العمر، كما أنها مفيدة صحياً. اذ ان الاسنان تنزاح من مكانها بعد اقتلاع احداها فتهدد بالاصابة بامراض اللثة. فيضطر المريض، لتفادي هذا الخطر، الى شراء طاقم أسنان اصطناعية أو "جسر" يكلّفه اكثر من عملية حشو عادية.

وربع أولئك الذين يفضلون القلع على الحشو انما يفعلون ذلك خشية الألم. لكن التقدم في تقنيات التخدير جعل عملية الحشو خلواً من الألم.

نشرة "الجمعية الامريكية لاطباء الاسنان"

الغولف واصابات الظهر

■ اثبتت دراسة أجريت على ١١٤٤ لاعب غولف هاوياً في انديانا بوليس أن ٦٢ في المئة منهم يعانون اصابة أو أكثر من جراء هوايتهم، وكثير منها كان يمكن تفاديها. والسبب الأكثر شيوعاً لهذه الاصابات هو الافراط في اللعب، أما السبب الآخر الذي يكاد لا يقلّ أهمية فهو الافتقار الى اللياقة البدنية.

أسفل الظهر هو احد الاماكن الأكثر تعرّضا للاصابة خلال اللعب. ويعاني خمسون في المئة من لاعبي الغولف مشكلة ما في ظهرهم. ولتفادي مشاكل الظهر ينصح الباحثون بتمارين التمطّي قبل اللعب وبعده من اجل تحمية العضلات وتبريدها، كما ينصحون بالتدرب مع لاعب محترف لتحسين قدرات اللعب.

نشرة "جونز هوبكنز" الطبية

أحذية الأطفال

■ يعتقد كثيرون أن الاحذية التقويمية الجلدية ذوات الكعب العالي ضرورية لتوفير دعم اضافي للأطفال الحابين الذين يتعلمون المشي. لكن دراسة أجريت في جامعة كاليفورنيا الجنوبية بينت أن الأحذية الواطئة الكعب (السنيكرز) قد تكون افضل. فقد راقب الباحثون ٣٦ طفلا حابياً تراوح اعمارهم بين ١٨ شهراً و٣٠ شهراً يسيرون حفاة، وبأحذية "سنيكرز" قماشية واطئة الكعب، وبأحذية جلدية قاسية النعل. كان توازن الأطفال وثباتهم افضل حين مشوا حفاة أو منتعلين أحذية "سنيكرز."

تقول المعالجة الفيزيائية ميشيل لارسون: "ان وظيفة أحذية الأطفال توفير الحماية لا الدعم، وهذا ما تفعله السنيكرز جيداً."

نشرة جامعة كاليفورنيا الجنوبية

لسع الحشرات

■ خلصت دراسة شملت ٢٤٢ ولداً وأجراها باحثون في مؤسسات جونز هوبكنز الطبية في بالتيمور، الى أن الاولاد الحساسين تجاه لسع الحشرات نادراً ما يصابون بتأثيرات أسوأ في حال تعرّضهم للسع ثانية، وبالتالي فهم ليسوا في حاجة الى الحِقَن الكثيرة المضادة للحساسية التي توصف لهم غالباً.
ظهرت "كدمات" جلدية على جميع الاولاد الذين شملتهم الدراسة لدى تعرّضهم للمرة الأولى للسع نحل أو دبابير أو زنابير أو زراقط. لكن نسبة تقل عن ١٩ في المئة منهم تبقعت بشرتهم لدى تعرضهم للسعة ثانية، ولم تكن البقع على أجساد هؤلاء أسوأ مما كانت بعد اللسعة الاولى.
وتلاحظ الدراسة أن عدداً كبيراً من الاولاد يتلقون علاجاً غير ضروري بواسطة الحقن لازالة حساسيتهم تجاه سمّ الحشرات. وخلافاً للعرف التقليدي الذي يتوقع بروز أعراض أسوأ بعد كل لسعة، تشير هذه الدراسة وغيرها الى أن حساسية الأولاد تجاه لسع الحشرات غالباً ما تخفّ أو تختفي من دون معالجة طبية.

نشرة "جونز هوبكنز نيوز"

أمل لابناء هيروشيما

■ حين هوت القنبلتان الذريتان الاوليان على مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين عام ١٩٤٥، اعتقد العلماء أن تعرّض الناجين للاشعاع الذري سوف يحدث تبدلات وراثية في البييضات والخلايا المنوية تؤدي الى نشوء أجيال مبتلية باختلالات خِلقية أو بالسرطان أو بالوفاة المبكرة.
لكن الأمل باق. اذ ان اختبارات أجريت على ٧٢٢١٦ شخصاً من أبناء المواطنين الذين تعرّضوا للاشعاعات الذرية لم تلحظ أيّ زيادة في الاختلالات الخِلقية أو اصابات السرطان أو شواذ الصبغيات (الكروموزومات). ويخلص جون بويس من المعهد الوطني الأمريكي للسرطان الى أن "البشر اليوم يَبدون اقل حساسية مما ظُن سابقاً تجاه التأثيرات الوراثية للاشعاعات."
ويناقض هذه الاكتشافات الخوف الكبير من أن ضحايا الاشعاع يحملون داخلهم تقلبات سوف تكبد ذرياتهم اضطرابات وراثية. فالى اليوم ما زال قليلون مستعدين لتزوج ابن أو حفيد لاحدى ضحايا القنبلتين. كما يرفض كثير من اليابانيين الناجين من الانفجار الذرّي الافادة من الامتيازات الصحية المخصصة لهم. ويأمل الباحثون أن تساعد هذه الاكتشافات الجديدة في تبديد المخاوف القديمة السائدة.

مجلة "نيوزويك"

فكروا وأنتم واقفون

■ هناك أناس كثيرون يفكرون أسرع وهم واقفون.
يقول الباحث ماكس فركرويسن من جامعة جنوب كاليفورنيا: "الوقوف يُحَسِّن سرعة الارتكاس (رد الفعل) خصوصاً عند المسنّين والعاملين في مهمّات صعبة."
ويضيف فركرويسن أن اختباراته التي أسندها الى دراسات سابقة للعالمة بمشاكل الشيخوخة انيتا وودن، ركزت على مهمّات تتطلب سرعة في أخذ القرار وأظهرت أن سرعة الناس في تحليل المعلومات تزداد ما بين ٥ و٢٠ في المئة عندما يكونون واقفين.

وكالة "رويتر"

سويسرا تدخل عصر التحولات

على رغم الصعاب، يواصل شعب سويسرا المتعدد الاصول والجذور مسيرته الرائدة في العالم

مرج البي أخضر، تحوطه غابة من الجانبين، يستحم في اشعة شمس ساطعة، ويشرف على بحيرة كبيرة تتربع في حضن جبال شامخة. وتتناهى عبر مكبرات الصوت عبارات رجل يحمل اسماً ايطاليا ويتحدث بالالمانية. ثم ينتقل الى الفرنسية ومنها الى الايطالية فالرومانشية وهي اللغة الاقل انتشاراً في البلاد. ولم يجد الحضور صعوبة في تتبع أقواله من لغة الى أخرى، فهذه هي سويسرا على أي حال.

وضم الحضور بغالبيته ممثلين عن كانتونات "اوري" و"اونترفالد" و"شويز" (وهي "ولايات" شبه مستقلة) التي انبثق منها الاتحاد السويسري الحالي. وقدم هؤلاء للاحتفال بحدث رائع ليس في الحسبان، هو الذكرى المئوية السابعة لولادة أولى ديموقراطيات العالم الحديث.

وبدا مكان الاحتفال هذه السنة جميلا كما كان في أحد أيام اغسطس (آب) قبل سبعة قرون عندما شهد اجتماع ٣٠ رجلا من الوديان الثلاثة المجاورة.

مزارعون ومربو ماشية قطعوا الجبال والوديان والتقوا في مرج روتلي ليتحدوا ضد الخطر الداهم من النمسا. ويدأ بيد حققوا خطوة لم يسبق لها مثيل في تاريخهم. ولم يكتفوا بالاتحاد بل وقعوا أيضا وثيقة رسمية التزموا بموجبها التعاون الدائم.

وأعلن رسميا في ذلك الاجتماع تأسيس سويسرا التي انضم اليها لاحقاً عبر القرون ٢٣ كانتونا أُخر على رغم الفوارق الثقافية في ما بينها. واندمجت الكانتونات في نهاية المطاف وشكلت مزيجا فريداً لأمة تعد ٦،٦ ملايين نسمة، ٦٥ في المئة يتكلمون الالمانية و١٨ في المئة الفرنسية و١٠ في المئة الايطالية وواحد في المئة تقريباً الرومانشية، أي لغة الرومان القدامى الذين سكنوا الشرق.

الاكثر تقدما وثراء. سويسرا خلابة حقا. وجمال طبيعتها الأخاذ تحاكيه روعة الخصال المدنية لمواطنيها ونوعية منتوجاتها وصلابة اقتصادها الحر الذي جعل هذا البلد الجبلي الصغير أحد أكثر البلدان تقدما وثراء في العالم.

وتجمع سويسرا أعلى مستوى معيشة في العالم (الناتج القومي الاجمالي ٢٦٠٢٠ دولارا للفرد سنويا) وأقل نسبة بطالة (أقل من واحد في المئة). وتتمتع بنقد قوي وقطاع صناعي مزدهر يحظى بدعم الاتحادات العمالية التي أضربت للمرة الاخيرة عام ١٩١٨. ويسهر الجيش السويسري القوي (يعتبر أكبر جيش في اوروبا الغربية) على أمن البلاد لكنه لا يتدخل في الحروب والمعارك لأن البلاد تلتزم الحياد رسميا.

إن سويسرا تستحق، بلا شك، هذا الاحتفال الكبير بذكرى تأسيسها وحشود السياح التي أمتْها هذه السنة. غير أن ستار الاحتفال والفرح هذا يحجب قلقا وانزعاجا مستمدين من بعض الحقائق البغيضة التي يفترض الا تلطخ مجتمعا مثاليا كالمجتمع السويسري. فسويسرا الطاهرة والديموقراطية لم تستطع درء المشاكل التي افسدت مجتمعات البلدان الاقل ازدهارا وخصوصا مشكلة المخدرات التي تحز في النفوس.

والاحصاءات السويسرية واضحة وبسيطة ومعها تسطع الحقيقة المرة: لقد تأكد أن البلاد تعاني اليوم أعلى نسبة من إصابات الايدز بين الدول المتطورة. وينتشر هذا الداء، كما في أي مكان آخر، من خلال الابر التي يتبادلها مدمنو المخدرات. ويقول جوزف غاتزي رئيس شرطة المخدرات في زوريخ كبرى مدن سويسرا وأوفرها ثراء: "انها آفة المجتمعات العصرية. فالمدمنون شبان يعانون مشاكل إما مع عائلاتهم واما في دراستهم أو في احترافهم لمهنة ما. ويقدر عدد المدمنين في مدينتنا بنحو ٣٠٠٠ معظمهم من السويسريين، لكن تجار المخدرات هم في غالبيتهم من الغرباء، اتراك ولبنانيون ويوغوسلاف، ونأمل أن نتمكن قريبا من تطهير البلاد من هذه الآفة."

وغاتزي ممتعض لأن الغرباء متورطون في جريمة تسميم حياة الشباب السويسريين. لكن الواقع أن سويسرا لا تستطيع الاستغناء عن اليد العاملة الاجنبية. فهي في حاجة الى أشخاص يرضون القيام بأعمال يأنفها السويسري كجمع النفايات والبناء وصيانة الطرق. وهكذا فان الأجانب يشكلون نسبة تقارب الـ٢٠ في المئة من القوة العاملة في سويسرا وهي نسبة تفوق بأشواط تلك التي سجلتها الدول الغربية الاخرى.

بين الطهارة والقذارة. أن يسلك البعض طريق الشر والجريمة فهذا امر لا مفر منه احيانا. والسويسري الذي يثور لدى رؤيته المومسات وتجار المخدرات المتجولين، يميل أكثر الى تحميل الاجانب المسؤولية كاملة في هذا الشأن. والنتيجة

ان هذا البلد الاوروبي الاكثر تعدداً للاعراق واللغات بات الاقل تسامحاً مع الوجوه الغريبة، فيما المزيد من مواطني العالم الثالث المتعطشين الى العمل يقفون في طوابير على ابوابه. ففي العام المنصرم طلب ٣٦ الف أجنبي حق اللجوء السياسي الى سويسرا فقبل ٤،٩ في المئة منهم فقط، وتم ايواؤهم في مناطق مختلفة ريثما تستكمل دراسة ملفاتهم لأن فكرة استقبال لاجئين لا تلقى ترحيبا من الجميع. ويلخص بيتر اربينز الوضع بالآتي: "لقد بلغنا الخط الاحمر."

وحتى وقت قصير، كانت سويسرا تستقبل، من دون تحفظ، واردات من نوع آخر هي المال. فثمة مليارات من الدولارات مكتسبة بطرق غير شرعية (تعرف بـ"القذرة") ومبالغ ومساعدات نهبها طغاة في العالم الثالث واموال ابتزاز وأرباح تجارة المخدرات العالمية أدخلت حسابات مصرفية سرية لتخرج بعد ذلك "مبيضة" ومتسترة وراء استثمارات نظيفة شريفة في شكل سندات مالية ومشاريع شرعية في أنحاء العالم.

وتهمة التواطؤ مع المجرمين قد تروع الغالبية الساحقة من المصرفيين السويسريين وهم من خيرة المواطنين. ولكن عدم السؤال عن مصادر الأموال المودعة، وهي السياسة التي درج عليها النظام المصرفي السويسري، شكل دعوة مفتوحة للاستغلال. ولكن في أواخر الثمانينات من هذا القرن، وبعد استقالة وزيرة العدل اليزابيت كوب إثر فضيحة "تبييض" أموال غير شرعية، سنت قوانين جديدة أخضع بموجبها القطاع المصرفي للناموس الاخلاقي. ويقول هلموت رانيك الناطق باسم "الكريديه سويس" وهو ثالث المصارف الكبرى في البلاد: "ما زلنا نحافظ على السرية بالنسبة الى زبائننا. ولكن هذه السرية لم تعد سرية اخفاء المجرمين لأننا لا نريد أموالا "قذرة" اي مكتسبة بطرق غير شرعية."

واذا كانت المجموعة المصرفية السويسرية اظهرت تعاونا في هذا المجال مع البلدان الاوروبية الاخرى، فلأنها شعرت بتحد كبير آت من وراء الجبال يتمثل بالمجموعة الاوروبية (دول السوق الاوروبية المشتركة) التي شكل التعامل معها هاجس سويسرا الاول.

فقد جهدت سويسرا، منذ نشأتها، لبناء أمة على سياسة الاكتفاء الذاتي. وكلما اقترب موعد توحيد السوق الاوروبية المقرر لما بعد السنة ١٩٩٢، ارتفعت أصوات الخبراء الذين يتساءلون عن مصير التجارة السويسرية، هذه الجزيرة الصغيرة وسط بحر اوروبي جبار. ويقال ان سويسرا التي رفضت بعناد الانضمام الى كل من السوق الاوروبية والامم المتحدة (صوت السويسريون ضد الانضمام اليهما في استفتاء أجري عام ١٩٨٦)، بدأت تشعر بقرب نهاية سياسة الاكتفاء الذاتي.

لكن رجال الاعمال يحبذون بغالبيتهم

إجراء مفاوضات مع دول السوق بغية تعجيل انضمام سويسرا الى المجموعة الاوروبية. الا انهم يقرّون، من ناحية أخرى، بأن هذه العضوية تتطلب تضحيات جبارة. ذلك ان تبني قوانين المجموعة وحده (نحو ٥ آلاف قانون) يشكل انتقاصاً فادحاً للسيادة. غير أن قرار العضوية يتخطى، في الواقع، حدود جرح الكرامة. فالسويسريون يتخوفون، عن حق، من أن تجذب اليهم هذه العضوية اليد العاملة الرخيصة التي تشكل خطرا على معاشاتهم المرتفعة من جهة، كما تجذب اليهم، من جهة اخرى، الأجانب القادرين على تملك الارض. ويحلل والتر فراي وهو نائب محافظ ما يمكن أن يؤول اليه الوضع بالآتي: "إن فكرة السيادة المطلقة ستزول، هذه السيادة التي جسدت روح سويسرا والازدهار والتقاليد."

ويقول هانز بار مساعد مدير مصرف "جوليوس بار"، أحد أهم مصارف سويسرا الخاصة: "لا مفر من ذلك." وهو يعكس نظرة رجال اعمال متشددين. ويضيف: "كثيرون هم الذين لا تروقهم فكرة المجموعة الاوروبية، لكنها مسألة حياة او موت بالنسبة الينا والعضوية شبه محتمة اذا ما دعينا اليها."

ويخفي التحفظ ازاء المجموعة الاوروبية كرهاً عميق الجذور للحكم الموسع وتعلقا شديداً بنظام فريد من الديموقراطية المباشرة. فالحكم السويسري لامركزي، أساسا، يمنح سلطات مهمة للمجالس المحلية والكانتونات الستة والعشرين التي يحظى كل منها ببرلمانه الخاص ودستوره وقوانينه وانظمته وموازنته. والحكومة الاتحادية ملزمة استفتاء الشعب في كل المسائل المهمة. ويمكن المواطنين الدعوة الى استفتاءات وطنية اذا تمكنوا من جمع ١٠٠ الف توقيع.

والنتيجة هي ان سويسرا تعتبر، بلا منازع، البلد الذي يكثر فيه التصويت. ومع ان المواطنين السويسريين يتذمرون أحياناً من التصويت وإزعاجه، لكنهم، رغم ذلك، ضنينون بهذا الامتياز. وهناك خمسة كانتونات لا تزال موازناتها تخضع للمصادقة الشعبية، فيجتمع لهذه الغاية نوابها المنتخبون برفع الايدي، في الساحة الرئيسية لعاصمة الكانتون.

الغاء الجيش. فيما تشهد اوروبا تغييرات جذرية، أظهر استفتاء وطني أجري في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩ أن أعداداً كبيرة من السويسريين ترغب في القيام بقفزة، غير متوقعة، في المجهول. وكان موضوع الاستفتاء إلغاء الجيش وأتت النتيجة مدهشة إذ وافق ٣٥ في المئة من الشعب على هذا الموضوع.

ولكن كيف تم ذلك؟ فالسويسريون يعتدون بقواتهم المسلحة التي يلقى فيها كل مواطن تدريبا أساسيا لمدة أربعة أشهر، تتبعه دورة سنوية تستغرق ثلاثة أسابيع على الاقل يلزم خلالها أرباب العمل بدفع اجور الملتحقين بها. وهكذا

فان سويسرا قادرة على تعبئة قوة مقاتلة كاملة التدريب تعد ٦٢٥ الف عنصر خلال ٤٨ ساعة، ونشرها في أماكن معينة وممونة سلفاً. وليست مصادفة أن تترك سويسرا وشأنها خلال الحربين العالميتين.

واليوم، مع انتهاء الحرب الباردة، يتساءل السويسريون أكثر فأكثر عن جدوى تخصيص ٢٠ في المئة من الموازنة الاتحادية لحماية الحياد الذي فقد معناه بالنسبة الى الذين صوتوا ضد الابقاء على الجيش.

في الربيع المنصرم قررت الحكومة الاتحادية، في ضوء نتائج الاستفتاء، خفض عديد أفراد الجيش الى ٤٠٠ الف من جهة، ومعدل سن الخدمة من ٥٠ الى ٤٢ سنة، من جهة اخرى.

وفي يونيو (حزيران) الماضي ظهرت نسبة مئوية جديدة أثارت دهشة كبيرة اذ قلبت الفكرة السائدة عن العقلية التقليدية. فقد تبين من استطلاع للرأي العام أن ٥٤ في المئة من ألشعب تؤيد انضمام سويسرا الى المجموعة الاوروبية. وهكذا بين استطلاع واستفتاء يظهر تفاوت في الرأي يتعذر التنبؤ به. فالحجج الاقتصادية المتماسكة التي تقدم بها أمثال هانز بار لا تصمد كثيراً في وجه انتقادات المواطنين العاديين خصوصا عندما يساوون بين المجموعة الاوروبية من جهة وتدفق الاجانب أو مواكب الشاحنات العملاقة، من جهة اخرى التي تؤدي الى تلوث جبال الالب النقية. وبدأ بالفعل ستار من الضباب والدخان يغطي الجبال في المناطق التي تشهد زحمة سير. لكن الوضع يزداد سوءاً على الطريقين الرئيسيتين اللتين تصلان سويسرا بألمانيا وايطاليا عبر ممري سان غوتار وسان برنار الكبيرين. ويقدر العلماء أن الدخان المنبعث من عوادم السيارات أتلف أكثر من نصف الثروة الحرجية في جبال الالب السويسرية. ولكن، في حال انضمام سويسرا الى المجموعة الاوروبية، فسيترتب عليها رفع حد أوزان الشاحنات التي تعبر طرقاتها، من ٢٨ طناً الى ٤٠ طناً مما سيؤدي الى مرور شاحنات أكبر واستفحال التلوث. وثار أنصار الطبيعة لمجرد احتمال تنفيذ هذه الخطوة فيما استعد آخرون لمعالجة هذه المشكلة على الطريقة السويسرية القديمة التي تقضي بتحقيق مشروع "ألب ترانزيت،" وهو نفق كبير يخترق الجبال ويؤدي الى تخفيف التلوث من خلال نقله الشاحنات على متن قطارات. وقد وافق مجلس النواب الاتحادي على هذا المشروع الذي لا يزال يستلزم عملا طويلا وشاقاً فضلا عن عشر سنين على الأقل لحفر الجبال وبناء النفق وسط الغرانيت الصلب. لكن السويسريين أمضوا قروناً عدة في بناء الانفاق والجسور والطرق ومد السكك الحديد وكدوا في سبيل إنشاء بنية تحتية رائعة في منطقة جرداء كانت لتزرع الاحباط في نفوس من هم أقل عزماً وإصراراً.

ولمست هذا العزم الراسخ أينما ذهبت في سويسرا. غير أنه لم يكن لافتاً في أي مكان بالمقدار الذي تحسسته لدى بول يانز صاحب فندق "فروهسين" في ارستفلد جنوب لوسرن. فقد ورث يانز (٤٠ عاما) الملتحي والقوي البنية، أصغر فندق في المدينة وحوله أكبر فندق فيها (٢٨ غرفة). وهو دائم الانشغال فإما يحسن أو يخطط او يستحدث. كما لا يكف عن العمل عبر عضويته في مجلس البلدية ومن خلال كونه مديراً لمصلحة الاطفاء والدفاع المدني.

يقع المقر الرئيسي للدفاع المدني تحت الارض خلف باب فولاذي حفر في الجبل الذي يعلو المدينة. ويؤمن هذا المقر بيئة اصطناعية مصغرة كاملة مضادة للحرائق والقذائف والغاز. وقد زود كل ما يحتاج اليه لاداء مهمته، من الكاشفات الضوئية الكهربائية والثاقبات وصولا الى عدادات جايجر، لقياس الاشعاع النووي، وأقنعة الغاز. وصنفت هذه المعدات بشكل واضح وأعدت لمواجهة اي طارىء في أي لحظة. وأخبرني يانز أن المدينة تضم أربعة مقرات مشابهة لهذا المقر مخصصة لحماية سكان ارستفلد في حال اندلاع الحرب.

عالم من خيال. غادرت هذا العالم الذي ينتمي الى الخيال العلمي برفقة يانز وتوجهنا الى كنيسة صغيرة بنيت عام ١٥٨٨ في مدينة بورغلن الاخاذة. ووقفنا بجانب المدفن حيث "تستريح" أجيال من الأسلاف فيما راحت أجراس الكنيسة تقرع وتصم آذاننا بجلجلتها. وسرّحنا ناظرينا في الوادي الصغير الذي امتد عند اسفل التلة. وبذل يانز قصارى جهده للتظاهر باللامبالاة لكنه لم يستطع كتم كبريائه فقال بجدية: "أنا راض بالحاضر لكني لست راضياً بعد بالمستقبل وأريد أن أقوم بقسطي لأجعله أفضل."

وفي اليوم التالي حدقت الى الريف من خلال نافذة القطار الذي حملني وانسل عبر جبال الالب. وما رأته عيناي كان درسا ميدانيا وتطبيقيا لما رمى اليه يانز في حديثه: طرق مخططة وأبقار سمينة ترعى في مراتع نظيفة وفناءات كنست ورتبت كما لو انها تستعد للتفتيش ورجال ينظفون بعناية الدغل على جانبي الطرق.

إن السويسريين اليوم، كما في الامس البعيد أي قبل سبعة قرون، يعملون بكد وعزم لا يلين لجعل بلدهم أفضل مما هو.

قلت في نفسي: عيداً سعيداً يا سويسرا، لا تتغيري مهما حصل.

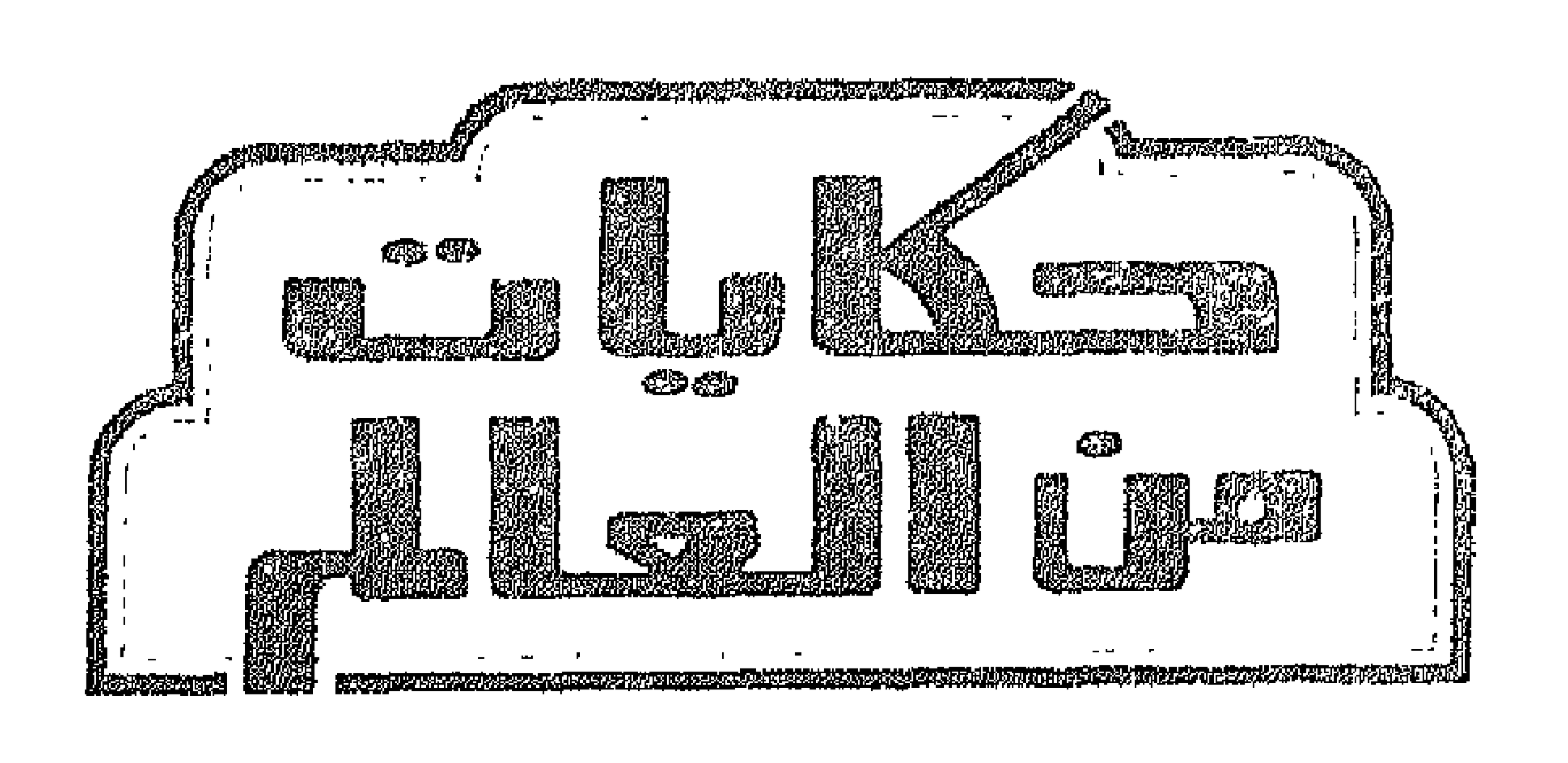
رودولف شلمنسكي ■

سائقات

كنت مع والدتي واثنتين من صديقاتها نجوب شوارع المدينة ليلا في السيارة. فهتفت والدتي فجاة: "يا الهي! كنت اقود السيارة وانوارها مطفاة!"

فقالت إحدى الصديقتين: "لا باس، لم يرنا أحد."

م.ف.



عرسان يوغوسلافيا

□■ ايها الشبان، اذا كنتم تعتزمون الزواج فابتعدوا عن بلدة غورازدي. الا تعلمون ماذا يحصل هناك؟ عندما يعلَن موعد زواج مقبل، يبادر جيران العروس الى الامساك بالعريس وجرّه خارج البيت. ثم يربطونه الى عمود قريب من نار مضرمة، ويروِّحون باللهب في اتجاهه. ولكي تتفادى والدة العروس تحويل صهرها العتيد شواء، يتعين عليها تقديم الطعام والشراب الى الجميع، وبعد اعداد المائدة يُفك رباط العريس ويسود المكان لهو ومرح. لذلك، ايها السادة، تجنبوا فتيات غورازدي ما لم تكونوا على يقين من أن حماتكم تحبكم حقا.

صحيفة "غازيت"

طريق المايا

□■ قبل اكثر من ثلاثة آلاف سنة ظهر شعب المايا في شبه جزيرة يوكاتان القاسية في امريكا الوسطى وارسى حضارة ازدهرت في زمن كانت اوروبا غارقة في ظلمات القرون الوسطى.
وكانت لدى المايا روزنامة كتلك المعتمدة في العالم الحديث. واستنبط سكان المايا مفهوم الصفر وتتبعوا مسار كوكب الزهرة بفارق يوم واحد كل ٦٠٠٠ سنة.
وفي القرن السادس عشر كانت حضارة المايا الكلاسيكية اندثرت حين قدم الفاتحون الاسبان واطلقوا عليها "رصاصة الرحمة."

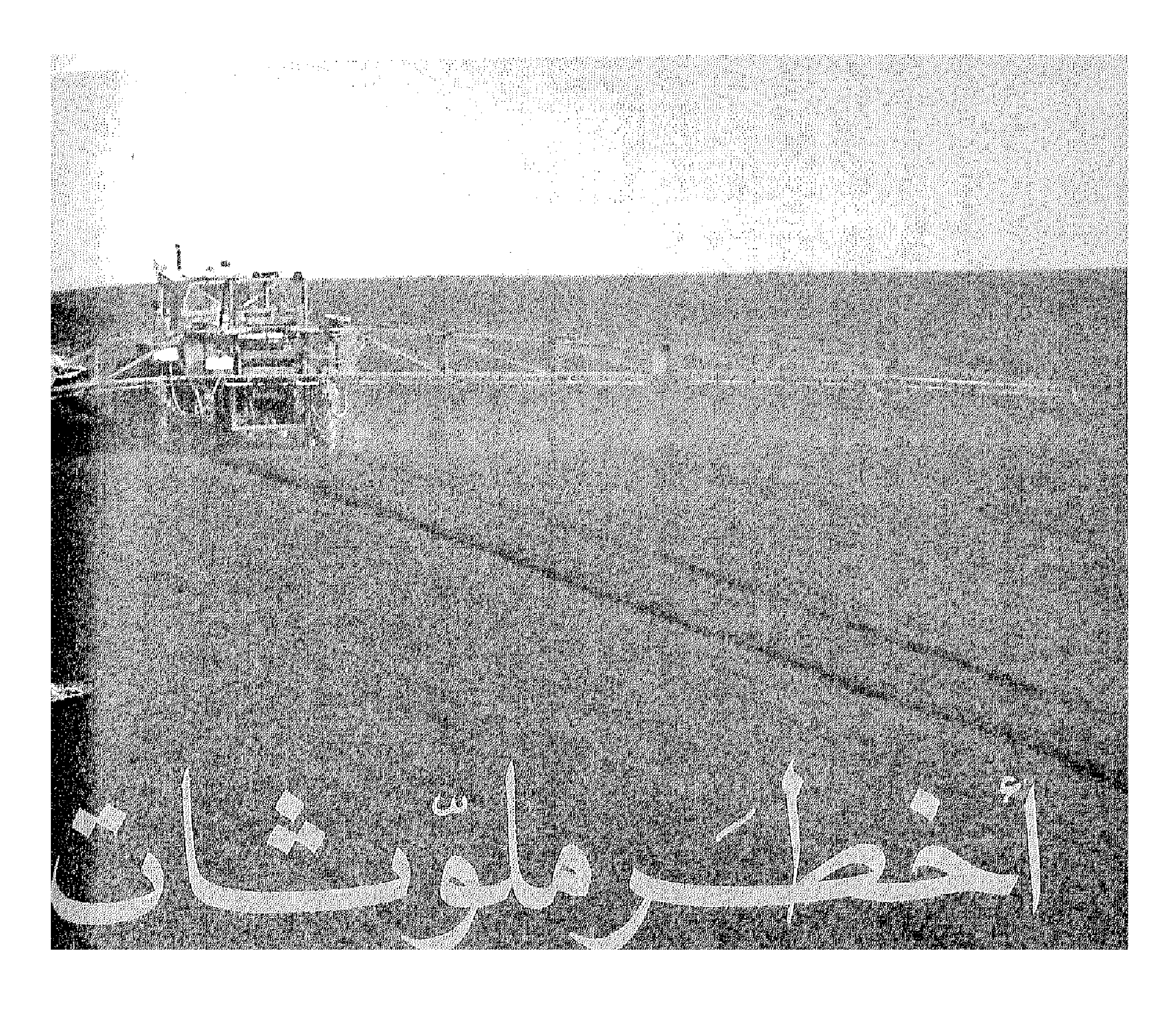
واليوم تتبلور فكرة جريئة من المكسيك وغواتيمالا وهندوراس وبيليز والسلفادور التي كانت كلها مواطن شعب المايا، تقضي بانشاء "لا روتا مايا" وهي طريق تمتد ٢٥٠٠ كيلومتر وتقطع حدوداً دولية عدة وتصل مواطن المايا الرئيسية بعضها ببعض. وياتي يوم يصبح في امكان السياح، بتاشيرة سفر موحدة، زيارة مناطق تندر رؤيتها الآن. وبواسطة سكة حديد مفردة او قطار كهربائي عبر المناطق الحساسة بيئياً، يمكن تفادي تدمير الغابات الذي يرافق شق طرق جديدة. "لا روتا مايا" هي احدى سبل الحفاظ على تراث المايا وعلى الغابة الاستوائية التي تكتنفه.

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

أكواخ اليابان

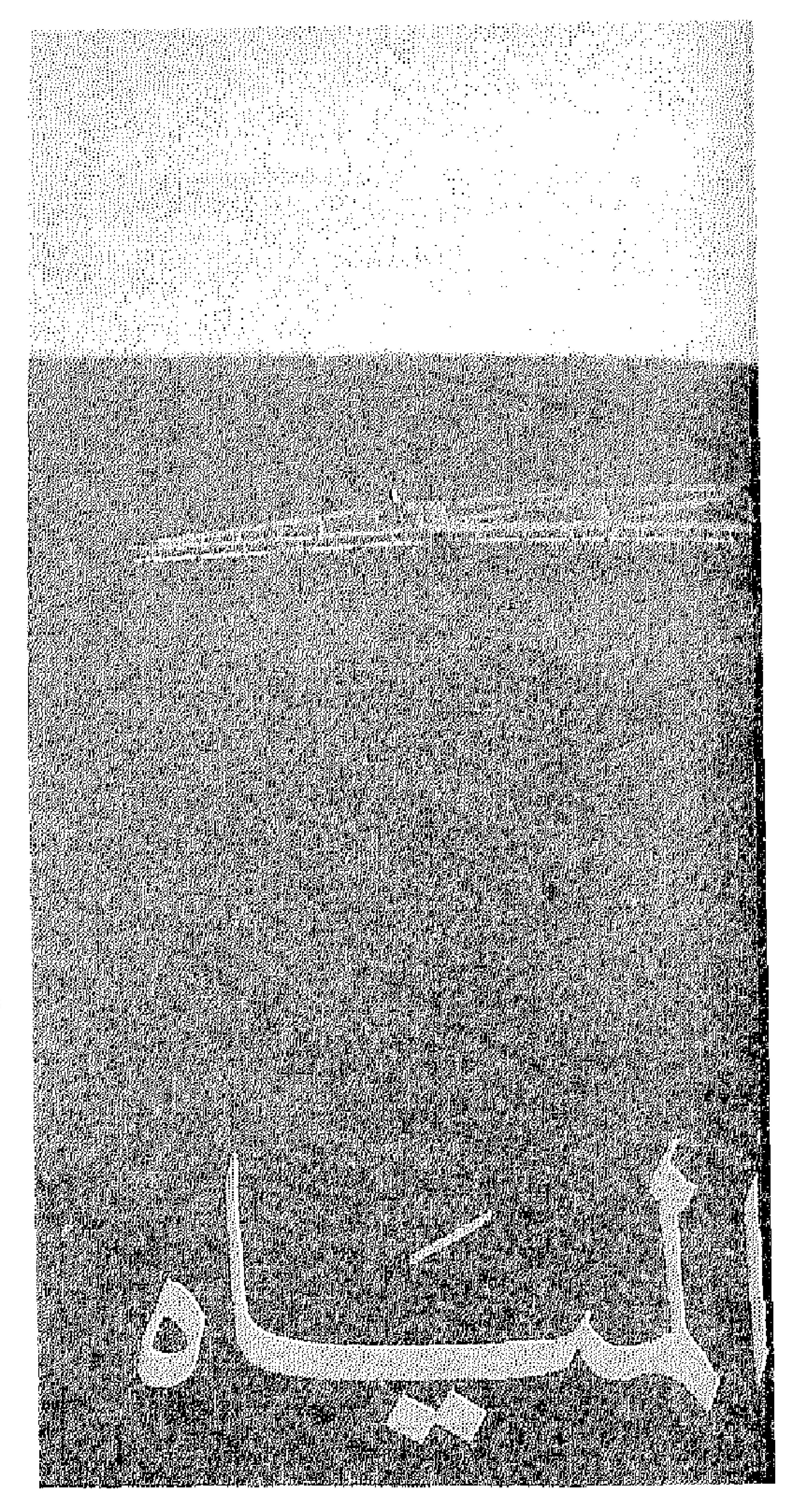
□■ اصبحت الاكواخ المبنية بجذوع الشجر هوسا في اليابان. فهناك مجمَّعات سكنية من هذه الاكواخ في منتجعات وقرى جديدة قيد البناء تؤمن المنامة وفطور الصباح على مدار السنة.
وحلّقت مبيعات الاكواخ في السنوات الخمس المنصرمة، ومعظم الشارين من سكان الشقق في طوكيو. يقول مستورد الاكواخ كوتارو نودا: "لقد ارتفعت اسعار العقارات في المدينة بحيث يئس الناس من قدرتهم على شراء مسكن فيها. لذا يسعون الى شراء قطعة ارض صغيرة في الريف يشيدون عليها كوخاً من جذوع الشجر."

مجلة "فورتشن"



عندما نفق ١٥ كلبا و٢٠ حملاً في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ قرب خزّان روتلاند الضخم في لسترشير ببريطانيا، أرسلت مديرية الانهر خبراء لاجراء تحقيق. فاكتشفوا أن الخزان الذي وردته الحيوانات للارتواء اكتسى طبقة كثيفة من الطحالب الخضراء المزرقّة المولّدة للسموم. وإذ أثار هـذا الأمر قلق السلطات، عمدت على الفور الى وقف النشاطات الترفيهية في المكان وفي ٢٥ خزانا وبحيرة وبركة تعاني مشاكل مماثلة، الى حين اختفاء هذه المتعضّيات المجهرية. وكان ذلك أول حدث مدوّن في بريطانيا عن مياه معتمدة للاستهلاك العام تتسبب في نفوق حياة حيوانية. ويرجح الخبراء الا يكون هذا الحدث الأخير في نوعه.

خزان روتلاند واحد من امثلة مثيرة عن الضرر الحاصل لموارد المياه الأوروبية بسبب أعمال الزراعة الحديثة. والمشكلة فيه كانت إخصاب المياه بالاسمدة الكيميائية المنجـرفة مـع السيول، فضلا عن مخلفات الفوسفات في مياه الخزان والصيف الحار المشمس



هذا درس من اوروبا: الاسمدة الصناعية والمبيدات تنمي محاصيل زراعية وافرة لكنها تهدد موارد المياه السطحية والجوفية

غير المألوف. سوى أن بلاء الطحالب لم يكن المشكلة الوحيدة، اذ ان المواد الكيميائية الزراعية، مثل النِترات والمبيدات، تشق هي أيضا طريقها الى المياه الجوفية ومنها الى أكواب الشرب وفناجين القهوة، مع ما يرافق ذلك من محاذير صحية مقلقة. وفي هذه الأثناء ينفث "جبل السماد" الأوروبي في الهواء مقادير هائلة من غاز الأمونيا (النشادر) الذي يسقط على التربة كجزء من "المطر الحمضي." ويحذر تقرير لـ"منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية"[1] الكائنة في باريس، من "الازدياد المستَمر للتلوث الناجم عن الأساليب الزراعية الحديثة المكثفة وما يرافقها من مخاطر."

الخطر الاعظم. المفاعيل البيئية للزراعة المكثفة ماثلة للعيان في انحاء أوروبا:

□ في بريطانيا، حققت السلطات المائية في ٥٢ قضية تناولت تلوث المياه السطحية بالمبيدات عام ١٩٨٨. وترتفع

(1) Organization for Economic Cooperation and Development

مستويات النترات باستمرار. يقول بريان كرول الباحث في مركز آنغليان للخدمات المائية في كمبردج: "يشرب نحو ١،٦ مليون بريطاني مياها تتجاوز أحيانا الحد الرسمي الاقصى للنترات وهو ٥٠ مليغراما في الليتر الواحد. ويشرب ٨٥٠ الف مواطن مياها تجاوز هذا الحد معظم الوقت."

□ في البلدان الاسكندينافية، تسببت النترات وغيرها من الكيميائيات الزراعية المنجرفة الى البلطيق في نمو طحلبي يهدد بكارثة. وفي العام ١٩٨٨ حاقت بالنباتات والحيوانات البحرية في البلطيق طحالب مجهرية خضراء غيّرت لون البحر وأهلكت نحو ٥٠٠ طن من أسماك السلمون والتروتة. اذذاك سارع نحو ١٤٠ من مربي الاسماك النروجيين الذين واجهوا خسائر محتملة بملايين الدولارات، الى نقل أسماكهم الى أزقة بحرية تكتنفها الأجراف وتحميها.

□ في إيطاليا، اشمأز السياح صيف ١٩٨٩ عندما وجدوا مياه شاطىء البحر الأدرياتيكي مغطاة بطفاوة نتنة من طحالب تقتات بمغذيات المزارع المنتشرة في وادي البو. ومنذ ١٩٨٢ والطحالب تهاجم اهوار البندقية صيفاً وربيعاً وتنشر أبخرة مقيتة تبذر غيوما من ذباب بالغ الصغر أدى في العام ١٩٨٥ الى إعاقة القطارات وشل حركة الطيران.

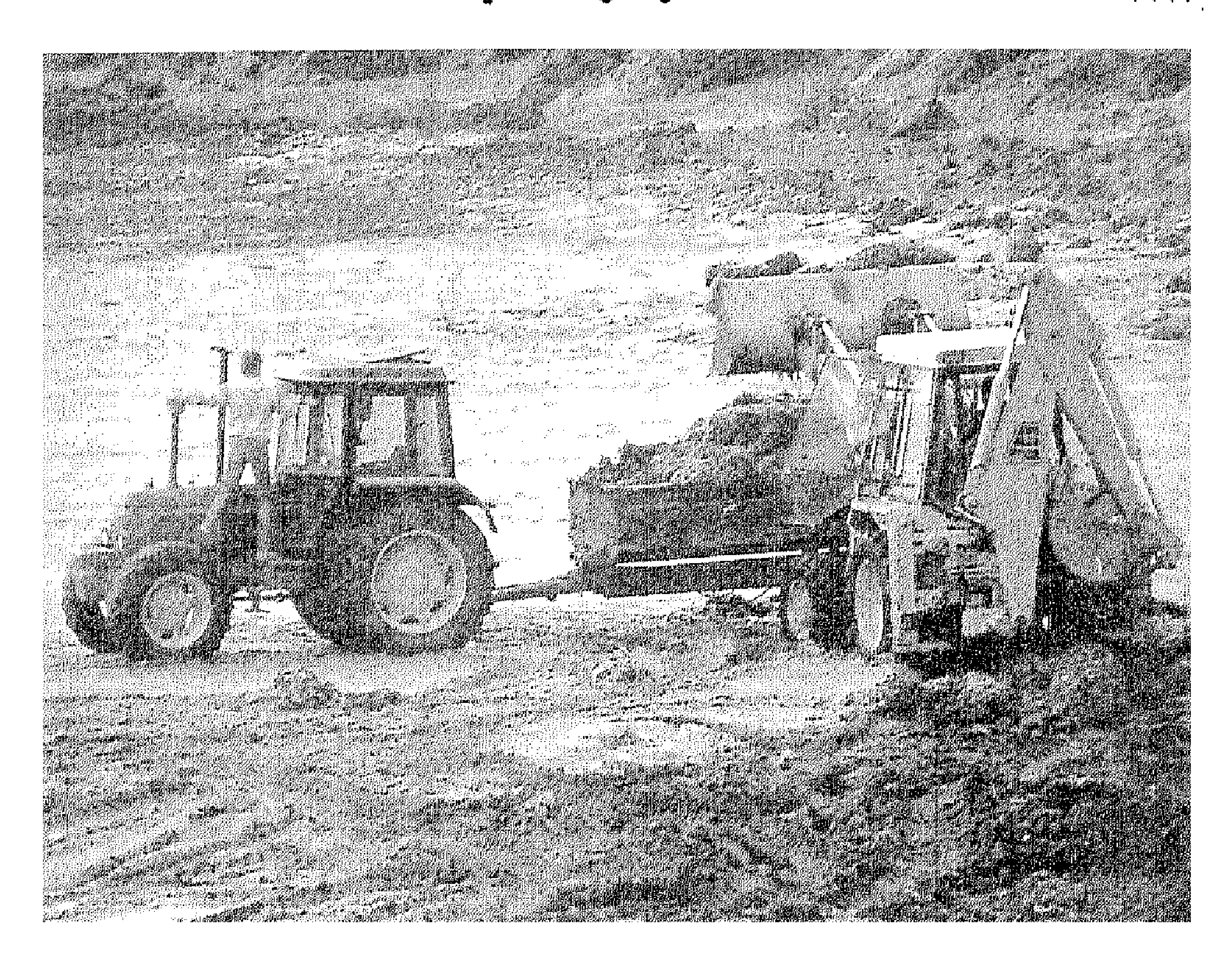
□ في ألمانيا "الغربية"، قدرت وزيرة الصحة أورسولا لهر أن نحو ١٠ في المئة من محطات المياه (وعددها ٦٣٠٠) تتضمن مقادير من المبيدات تتجاوز ٠،١ ميكروغرام في الليتر الواحد، وهو الحد الأقصى الذي اعتمدته المجموعة الاوروبية. وأوفر هذه الملوثات هو الأترازين[٢] الذي يمكن أن يتسبب في السرطان. ويعادله ضرراً التلوث النتراتي الذي أدى في الفترة الممتدة بين ١٩٨٣ و١٩٨٨ الى إقفال ٨٤ محطة مائية في مقاطعة راينلاند – بالاتينيت وحدها. وفي بيلفيلد، شمال الراين – وستفاليا، حذر مفتش صحي من "أعظم خطر يتهدد سلامة مياه الشفة منذ انحسار وباءي التيفوئيد والكوليرا."

□ في باريس، ترتفع مستويات النِتْرات باستمرار بسبب تكثيف زراعة الذرة والقمح وغيرهما من المحاصيل في محيط المدينة. ويفيد تقرير أعده "معهد السياسة البيئية في أوروبا" أنه بحلول سنة ١٩٩٥ قد يؤدي الافراط في النترات الى تلويث مياه الشفة التي يشربها ١٠ ملايين مواطن في فرنسا.

محاذير صحية. بدأ التلوث الزراعي في أوروبا أواخر الخمسينات عندما دمجت المزارع الصغيرة في شركات كبيرة متخصصة بزراعات تكثيفية. ولزيادة الغلال عمد المزارعون الى الاكثار من الأسمدة والمبيدات، فتسربت هذه الى موارد المياه وتسببت في أعباء بيئية بالغة الخطورة. فالنترات، مثلا، وان تكن غير شديدة السُمِّية في ذاتها، تتحول في المعدة نتريتات[٣] تكمن فيها أخطار صحية

(٢) Atrazine

(٣) Nitrates change into nitrites



كبيرة، إذ انها تتسرب الى مجرى الدم وتعيق قدرته على حمل الاوكسيجين. وفي حالات قصوى – عادة في الأطفال الذين يرضعون زجاجات – يؤدي هذا الأمر الى "أعراض الطفل الأزرق" نسبة الى اللون الذي يتخذه الجلد عندما يفتقر الى الاوكسيجين. وعلى رغم ان معظم هذه الحالات قابلة للشفاء، فقد أفيد عن حصول وفيات.

ادراكاً لهذه الأخطار، وعملا بارشادات منظمة الصحة العالمية، حددت المجموعة الاوروبية النسبة القصوى المسموح بها لمحتوى النترات في الليتر الواحد من الماء بـ٥٠ مليغراماً. ومذذاك وبريطانيا واسبانيا وبلجيكا وفرنسا تُستدعى الى محكمة العدل الاوروبية لمخالفتها هذا المعيار، فيما يواصل التحقيق في أوضاع خمس دوَل أخرى.

والحل ليس بسيطاً، كما يحذِّر غبريال سيممي نائب مدير مصلحة البيئة في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وهو يضيف: "إن التلوث الزراعي هو أكثر مكراً وتعقيداً من التلوث الصناعيّ، لأنه يفرض التعامل مع ملايين المزارعين في كل مكان بدلا من عدد قليل نسبياً من المصانع. والى ذلك، حين تتلوث طبقة صخر مائية، يكون فات الاوان. وحتى ان أوقفنا غداً كل استعمال للكيميائيات الزراعية، فستبقى كميات كبيرة من المياه الجوفية ملوثة على مدى خمسين سنة."

قليلة هي البلدان التي لم يضربها التلوث. ففي الدانمرك زادت مستويات النترات بنسبة مثيرة خلال السنوات الثلاثين الأخيرة. وفي المانيا "الغربية" بلغ مستوى النترات في ٢ في المئة من موارد المياه ٩٠ مليغراماً في الليتر. وفي هولندا تحوي آلاف الآبار الخاصة كثافات نتراتية تصل الى ٤٠٠ مليغرام في الليتر، ويتوقع الخبراء مشاكل جديدة في السنوات المقبلة. وتبين النتائج التي توصل اليها معهد السياسة البيئية في اوروبا ان النترات في طبقات الصخر المائية الاسبانية، زادت الى مستوى مذهل بلغ ٥٠٠ مليغرام في الليتر.

وثمة أخطار كامنة في اطنان المبيدات التي نثرت في تربة أوروبا خلال العقود الثلاثة الماضية والتي أقر استعمال معظمها قبل ادراك الباحثين مدى الخطر الناجم عنها. وحتى في هذه الايام، كما تفيد دراسة أعدتها منظمة الصحة العالمية "هناك كثير من الشكوك حول المحاذير الصحية الناجمة عن التعرض الحاصل (للمبيدات)." اذ مع الوقت قد تتحول بعض المبيدات في التربة مركبات أشد خطراً تتلبث لسنوات. وتحذر "الجمعية الأوروبية للشركات المائية" في بروكسل من أن "موارد مياه الشفة في جميع بلدان المجموعة الاوروبية ستتعرض لأخطار المبيدات ما لم تعتمد إجراءات فورية ناجعة."

ملوثات للشرب! ما يقلق الاختصاصيين هو أن أفضل مختبرات المحطات المائية لا تستطيع قياس أكثر من ربع العناصر النشطة في المبيدات المستعملة اليوم والمشتملة على نحو ٣٥٠ عنصراً. ويقول بيتر هول من "اتحاد مصالح الخدمات المائية في إنكلترا وويلز": "إن وسائل الكشف المتوافرة لدينا لا تستطيع تحديد كثير من العناصر. وليس هناك ما يُلزم الصناعيين تزويدنا بيانات تسهل هذه المهمة." ويضيف روبرت كروتس من "اتحاد محطات المياه الهولندية": "نحن عادة لا نكشف وجود مبيد جديد في الماء الا بعد أن يبلغ مستوى عالياً ويحدث تلوثاً."

حدث ذلك، مثلاً، عام ١٩٨٧ عندما سجّلت محطات المياه في أمستردام وجوداً مفاجئاً للمبيد "بنتازون"[٤] بنسبة ٠،٣ ميكروغرام في الليتر – أي ما يفوق ثلاثة أضعاف الحد القياسي – ولم يدر أحد كم مضى من الزمن على وجوده. اذذاك عمد المهندسون الى جر كميات غير ملوثة من موارد مائية أخرى وصبها في المياه الملوثة وصولا الى المستوى المقبول، كما زادوا كمية مسحوق الكربون المنشط الذي يمتص الملوثات. ومع ذلك تبقى المفاعيل الصحية البعيدة المدى مجهولة. ويقول ج.هـ. أوتردوم وهو عالم مائي من أمستردام: "ما نخشاه هو أن يكون مستوى البنتازون بلغ في الماضي نسبة أعلى مما هو اليوم. لا بد أننا شربنا مياهاً ملوثة لسنوات من دون أن ندري."

ويعتقد البعض أنه لو لجأ المزارعون في أوروبا الى الأسمدة العضوية لما

(٤) Bentazone

حصل ما حصل. فلئن تكن المحاصيل النامية من دون اضافات صناعية تعني جهداً اكبر وغلالا أقل، فإن الفاكهة والخضر الناتجة تستحق أسعاراً تشجيعية. وفي السنوات الاخيرة بدأت الزراعة بالوسائل العضوية تنمو في اوروبا وأمريكا.

وفي بلدة نرون جنوب غرب باريس، نجح فرنسوا لوبيتو في زراعة حبوب أثمرت أرباحاً من غير لجوء الى مواد كيميائية مضافة. وهو يقول ضاحكا: "اني اذ أخفض غلالي أوفر على المجموعة الاوروبية ٥٥٠٠ فرنك في الهكتار (نحو الف دولار) مساعدات تصديرية، فيما أواصل دفع ما يترتب عليّ من ضرائب. كما أني أنتج أطعمة عالية الجودة تتآلف والطبيعة، وهذا أمر يقدره كثيرون."

المطر الحمضي. يشمل التلوث الزراعي أيضاً المنتجات الجانبية الحاصلة من تربية الدواجن التي ارتفعت أعدادها الى حد مثير. ففي المانيا "الغربية" وحدها نحو ٤٠ مليوناً من المواشي التي تنتج سنويا ١٧٠ مليون طن من الروث تحتوي على ١،١ مليون طن من مركبات النتروجين المتضمنة نترات وأمونيا. وفي هولندا اليوم ضعفا ما كان فيها من مواش عام ١٩٥٠. وأحيانا تتكثف الدواجن في منطقة واحدة. مثلا، يتركز أكثر من ثلث الطيور الداجنة في فرنسا في منطقة بريتاني. وليست النترات الناتجة من سمادها سوى واحد من الأسباب التي جعلت خليج بريوك الجميل موبوءاً بالطحالب اللزجة القذرة.

واكتشف الباحثون في "مركز التكنولوجيا البيئية" بلندن أن هذه القطعان الهائلة لا تؤثر في المياه فقط بل في الجو أيضا. فحين يُستعمل الروث الحيوانيّ كسماد، يتبخر معظم محتواه من الأمونيا. ومتى انتشر في الجو يتحول الى سلفات الامونيا،[٥] وهو مركب أشد مفعولا من الحمض الكبريتي، ويتساقط فوق التربة كمطر حمضي. يقول هارن كروس - بلاس الباحث في المركز: "تتسبب الدواجن في جزء لا يستهان به من المطر الحمضي الذي يقضي على غابات أوروبا وبحيراتها."

غير أن الحد من انبعاث الامونيا سيكون مكلفاً. ففي بلدة بوتن الهولندية مُزارع متحمس عمره ٢٦ سنة جال بي في مزرعة عائلته الصغيرة، وقال لي: "تدعي الحكومة أن علينا خفض ناتج الأمونيا في العقد المقبل بنسبة ٨٠ في المئة. اني أبني محبسا للامونيا يكلف ٢٧ ألف دولار. ولكن ان لم يحل ذلك المشكلة فسنضطر الى خفض عدد مواشينا بنسبة ٣٠ في المئة. وهذه خسارة."

وقد يتعذر تجنب بعض الخسائر، اذ أدت السياسة الزراعية المشتركة للمجموعة الاوروبية، على مدى ثلاثة عقود، الى نتائج أسوأ في الجهتين: فوائض زراعية غالية لا سبيل الى تصريفها، واستعمال مفرط للأسمدة

(٥) ammonium sulfate او كبريتات النشادر.

والمبيدات قد يسبب كارثة. وحتى اليوم لا تخصص المجموعة الاوروبية سوى ٠،٠١ في المئة من موازنتها لحماية البيئة، فيما تقدم الى المزارعين إعانات مالية تبلغ ٥٦ في المئة من هذه الموازنة.

في هذه الأثناء يتحمل المستهلكون أعباء تنظيف البيئة بواسطة مصانع معالجة مياه الشفة وشراء مزيد من المياه المعبَّأة في قوارير. وفي ولاية بادن – ورتمبرغ الالمانية "الغربية" يدفع المواطنون ضريبة مباشرة لتحسين المياه.

وفيما يسعى المهندسون الى استنباط طرق لتحسين معالجة المياه، يعمد الباحثون والاختصاصيون الحكوميون الى معالجة جذور المسألة. وهم اتفقوا على ضرورة أخذ بعض الاجراءات:

تعديل الأساليب الزراعية. يهدف هذا الاجراء الى الحد من استعمال الأسمدة والمبيدات الكيميائية من طريق فرض ضرائب رادعة. وقد بدأت أسوج (السويد) تطبيق هذا الاجراء. من ناحية أخرى، على الحكومات والمجموعة الاوروبية ان تواصل خفض الاعانات المالية للمزارعين لكي يعدلوا عن الافراط في استعمال الاسمدة والمبيدات. كما يتوجب تشجيع التسميد العضوي عبر تقديم الدعم المالي والتدريب الى من ينتهج هذا الاسلوب.

كشف محتوى المبيدات. يجب أخذ إجراء يفرض على الصناعيين إعلام السلطات بطرق تبيِّن عناصر المبيدات المسوَّقة. كما يجب وضع نظام تسجيل أوروبي لتوحيد المعيار الصحي وضبط استعمال المبيدات.

حماية مستجمعات مياه الامطار. يجب حماية المناطق الحساسة من المبيدات. في بريطانيا، مثلاً، عشر مناطق حددت فيها كميات المواد المضافة الى التربة ووضعت ضوابط لتربية المواشي.

التعاون. على الحكومات أن تحسن مستوى التعاون الرسمي بين المزارعين ووزارات البيئة لتسوية التضارب بين الازدهار الزراعي والصحة البيئية. وعلى البلدان الاوروبية ان تتعاون على نحو أوثق لوضع خطة تستهدف خفض مستويات النترات، وأن توحد أبحاثها في مضمار تأثير المبيدات في الحياة البشرية.

جوزف أ. هاريس ■

طبيب أصلع

يناوب في المستشفى حيث تعمل امي طبيب أصلع كان هدفاً للتنكيت والمزاح. وذات يوم ردّ على ممازحة احدى الممرضات: "يا اختي، ان الله عز وجل اصطفى بعض الرؤوس وخلقها كاملة. أما البقية فقد اضطر الى أن يكسوها بالشعر."

ثم سار مبتعداً في الرواق.

د.م.

موزار العبقري الباقي

موسيقى موزار تشهد هذه السنة أكثر عهودها زخماً بالحياة في احتفالات المئوية الثانية لرحيله

قال المؤلف الموسيقي جوزف هايدن في وُلفغانغ اماديوس موزار: "سينقضي قرن قبل أن تشهد الاجيال القادمة مثل هذه الموهبة الفذة." وأصاب هايدن في نبوءته باستثناء تقديره للمدة الزمنية، إذ فيما الولع بموزار يلفّ العالم في الذكرى المئوية الثانية لوفاته، يعتقد كثيرون أن لا أحد يضارعه نبوغاً. فدور الموسيقى من لندن الى برلين، ومن سان فرنسيسكو الى طوكيو، مترعة حتى الثمالة بموسيقى موزار، فيما يتناول مهرجان موسيقي يقام في مركز لينكولن في نيويورك طوال ١٩ شهراً كل نوطة من مؤلفاته الستمئة والستة والعشرين المتضمنة ٤١ سمفونية و٤٨ كونشيرتو و١٨ اوبرا و١٩ لحنا كنسياً.

PHOTO: THE GRANGER COLLECTION

غير أن محط التكريم العالمي هو بالطبع وطنه الام (ووطني) النمسا. فسالزبورغ، حيث أعمل عازفاً، تمر بأيام محمومة وتعد العدة لتكريم ابنها الذي اطبقت شهرته الآفاق. وقد نظمنا لهذه الغاية حفلات موسيقية يومية تمتد من يناير (كانون الثاني) حتى ديسمبر (كانون الاول).

ويتساءل الناس هنا: "الا تملّون كثرة الاستماع الى موسيقى موزار؟" فاجيب أن العكس هو الصحيح، وأعتبر نفسي محظوظاً حقاً لأكون من عازفي موسيقاه. فهل من مؤلف سواه بقي قبلة الأسماع وقد عزفت موسيقاه بمثل هذا الإفراط؟ تلك الموسيقى التي بالغاً ما بلغ استماعك اليها، تبقى دائم الاندهاش أمام غنى الحانها واتساق هذه الالحان. ولكم ترنم الناس العاديون في الطرقات، أيام موزار، بانغام من مقطوعة "الناي السحرية."[1]

وكان موزار، كما يتبين لنا من فيلم "أماديوس" الحائز جائزة اوسكار، سليط اللسان يلقي دعابات سمجة. ولكن ما ان يتحول الى الموسيقى حتى يصبح رقيق الشعور مرهفاً. ولطالما عزفت مع مجموعة الفرادى مقطوعات طريفة الّفها موزار للحفلات. ففي مقطوعة "الطرفة الموسيقية"،[2] مثلا، بدأت أربع آلات وترية وبوقان عزف فواصل موسيقية كلاسيكية كاملة، ثم تهاوت بجنون خارج اللحن وانتهت على نحو فوضوي، فانفجر الحضور بالضحك حتى اننا، نحن الموسيقيين، كبتنا ضحكاتنا بصعوبة.

بين موزار وهايدن. كان موزار مولعاً بمعاكسة زملائه. وذات مرة راهنه جوزف هايدن انه قادر على عزف أي مقطوعة على البيانو بمجرد الاطلاع عليها. فوضع موزار لحناً وسلمه اياه. وبدأ هايدن العزف لكنه توقف مصعوقاً لدى وصوله الى ما بدا له نوطة خاطئة، إذ عجز عن عزفها لانشغال أصابعه كلها. فاحتج هايدن قائلا: "يستحيل عزف هذه المقطوعة." فأجابه موزار: "هذا غير صحيح." وتولى العزف بنفسه. فلما وصل الى النوطة التعجيزية نقر بأنفه المفتاح المطابق لها وقال لهايدن ضاحكا: "ارأيت؟ إنها صالحة للعزف تماماً."

ومن يراجع سجل الولادات في ابرشية كاتدرائية سالزبورغ يجد اسم وُلفغانغوس ثيوفيلوس موزار مدوناً في قيود ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٧٥٦. ولكن عندما بلغ المؤلف السن الرابعة عشرة استبدل ثيوفيلوس بأماديوس اذ وجد فيه وقعاً موسيقياً جميلا.

وقد تحول منزله الواقع في شقة في الدور الثالث متحفاً يؤمه المعجبون من كل حدب وصوب. وعندما أتجول في الغرف ذات السقف المنخفض والتي غصت بالآلات الموسيقية وصور العائلة، أكاد أرى الصبي الصغير ذا السنوات الاربع بشعره الرملي اللون وعينيه البنيتين الكبيرتين ورجليه القصيرتين تتدليان من كرسي البيانو، فيما أصابعه

(١) The Magic Flute

(٢) Musical Joke

الصغيرة تتجاوب مع تعليمات والده ليوبولد الذي كان موسيقيا هو الآخر.

وبعد سنة، دخل الاب على ابنه فوجده جالسا وراء مكتب وفي يده قلم ريشي. وقد بادره وُلفغانغ قائلا: "اني اكتب كونشيرتو." فابتسم الاب. ولكن عندما حدق الى الصفحة الملطخة بالحبر اغرورقت عيناه بالدمع اذ رأى امامه قطعة موسيقية حقيقية! واحتفظ ليوبولد للاجيال القادمة بهذه المعزوفة المعتدلة البطء والمعدَّة للعزف على البيانو.

وللحال عمل ليوبولد على توسيع آفاق معلومات ابنه بالبيانو والكمان فأعطاه دروسا في فن التأليف وكان استاذاً صارما. ولما بلغ وُلفغانغ السادسة من عمره رأى والده انه بات على أهبة الاستعداد للسفر الى ميونيخ وفيينا لعرض موهبته. وغالباً ما كان موزار يعزف ثنائياً مع اخته نانرل التي تكبره بخمس سنوات. وقد أولعت به الطبقة الاريستوقراطية منذ البداية كما البسته الامبراطورة النمسوية ماري تيريز سترة رسمية مطرزة بالذهب، وبالغت في تدليله.

طفولة بائسة. أمضى الطفل — المعجزة اكثر من عشر سنين متنقلا من مكان الى آخر، ولم يحظ بطفولة حقيقية. ولا عجب ان كان دائم السقم وضعيف البنية. ولطالما أمضى أياماً طويلة في عربات ترتج وتتخبط بقوة فكان يجلس على يديه ليخفف من وطأة الارتجاجات. لكنه، مع ذلك، أحب السفر. وقد كتب مرة الى امه في سالزبورغ: "امي الحبيبة، انا سعيد لانني امضي أوقاتا ممتعة خلال هذه الرحلة، فالعربات دافئة جداً والحوذي يقود بسرعة."

وكان خلال اسفاره يتوقف في محطات عدة ويتمرن على ارغن الكنيسة المحلية فيستقطب الناس بعزفه الفريد. وعندما يصل الى وجهته لم يكن يجد متسعاً من الوقت للراحة قبل بدء الحفلات.

كان موزار يتطلب من حضوره تركيزاً تاما ويغضب لدى سماعه سعالا خفيفاً أو خشخشة. وإذا ما ثابر الحضور على الضجيج كان يضرب مفاتيح البيانو اشمئزازا ويتمتم شاتماً الجمهور.

برع في تأليف كل أنواع الموسيقى. وكانت أولى مقطوعاته المنشورة عبارة عن أربعة ألحان (سوناتة) للكمان والبيانو ألّفها في شتاء ١٧٦٣ — ١٧٦٤ عندما بلغ الثامنة من عمره. كما أكمل، وهو في سن الثانية عشرة، تأليف مسرحيته الغنائية الاولى. وبعد سنتين وقف الحضور في ميلانو مصفقاً للمراهق الذي قاد بنفسه أولى أوبراه الكبرى "ميتريداتي ري دي بونتو."[٣]

وعلى رغم ان أوروبا بأسرها أحبت موزار ومنحه البابا كليمانس الرابع عشر ميدالية "الفارس ذي المهماز الذهبي" تقديراً لموهبته الفنية، فقد كان عليه ان يكافح لينال التقدير في بلده. ومن اجل ارضاء والده تحمَّل ٩ سنوات من الذل وعمل قائد فرقة لدى امير ورئيس أساقفة

(٣) *Mitridati re di Pontu*

سالزبورغ الصارم الذي عامله معاملة الخادم. ولما ثارت ثائرته عند بلوغه الخامسة والعشرين، صرف من العمل، فتوسل اليه والده ان يطلب المغفرة، فرفض بعناد وقال: "ان من يسيء الي، خادما كان ام كونتا، فهو نذل خسيس."

لكن موزار كان في الغالب إبنا مطيعا. وقد حدث وهو في الثانية والعشرين من عمره أن وقع في غرام فتاة تؤدي سوبرانو وهي في السادسة عشرة من عمرها تدعى ألويزيا ويبر وتقطن في بلدة مانهايم. فحاول تأجيل رحلة مقررة الى باريس. وعندما علم والده بالامر فرق بينه وبين حبيبته وأمره بالتوجه الى باريس، فأذعن.

وبعد ثلاث سنوات، تحول حب موزار الى كونستانزا شقيقة الويزيا الصغرى. فغضب الوالد مجددا. لكن وُلفغانغ تحلى بكثير من الصبر والاحترام وحض والده على إعادة النظر في المسألة. وكتب اليه في سالزبورغ: "انها ليست فتاة قبيحة كما ان الجمال لم يعرف طريقه اليها. وهي ليست ذكية لكن لديها ما يكفي من حسن الادراك لتكون قادرة على القيام بواجباتها أما وزوجة."

تزوج الاثنان في ٤ اغسطس (آب) ١٧٨٢ في كاتدرائية القديس اسطفان في فيينا، وعاشا تسع سنوات من الحياة الزوجية السعيدة، لكنهما ذاقا اللوعة والحسرة بوفاة اربعة من أولادهما الستة بعد ولادتهم بفترة وجيزة. وعانى موزار كذلك دسائس زملائه الحسّاد وابتعاد الجمهور عنه. واعتبر سكان فيينا ان موسيقاه موجهة الى طبقة معينة من الناس. ورفض ناقد في فيينا سمفونية "كوزي فان توتي"[٤] رفضا قاطعا ونعتها ببئس الموسيقى فيما هي تعتبر اليوم إحدى أهم مؤلفاته. وعلى رغم ان الامبراطور جوزف الثاني عين موزار عام ١٧٨٧ مؤلفا في البلاط الملكي فقد دفع له نصف الراتب الذي كان يتقاضاه سلفه غلوك.

المؤلف السريع. كان موزار يؤلف موسيقاه بسرعة مدهشة. ونشر في اغسطس (آب) ١٧٨٦ رائعته سوناتة (F major) التي تعزف على آلتي بيانو وثلاثية كلارينت ورباعية وترية. وألف بعد سنتين "جوبيتر" وسمفونيتين من أروع سمفونياته خلال ستة اسابيع محمومة من فصل الصيف. مع ذلك لم يظهر في أعماله ما يشير الى سرعة في التأليف.

وتراكمت عليه الديون خلال السنوات الاخيرة من حياته على رغم الارباح التي كان يجنيها من حفلاته والجُعَل على حقوق النشر والعزف التي زادت من مدخوله. لكنه كان مسرفا لا يحسن وزوجته تنظيم انفاقهما. وقد اقتنى هو ملابس فاخرة مطرزة تليق بالامراء.

وعندما اشتد عليه المرض تابع العمل وهو طريح الفراش واعطى توجيهات لاحد تلاميذه في أصول التأليف لانهاء مقطوعة موسيقية لقداس جنائزي كلف موزار

(٤) *Cosi Fan Tutte*

تأليفها. وكتبت صوفي: "كانت حركته الاخيرة محاولة بفمه للتعبير عن مقاطع الطبول في المقطوعة."

توفي موزار في ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٧٩١ بعد منتصف الليل وقبل شهرين من عيد مولده السادس والثلاثين. ومع ظهور فيلم "اماديوس" خرجت الى الاضواء مجدداً الاساطير التي نسجت في السنوات الاخيرة حول موته ودفنه. فقيل مثلاً ان انطونيو ساليري مؤلف البلاط كان يحسد موزار فقتله. ويعتقد معظم الخبراء انه أصيب بحمى روماتزمية حادة ألزمته الفراش. وهو قضى نتيجة العلاج بالفصد الذي كان شائعاً في تلك الايام. أما نهاية الفيلم المأسوية فتظهر جثة موزار وقد ألقيت ككيس قمامة في مقبرة جماعية للفقراء. والحقيقة انه دفن في مقبرة القديس مرقص شرق فيينا من دون اي احتفال كما درجت العادة آنذاك.

وتُختم الاحتفالات بالذكرى المئوية الثانية لوفاة موزار في ٥ ديسمبر (كانون الاول) بموسيقى القداس الجنائزي التي ستعزفها اوركسترا فيينا في كاتدرائية القديس اسطفان بمشاركة جوق اوبرا فيينا بقيادة السير جورج سولتي. وستصور تلفزيونياً وتبث في العالم.

هل سننتظر مئة سنة أخرى قبل التعرف الى مؤلف مثل موزار؟

ربما. لكن هذا لا يزعجني لانني سأكون سعيداً في عزف موسيقاه خلال السنوات الاتية ومنها السيريندات ذات الروعة الفائقة والسمفونيات الفاتنة والاوبرات وموسيقى القداديس، وبالطبع تلك المعزوفات القصيرة والطريفة التي فتنت العالم.

ألوا آغنر ■

الكاتب عازف بوق فرنسي في اوركسترا موزار في سالزبورغ بالنمسا ومدير مجموعة العازفين المنفردين وهو يدرس الموسيقى وينظم سيريندات موزار.

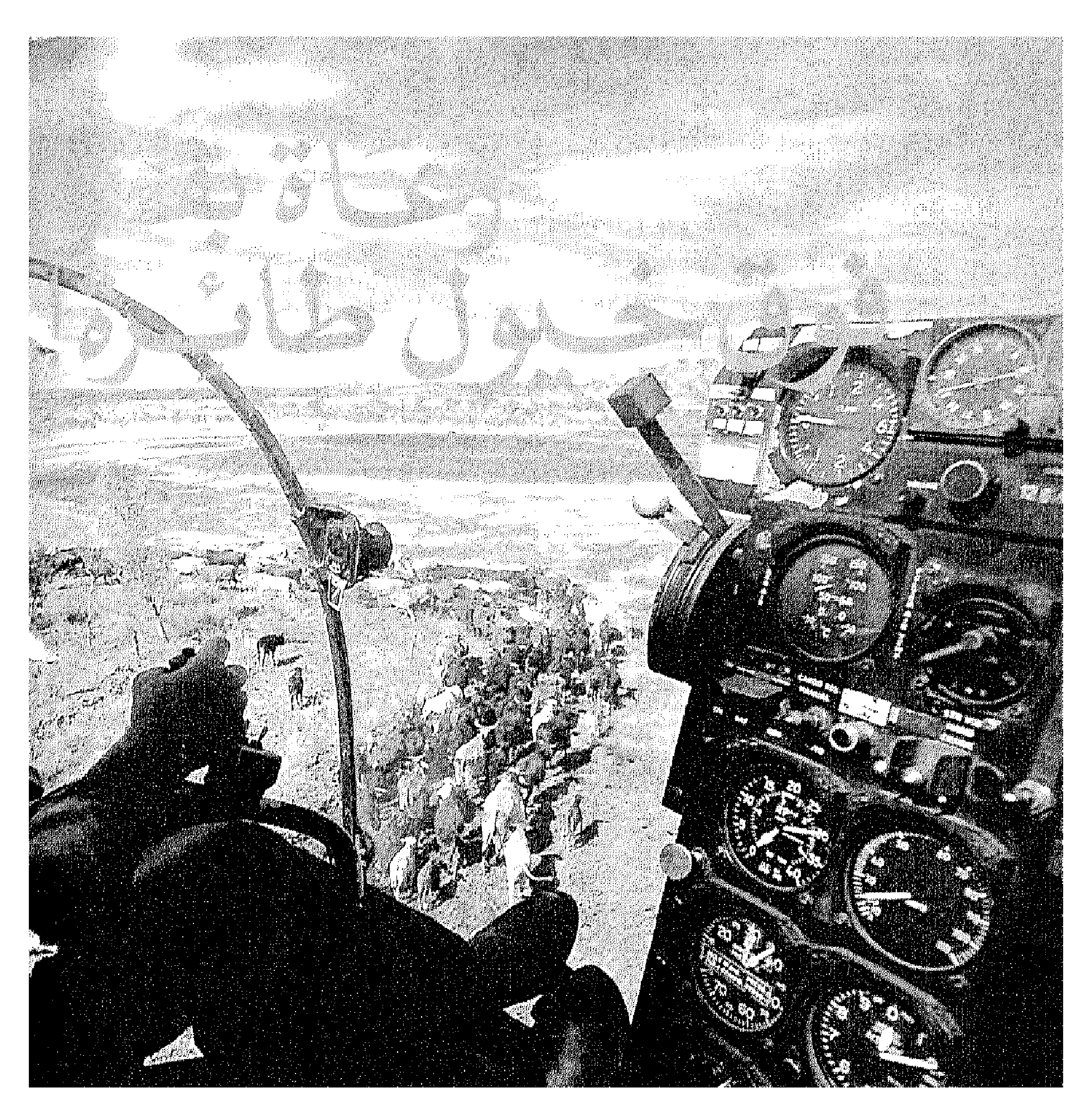


إغفاءة طبيب

دعيت ذات ليلة في الثانية فجراً الى معاينة مريض يشكو آلاماً حادة في الصدر. وكان الاعياء بلغ مني اشدّه بعد مناوبتي ثلاث ليال متتالية في المستشفى. فجلست في كرسي قرب سرير المريض ورحت افحصه بمسماعي الطبي وأنا أغالب النعاس. وفجاة غفوت! وأفقت بعد برهة فوجدتني في الوضع ذاته ومسماعي ما زال على صدر المريض. أما هو فظل ساكناً. فتابعت فحصه وأنا أطرح عليه أسئلة كأن شيئاً لم يكن.

لكني لم أتمالك عن سؤاله عما اذا كان لحظ شيئاً ما أثناء معاينتي اياه. فأجاب: "يا طبيبي العزيز، في الحقيقة، لم أكن لألحظ شيئاً لولا شخيرك العالي."

ب.غ.

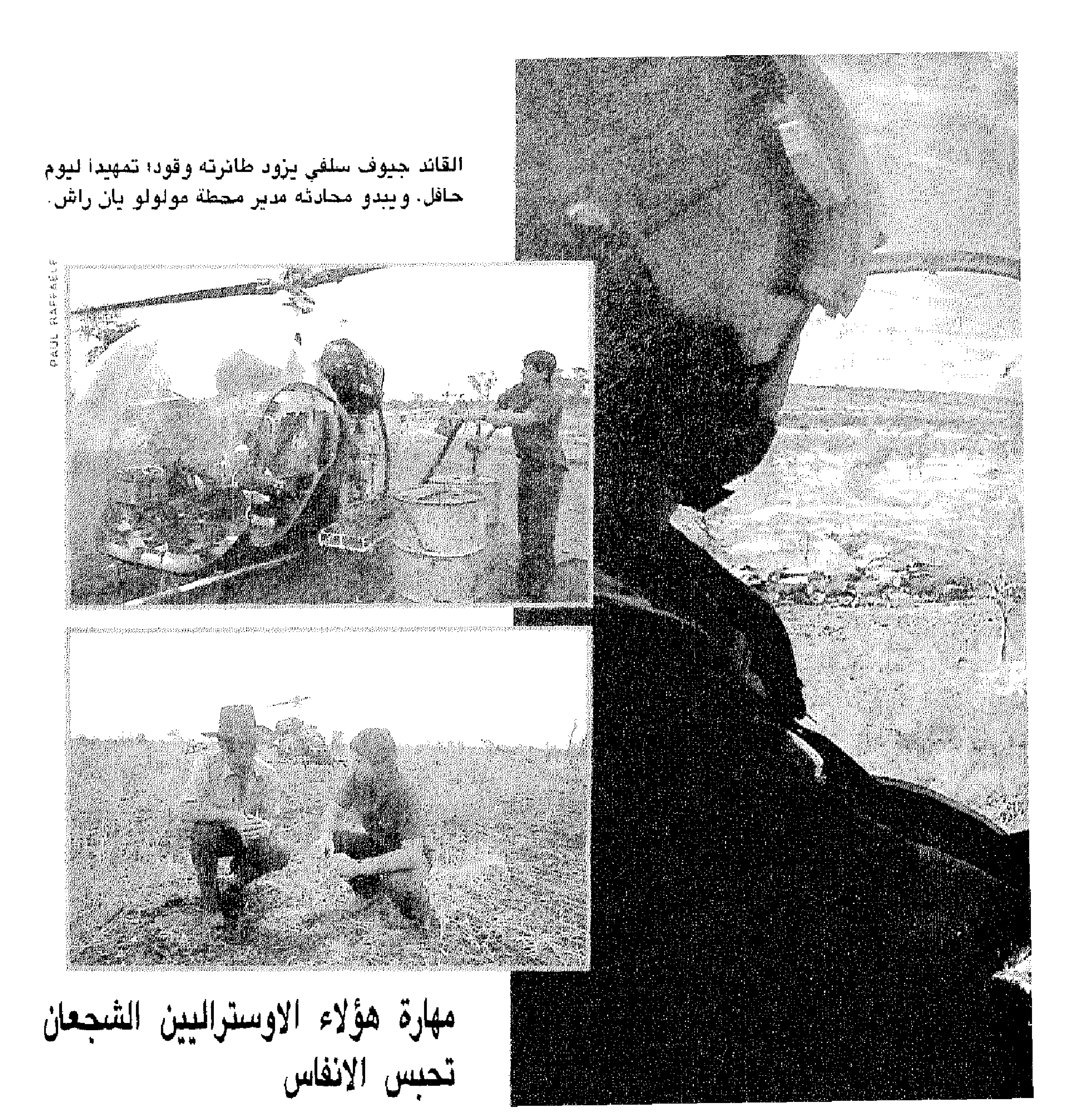


انه يوم استثنائي حار في مثل هذا الوقت من يونيو (حزيران)، اذ بلغت الحرارة ٣٤ درجة مئوية، فيما قطيع من البقر يتحرك عبر الاراضي الجافة لفيكتوريا ريفر داونز، وهي محطة للماشية في "نورثرن تريتوري[1]" تبلغ مساحتها ربع مساحة الدانمرك. تقود القطيع مجموعة من مربي الماشية يمتطون الخيول ويستحثون، بصيحات عالية، ١٨٠٠ رأس من بقر بول شورتهورن – براهمانز على مواصلة السير نحو حظيرة قريبة.

وفيما الغبار الاحمر المتصاعد من أرض هذه المنطقة الداخلية النائية من

(١) مقاطعة في شمال وسط اوستراليا عاصمتها داروين ومساحتها ١،٣٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع.

القائد جيوف سلفي يزود طائرته وقوداً تمهيداً ليوم حافل. ويبدو محادثه مدير محطة مولولو يان راش.



مهارة هؤلاء الاوستراليين الشجعان تحبس الانفاس

اوستراليا، يلف الابقار، بدا الامر كأن شيئاً لم يتغيّر منذ دجّن رعاة المواشي منطقة توب اند[٢] قبل أكثر من قرن. ولكن، على امتار فقط فوق القطيع واصوات خواره، تحوّم طوّافة، يدفع صوت شفرات مروحتها الذي لا يتوقف "تشوب، تشوب، تشوب" الابقار قُدُماً فيما يبقيها الفرسان في خط منتظم. في هذه الاثناء ينطلق قائد الطوافة جيوف سلفي بطائرته جيئة وذهابا عبر السهل وبحركات سريعة، مجفلا بقرة من أجمة في الدغل، ثم يندفع بسرعة فوق مجاري الجداول الجافة منقضا بين جذوع اشجار الصمغ (اوكاليبتوس) ليسوق أبقاراً شاردة أخرى صوب القطيع.

(٢) Top End

تحول هذا الطيران الذي يحبس الأنفاس، نمط عمل روتينياً لسلفي ونحو ٨٠ قائد طوافة آخر يغطون فيه المناطق الاوسترالية الداخلية النائية، ستة أيام في الاسبوع، من مارس (آذار) الى آخر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل سنة. وتعتبر مهاراتهم هذه التي تتميز بالجرأة والاقدام، العمود الفقري لصناعة تصدير اللحوم الغنية.

خيول طائرة. كان مربو الماشية الاوستراليون، حتى أوائل السبعينات، يمضـون أسابيـع، وأحيانـاً أشهراً، مستعينين بخيول مدربة جيداً، لجمع القطعان الكبيرة وسوقها الى زرائب خاصة تمهيداً لنقلها الى الاسواق. أما الآن، فتقوم الطوافات بمعظم هذا العمل. يقول مايك باك المدير التنفيذي لجمعية مربي الماشية في نورثرن تريتوري: "ان مهارة جمع الماشية بواسطة الطوافات أسرع وأنظف وأفعل. ويستطيع قائد طوافة أن يجمع بمفرده في يوم واحد العدد نفسه من الابقار الذي يجمعه ثمانية فرسانٍ في ثلاثة أو أربعة أسابيع."

تتولى شركة هيلي – مستر، كبرى الشركات الخمس لجمع الماشية بواسطة الطوافات في منطقة توب اند، تغطية محطة فيكتوريا ريفر داونز الشاسعة التي تقع على مسافة ٢٥٠ كيلومترا جنوب غرب مدينة كاثرين.

رافقتُ نصف دستة من قادة الطوافات يرتدون الجينـز والقمصان القطنيـة وجزمات رعاة البقر، فيما هم يخرجون فجراً من مقطوراتهم او من اكواخهم المقامة في القفر. يلوّح كبير الطيارين سلفي لزوجته جوان ولطفلتهما جيسيكا ذات السنوات الثلاث، مودعاً، ثم يقود الرجال في اتجاه ثماني طوافات صغيرة مصطفة على فسحة من العشب الاخضر امام مرأب.

"انه افضل اوقات النهار" يعلن سلفي وهو يتنشق الهواء الرطب النظيف، ويهز زميله الطيار آندي بايج رأسه موافقا.

ولد بايج في الدغل مثل كثيرين من الطيارين النخبة لدى هيلي – مستر، ومارس طوال سبع سنوات قيادة قطعان الماشية على ظهر فرس. وبعدما رأى قادة الطوافات اثناء عملهم، ادّخر بصبر ١٨ الف دولار[٣] لتغطية نفقات ٧٠ ساعة تدريباً على قيادة الطوافات، وهذه الساعات ضرورية للحصول على اجازة قيادة تجارية. وهو يقول: "معظم القواعد التي تتّبع من على السرج تطبق في الطوافة. قد تكون أفضل قائد طوافة في اوستراليا، لكنك لن تنجح في هذا العمل ابدا ما لم تعرف كيف تتصرف الماشية."

يؤيد جون كير الذي ولد أيضاً في المناطق الداخلية، ما قاله زميله ويضيف: "تعيش الماشية في الدغل فلا ترى بشريا طوال سنة. عليك ان تكون ماكراً كالفأر لتجعلها تمتثل لما تريده."

(٣) الدولار الاوسترالي يساوي حاليا نحو ٠،٧٨٥٠ دولار امريكي.

يحمل كير صرّة وكيساً للنوم ملفوفاً في قماش مشمع، لانه سيطير لجمع ماشية في مالآبونيا على مسافة ٤٩٠ كيلومتراً، وهي مهمة تستغرق اسبوعاً أو اكثر. وسينام قرب طوافته، والنوم في الظروف الشاقة هذه أمر عادي.

تملك الشركة ٢٨ طوافة، ولكن نادراً ما نجد في القاعدة اكثر من ثمان او تسع منها، اما الأخر فمنتشرة عبر "التوب اند" من نهر روبر في الشرق الى هضبة كيمبرلي في الغرب.

وفيما نحن نتبادل الحديث، تنطلق مئات الببغاوات الكُكَتوه باعرافها الصفر المائلة الى الخضرة وطيور الغالا الزهرية والرمادية تنشد للفجر باصواتها الخشنة، ثم ترتفع كأنها جسم واحد وتطير وسط زعيق مدو عبر القاعدة الى نهر فيكتوريا القريب. ويعلن سلفي مبتسماً وهو يتسلق طوافته: "انه وقت الاقلاع!" وكما يربت راعي البقر عنق حصانه، يحقن الدواسات الارضية ليتحسس جواده الآلي، ثم يشعل المحرك. واذ تبدأ شفرات المحرك تدويمها يعتمر سلفي خوذته ذات اللون الذهبي المتألق والمزينة بصورة لحيوان الكانغارو الاوسترالي في شكل مقاتل يضع قفازي ملاكم ونظارتي طيار ووشاحا ابيض.

عندما يبلغ دوران الشفرة سرعته القصوى (٣٢٠ دورة في الدقيقة) يسحب سلفي ذراع الطاقة الى الوراء، وننطلق بسرعة نحو الفضاء. كان بابا الطوافة قد ازيلا من مكانيهما فعصفت ريح باردة كالثلج في المقصورة الصغيرة فيما نحن نتوجه الى مولولو وهي محطة متقدمة تابعة لفيكتوريا ريفر داونز على ٥٥ كيلومترا الى الشرق. وسيكون الهواء لاحقا في النهار بمثابة مكيّف طبيعي. يحلّق سلفي بالطوافة في أجواء المستوطنة ماراً فوق مساكن الشركة فمكتب بريد فمتجر عام فعيادة وملعب لكرة المضرب وعدد من البيوت المسقوفة بالواح تنك. ويشق نهر فيكتوريا العريض الموحل طريقه حول مولولو كالافعى. ويهبط سلفي بطوافته ويهاديها على ارتفاع امتار عن سطح الماء. واذ ننطلق فوق الممر المائي المتعرج، تغوص التماسيح المتكاسلة مذعورة.

النار آخر الدواء. كان هدفنا حقلا تبلغ مساحته ٣٠٠ كيلومتر مربع، ومنه سنسوق ١٨٠٠ رأس من الماشية الى حظيرة حيث تعاين للتأكد من خلوّها من التدرن الرئوي (السل) وتذبح الحيوانات المصابة للتخلص منها. وللحصول على تصريح عمل يفيد خلوّ الابقار من السل، يجب الا يبقى حيوان واحد في الحقل. ولا يخلو من الامر أن يتمكن عدد من الثيران والبقرات المسنّة الماكرة من التملص والافلات، فيعود احد الطيارين بطوافته بعد أربعة أو خمسة أيام الى الحقل يرافقه مفتش ماشية يتولى اطلاق النار على أي رأس ماشية لا يزال داخل حدود الحقل. اذذاك فقط يمكن اعادة الابقار السليمة الى الحقل.

تحتنا تقع مولولو، الاشجار متفرقة في الارض الصخرية المجدبة، معظمها من الاوكاليبتوس[4] منتشرة على جانبي جدول باتيل، وهو مجرى ماء جاف كبير يخترق مولولو كالندب الذي تتركه حفلات العماد القبلية على وجوه افراد القبيلة.

تتفرق الماشية اثناء مرورنا فوق حواجز الاسلاك الشائكة المحيطة بالحقل، ويصرخ سلفي بصوت يعلو هدير المحرك: "انها تعرف اننا نلاحقها فتتجه نحو مكان تختبىء فيه." ثم يشير، عبر الفضاء، الى طوافة ثانية ويضيف: "سيشاركنا آندي هناك في جمعها."

يبدأ بايج وسلفي الطيران في مسارات متقاطعة منسقة جيئة وذهوباً فوق الحقل، منقضين على مستويات منخفضة فوق مجموعات صغيرة من الماشية، يساعدهما ضجيج محرك الطوافة لحثها على الانسياق داخل مجرى النهر الجاف. وغالبا ما كان سلفي يخفض السرعة الى الصفر ويميل الطوافة على جنبها تماماً ليتمكن من رؤية ثور متخف، بشكل أوضح. ولا ينجينا من السقوط عبر البابين المشرعين سوى مهارة الطيار واحزمة الامان.

ما ان تدخل الماشية الممر المائي الجاف، حتى يبدأ سلفي حثها على التقدم بوتيرة بطيئة منتظمة محوّماً خلف القطيع على ارتفاع مئة متر، في اتجاه حظيرة على مسافة ١٥ كيلومتراً على الطريق امامنا، وهو المدى الاقصى الذي تستطيع الطوافات سوق القطيع عبره في يوم واحد. وتسير الابقار متثاقلة، كل اثنتين او ثلاث معاً، رؤوسها محنية، تلاحق رتلها الطويل غمامة من الغبار الاحمر.

يقول سلفي: "السر في هذه العمليات هو الا تجهد الماشية كثيراً. احرص فقط على ان تبقيها هادئة. ان الابقار التي لم تُسمْ بعد، اي التي لم تمسكها يد ابداً، هي التي تسبب المشاكل عادة."

تقع عينا سلفي المدربتان، ونحن نطير، على رأس من الماشية في مكان لم ألحظ فيه أنا سوى صخور وأشجار. وحين يلمح سلفي ثوراً متوارياً في أجمة، يهتف: "لقد أمسكت بك!" ويبدأ مطاردته. وثمة اربعة أجهزة تحكم حوله في القمرة، وكثيراً ما يضطر الى استخدامها كلها في آن. وتبدل ذراع التشغيل الجماعي درجة ميل شفرات المروحة، فتعدّل بذلك قوة الرفع. ويتصل بهذه الذراع مخنق السرعة الذي ينظم سرعة دوران المحرك. اما الذراع الدائرية فتتحكم بالمروحة كلها، كجيروسكوب[5] عملاق، موجها الطائرة الى الامام او الى الخلف أو جانبياً. وتتحكم دواستان ارضيتان بمروحة الذيل التي هي بمثابة الدفة التي تحافظ على سير الطوافة في خط مستقيم أو تغير وجهتها.

اذ نقترب من الثور، يدفع سلفي بيمناه الذراع الدائرية الى الامام، فتميل

---

(٤) شجر يستعمل ورقه وزهره طبياً.
(٥) Gyroscope، اداة تستخدم لحفظ توازن الطائرة ولتحديد الاتجاه الخ.

الطوافة في زاوية حادة، فيما قدماه على الدواستين ويسراه تمسك بمخنق السرعة وهو يضغط ذراع التشغيل الجماعي ليهبط بالطائرة مسافة نحو الارض. ثم يغطس بين اشجار الممر المائي الجاف وشفرات المروحة تشق الهواء على بعد امتار فقط من الاغصان.

بعد هذا الانقضاض نحو الممر، يسحب سلفي الذراع الدائرية فتجمد الطوافة في مكانها على ارتفاع مترين او ثلاثة مباشرة فوق الثور الشارد. فيخور الثور غاضبا، ثم يستدير في مواجهة الطوافة يرمقها كما لو أنه يود سحقها تحت أظلافه. فيبتسم سلفي أمام هذا التحدي الشجاع. وفيما الشفرات تشق الهواء بعنف فوق رأس الثور، يتقدم هذا خطوات، ويتردد، وفجأة يفقد شجاعته ويستسلم. ثم ينضم الى القطيع خانعا. فيسحب سلفي ذراع الطاقة ونحلق ثانية.

أبرز أداء سلفي مهارة تحبس الانفاس. غير أن هذا الطيار يواصل عمله كأن شيئا لم يكن. ويؤكد، ردا على سؤالي: "كلا، لا أصاب بارتخاء مفاصلي أبدا أثناء قيادة الطوافة، فثمة امور كثيرة أخرى يتعين علي الاهتمام بها."

على رغم ما في جواب سلفي من شجاعة، فان هذه المهنة تنطوي على مخاطر كبيرة. في العام ١٩٨٩، كان الطيار جون ارمسترونغ يسوق القطيع الى مراح تملكه شركة فيكتوريا ريفر داونز، أثناء واحدة من اخطر مهمات جمع الماشية، شارك فيها ما وصل أحيانا الى



آندي بايج ينهي نهاره باعادة القطيع الى الحظيرة.

اربع طوافات كانت تحلق على مسافات متقاربة، فيما الغبار المتصاعد نتيجة الهواء العاصف للمراوح يحجب الرؤية امام الطيارين معظم الوقت. وقد أفلت ثور من القطيع، فالتف أرمسترونغ بالطوافة في حركة دائرية سريعة على ارتفاع امتار من الارض، لكن انحرافه الى اليسار كان اقسى مما تتحمله الطوافة، ففقدت توازنها وانحدرت الى ارتفاع منخفض الى درجة ان احدى شفرات المروحة اصطدمت بالارض، فتشقلبت الطوافة وتحطمت على السياج. ولحسن الحظ لم يصب ارمسترونغ ومساعده بأي أذى.

"لكن القدر لا يرحم دائما،" يقول جون كنينغهام، وهو مهندس يعمل لشركة هيلي – مستر: "تحمل كل طوافة نحو ٢٠٠ ليتر من الوقود في مستوعبات توضع الى جانب المحرك. قد ينجو الطيار

من فعل الاصطدام، لكنه يقضي محترقا عندما تنفجر الوقود."

ولضمان سلامة الطيارين، يفحص المهندسون المختصون الطوافات، كل مئة ساعة طيراناً. ويفككون المحرك وجهاز نقل الحركة ويعيدون تجميعهما، بعد كل ١٢٠٠ الى ٢٠٠٠ ساعة طيرانا، بحسب طراز الطوافة، أو هم يفككون الطائرة كلها ويعيدون تركيبها.

مع النسور. مرة اخرى نطير فوق مولولو والشمس تسفعنا بقسوة داخل "الفقاعة"، وأعني بها قمرة قيادة سلفي. مضت على تحليقنا ساعتان وأخذ معدل الوقود بالانخفاض. يهبط سلفي بالطوافة على ممر ضيق حيث رصفت براميل وقود. وفيما لا تزال المروحة تدوم فوق رأسه، يسحب سلفي خرطوما اسود يصله باحد البراميل ثم يستعين بمضخة يدوية لدفع الوقود الى خزان الطوافة قبل ان يقلع ثانية.

بعد توقفين آخرين لتزود الوقود، كان سلفي وبايج قد ساقا عملياً ١٨٠٠ رأس من الماشية في مجرى جدول باتيل الجاف، فعبْر نفق مصنوع من الاسلاك الشائكة واكياس الخيش، الى حظيرة التجميع. ولمنع الماشية من الدوران على نفسها قرب السياج محاولة العودة الى موطنها، عمد الطياران الى حثها على التقدم عبر تلة صغيرة الى بركتين تغذيهما بئران ارتوازيتان حيث بدأ القطيع عبّ الماء البارد.

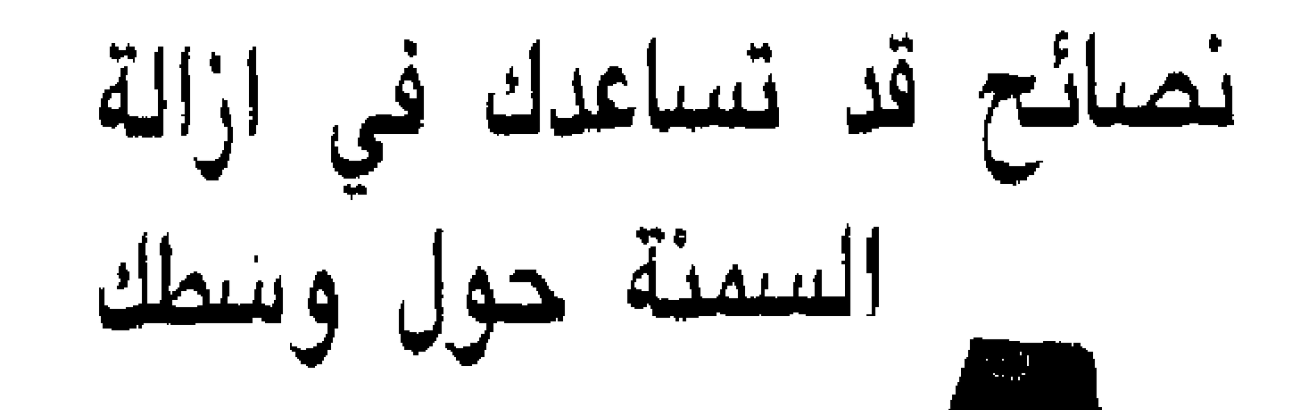
أبلغ سلفي الى زميله عبر الراديو: "سألقي نظرة أخيرة." وأدار ذيل طوافته لتلتف ١٨٠ درجة. وتأكد بالمعاينة من ارتفاع منخفض ان الحقل خال كليا ثم توجه عائدا الى حظيرة التجميع وانقض منخفضا فوق سبعة نسور ضخمة من فصيلة اكيلا اوداكس، وقد خفضت أذيالها وهي تقتات من جيفة طير حبارى.

انطلقت النسور الى الفضاء مذعورة من هدير الطوافة، وراح سلفي يلعب مع احدها مقلّدا حركاته الرشيقة في رقصة هوائية ثنائية. ثم توقف وتحول نحو الاشجار تحته حيث كان طائر لقلاق كبير بلونيه الابيض والاسود يتحرك بجلال عبر جدول باتيل.

الرابعة بعد الظهر، عاد الطياران الى مقرهما، وكانت طيور الككتوه والغالا عادت الى مأواها عندما هبط سلفي في القاعدة بعد عشرين دقيقة. وهو انضم، بعدما اغتسل، الى زملائه لتناول شراب منعش قبل ان يتوجه الى منزله للعشاء. وفيما هو يقترب من منزله، تركض طفلته جيسيكا لملاقاته فينحني لالتقاطها ويرفعها عاليا.

يؤكد سلفي انه لا يستطيع تخيل نمط حياة يمنحه رضا أكبر على رغم مخاطر العمل اليومية، ويقول مبتسماً: "لقد راكمت في خمس سنوات من عملي جامع ماشية نحو ٥٠٠٠ ساعة طيراناً في طوافة، وأظنني سأبقى ملازماً هذا "السرج" بضع سنوات أخرى."

بول رافاييل ■



الكرش قنبلة في البطن

عندما نزع إد قميصه لاجراء فحص جسماني صحي، لم يعر كرشه الكبيرة البارزة اهتماماً. لكن بريانت ستامفورد، الخبير بالصحة واللياقة الجسدية، أعرب عن عدم رضاه وقال: "يجب ان نجد حلا لمشكلة بطنك." فعلق إد ضاحكاً: "لا حول لي فيه بشيء. هكذا هي بنيتي. ولكن، ماذا كنت لتقول لو رأيت فخذي زوجتي كيف تهتزان. انها هي التي يجب ان تخفف وزنها."

فأوضح له ستامفورد: "لكن فخذي زوجتك لا تشكلان الخطر نفسه الذي تشكله كرشك على أوردة القلب."

فقاطعه إد: "مهلا، فأنت لن تجد غراماً واحداً من الدهن يكتنف بطني. انه صلب كالصخر."

PHOTO: ROBERT MICAZZO

فلفته ستامفورد الى "أن السبب الوحيد لاحساسك بأن بطنك قاس هو أن الطبقة الدهنية تحت عضلاتك الجوفية تشد هذه العضلات بقوة تجعلها كأوتار القيثارة. قد لا تعتبر نفسك مفرطاً في السمنة لكنك ستواجه مشاكل ان لم تتدارك الأمر."

يرتكب كثيرون، في نظرتهم الى الكرش، الخطأ نفسه الذي وقع فيه إد، وظنهم أنها "اذا كانت لا تهتز فهي ليست مواد دهنية." ويعتقد آخرون أيضاً ان وزنهم الزائد يتجمع عند الوركين او الفخذين ثم يدهشون اذ يعلمون انهم يحملون معظم بدانتهم حول الوسط.

وهنا مكمن الخطر لأن البحوث أثبتت أن تراكم الدهن في البطن يعرض الانسان لأخطار ارتفاع معدل الكولسترول لديه، واصابته بأمراض القلب، والسكري، وضغط الدم، والشلل. كذلك برزت دلائل عزت تزايد خطر اصابة النساء بسرطان الثدي الى علة الكرش.

وعلى رغم ثبوت هذه الحقائق، لا يزال الرأي السائد في ضخامة الكرش – وسبل التخلص منها – يبنى على مفاهيم خاطئة.

وهذه حقائق خمس غير شائعة يمكن أن تساعدك في التغلب على مشكلة الكرش:

١. **ليس كل من له كرش سميناً**. تقول جوديث رودين، الباحثة في شؤون السمنة ورئيسة دائرة علم النفس في جامعة يال: "قد يكون الانسان نحيلا، ومع ذلك يحوي تجويفه البطني كمية دهن كبيرة جداً بالمقارنة مع بقية أجزاء جسمه."

ثمة طريقتان سريعتان لمعرفة اذا كان وسطك أسمن مما يجب. الاولى، ان تقف منتصبا ثم تخفض بصرك الى الارض، فاذا لم تستطع أن ترى رؤوس اصابع قدميك، فمعنى ذلك ان لديك كرشاً. أو، تمدد على الارض وضع مسطرة يكون أحد طرفيها فوق قفصك الصدري والآخر فوق حوضك. فاذا توازنت العصا على معدتك كما الارجوحة، فأنت في مأزق.

وثمة طريقة علمية أكثر نسبياً، تتمثل في حساب نسبة حجم وسطك الى وركيك، وهي الناتج من قسمة القياس الأدنى لوسطك (وأنت واقف) على القياس الأقصى لوركيك (حول الردفين). فاذا تجاوزت هذه النسبة ٠،٨٥ لدى النساء أو ٠،٩٥ لدى الرجال، فهي دليل على سمنة البطن.

٢. **للنساء كروش أيضاً**. تلازم البطون البارزة الرجال عادة لأن المادة الدهنية لديهم تتجمع عموماً في التجويف البطني، بينما تتميز سمنة النساء ببروزها في الاوراك والافخاذ. ومع ذلك، فقد يتعرض كلا الجنسين لأي من ظاهرة توزع السمنة لدى الآخر.

بدأت ميليسا، وهي ممرضة في الثامنة والثلاثين من عمرها، تزداد سمنة بعد تخرجها في المدرسة الثانوية، اذ توقفت عن ممارسة سباقات السباحة، لكنها

واصلت تناول كمية الوجبات نفسها الخاصة بالسباحين. وبعد سنوات، حين التحقت ببرنامج لانقاص الوزن، اظهرت مقاسات جسدها ان وزنها ليس زائداً على اللزوم فحسب بل انها تعاني سمنة في البطن أيضاً.

وبصرف النظر عن عاداتها الغذائية، يمكن ان تكون بنية ميليسا قد تأثرت بانجابها ولدين. تقول رودين: "ان نسبة الدهن في التجويف البطني تزداد مع عدد مرات الحمل." وبينما يدّعي بعض الخبراء ان اتساع محيط الوسط لدى الامهات هو نتيجة تمدد الجلد والعضل، خلصت دراسات أجريت حديثاً الى ان جزءاً من السبب قد يكون ناجماً عن تراكم دهني متأصل في البطن.

ولم يعرف بعد سبب لهذه الظاهرة. فقد يكون بعض النساء اكثر عرضة لتراكم الدهن في البطن لاسباب وراثية ولا يظهر هذا الا بعد ان يصبحن حاملات. أو، قد يكون الأمر مرتبطاً بالإرضاع. وتوضح رودين هذا الامر: "يمكن ان تنمو لدى النساء اللواتي لا يرضعن نسبة أكبر من الدهن الجوفي، لأن افراز الحليب يستنزف مخزون الدهن."

٣. لست مضطراً الى ان تجوع.

لتتخلص من كرشك، عليك ان تخفض عدد السعرات الحرارية التي تتناولها. والطريقة الفضلى الى ذلك هي الحد من استهلاك المواد الدهنية. فالدهن "يعج" بالسعرات الحرارية مقارناً مع البروتيين والنشويات. فبينما يزودك البروتيين والنشويات نحو اربع سعرات حرارية في كل غرام، يعطيك الدهن تسع وحدات.

يقول دوغلاس ل. بالّور، الاختصاصي بالتمارين الفيزيائية: "اذا تناولت العدد نفسه من الوحدات الحرارية من الدهن والنشويات، فان الدهن يكسبك وزناً اكثر، لأنه يدخل الخلايا "كما هو"، بينما تحتاج النشويات الى ان تتحول دهناً لكي تُخزَّن، وهذا يحتاج بدوره الى طاقة، والطاقة تحرق الوحدات الحرارية."

تأكد من أن وجباتك غنية بالنشويات المركبة بما فيها الحبوب والرز والمعكرونة والبقول والفواكه والخضر وخصوصا البطاطا بقشرتها والذرة والقرع والشمندر والجزر. وتناول البسكويت القاسي غير المملح والفشار (بوب كورن) من دون زبدة.

ظل الخبراء سنوات عدة يوصون بتحديد كمية الدهن الذي تتناوله يوميا بـ٣٠ في المئة من مجموع السعرات الحرارية المسموح بها، لكن ستامفورد يقول: "اذا انقصت تلك النسبة الى ٢٠ في المئة، فسترى تغييرات اكبر."

تفاد، في أي حال، خطط انقاص الوزن السريعة. فقد أشار بحث أجري حديثا الى وجود علاقة بين سمنة البطن ونظام "اليويو"[١] للحمية وهو الجولات المتكررة

(١) اليويو (yo-yo): لعبة مؤلفة من قرص مزدوج محزوز مزود سلكا لُفّ احد طرفيه حول الحز وشُدّ الآخر الى يد المرء او اصبعه على نحو يمكنه من قذف القرص في اتجاه ما واعادته من ثم الى اليد. وهكذا...

من انقاص الوزن واستعادته مجدداً. وتقول رودين: "يمكن ان تؤدي سلسلة كهذه من انقاص الوزن واستعادته الى ابطاء عملية الأيض او ان يغرق كثيرون من الناس في تناول الدهنيات فور انتهائهم من نظام الحمية."

اكتشفت الدكتورة جوديث س. ستيرن، استاذة علم التغذية والامراض الداخلية في جامعة كاليفورنيا بديفيس أن فئران المختبرات التي تجبر على انقاص وزنها ثم يسمح لها بتناول ما تريده، تختار غذاء تبلغ نسبة الدهن فيه ٥٠ وحتى ٦٠ في المئة.

والمؤسف، تقول رودين، ان للبشر الميل نفسه. فقد أظهر مشاركون في احدى الدراسات اخضعوا تكراراً لعملية خفض وزيادة كبيرين في الوزن، ميلا مميزاً الى الاطعمة الدهنية. وفي دراسة اخرى تناولت نساء اتبعن انظمة حمية كهذه وجبات غنية بالدهنيات اكثر من النساء اللواتي لم يمارسن نظام حمية.

٤. التمارين القاسية ليست ضرورية. يقول ستامفورد: "حالما تنقص كمية الدهن في نظام حميتك يسهل عليك ان تحرق سعرات حرارية اكثر مما تتناول." حتى ان التمارين البسيطة تفيد لأن دهن البطن هو بين الاسهل احتراقاً.

ويمكن نصف ساعة من التمارين الحيهوائية يومياً مثل المشي السريع، والهرولة والعدو، والسباحة وقيادة الدراجات الهوائية، ان يعطي نتائج مثلى، وحتى التمرين المعتدل يترك أثراً. وتوصي جوان بلوس، الباحثة في علم الغذائيات في كلية وسكونسن الطبية في ميلووكي، بادخال جلّ ما تستطيع من نشاطات جسدية في برنامج حياتك اليومي. أوقف سيارتك في آخر الموقف وامش. اصعد الدرج بدلا من استخدام المصعد. وتقول: "ان مجرد المشي العادي مدة ١٥ او ٢٠ دقيقة، مرات عدة في الاسبوع، هو بداية رائعة."

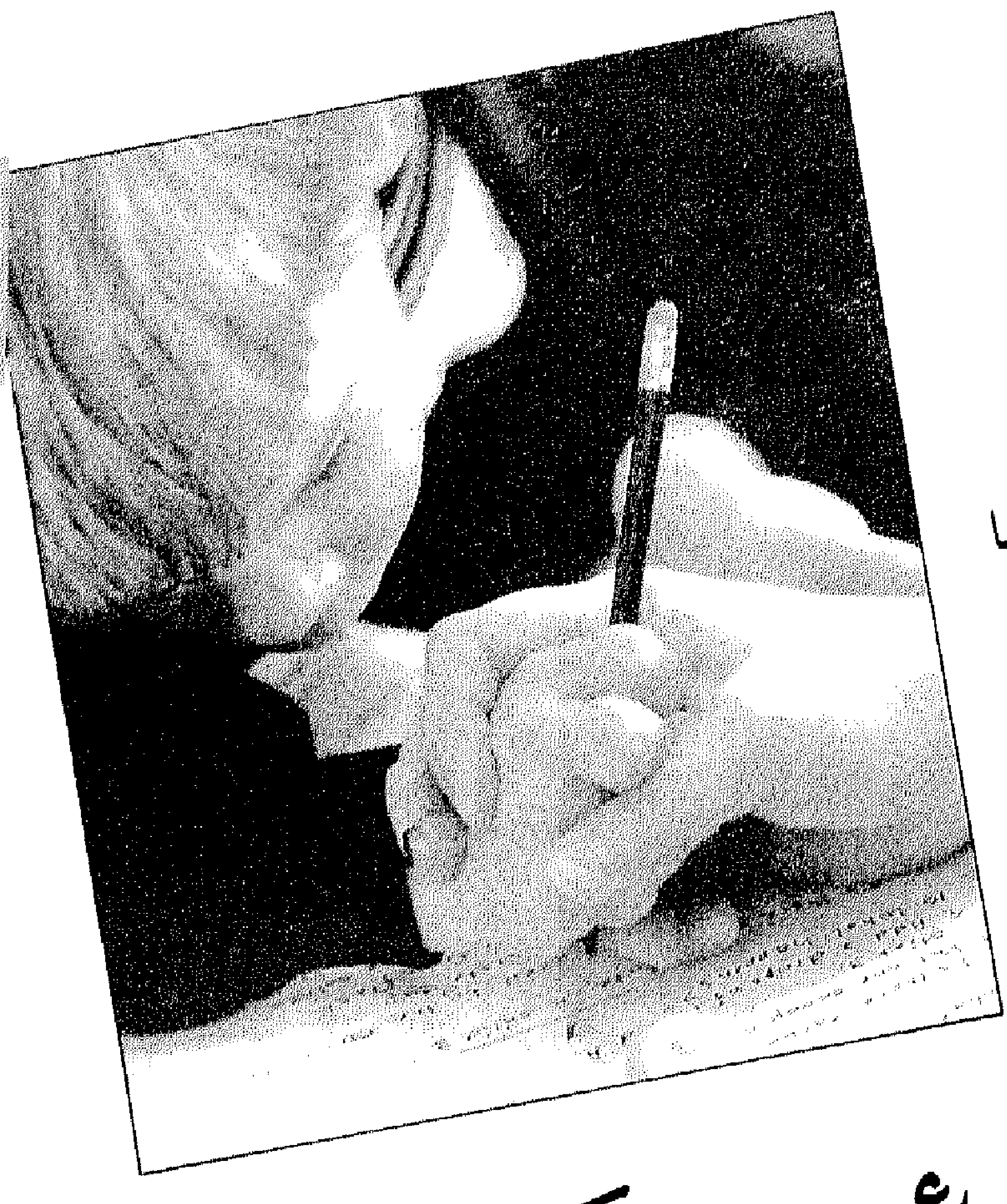
٥. لا طائل من تمرين عضلات المعدة.[٢] انه ليس افضل طريقة للتخلص من كرشك.

يقول بالّور: "ان تقوية عضلات معدتك لا تنفع لان اسباب نمو الكرش ناتجة من الزيادة الكبيرة في كميات الدهن لا من ترهل عضلات المعدة. وليس هناك ما يسمى تخفيف وزن موضعياً. كما ان لا تأثير مباشراً لتمرين العضلات على الدهن المحيط بها."

من الشائع ان لا نلقي بالا للسمنة حول الوسط او ننكرها، ولكن هذا المنحى الفروسي قد يؤدي الى نتائج خطيرة. ان الذين يتخذون الخطوات المناسبة لمنع ظهور الكرش أو التخلص منها، يفعلون اكثر من مجرد اكتساب مظهر افضل. انهم يضعون الاسس لحياة اطول وافضل صحياً.

كاريل س. إيفري ■

(٢) الاستلقاء على الظهر ثم رفع منتصف الجسم العلوي الى وضعية زاوية قائمة ثم تكرار العملية.



كان جميع تلاميذها
من الاولاد الموهوبين،
لكن أياً منهم
لم يُدانِ إيان هدسن

ذكاؤه أكبرَ منهِ

ما ان انتهت مارغريت زيمرمان من الاشراف على انتظام الاولاد في أماكنهم في اليوم المدرسي الأول من شهر أغسطس (آب) ١٩٨٩، حتى ألقت نظرة ترقب على الباب. ففي أي لحظة سينضم إيان هدسن البالغ ستة أعوام، الى التلاميذ العشرين في صفها المخصص للموهوبين في مدرسة لورا هوز الابتدائية في كروفوردسفيل بولاية إنديانا الامريكية.

بدت "السيدة ز." التي تمارس مهنة التعليم منذ عشرين سنة، قلقة في شأن ما سيكونه رد فعل تلاميذها في الصفين الاول والثاني الابتدائيين، خصوصاً انهم اطفال ذوو مواهب استثنائية ويتمتعون بثقة في النفس عالية... وكيف ستتعاطى

PHOTOS: © MIKE FENDER / INDIANAPOLIS NEWS

هي نفسها مع هذا الأمر.

خاطبت السيدة ز. الأطفال: "سنشهد هذا الصباح مغامرة استثنائية. فسينضم الينا صبي يدعى إيان هدسن." في تلك اللحظة فُتح الباب. وراقب الأطفال بهدوء زميلهم الجديد يدخل وقد اتسعت حدقاتهم دهشة.

كان الصبي الأشقر الناحل مربوطاً بحزام الى مقعده المثبت داخل إطار أنبوبي الشكل ذي أربع عجلات تدفعه شابة باسمة تدعى جويس زركوسكي، بادرت التلاميذ بمرح: "مرحبا. هذا هو إيان. إنه مصاب بشلل مخي. وهو عاجز عن المشي أو الكلام. واعضاء جسده لا تؤدي وظائفها كما يجب لكنه لا يقل عنكم ذكاء ويرغب في ان يكون صديقكم."

أحنى إيان رأسه ولوح بذراعيه. وجالت عيناه الزرقاوان على الرؤوس المشرئبة ثم ما لبثتا ان استدارتا في محجريهما ليستقر نظره بعيداً.

جلست جويس وإيان في حجرها بعدما رفعته عن المقعد. لكن القسم العلوي من جسم إيان انقبض فجأة وأرتد مرتطماً بصدر جويس. وأطلق الصبي صرخة عالية حادة. قالت جويس: "انه منفعل. وهو يصرخ على هذا النحو متى كان مسروراً."

فوجىء الجميع بالامر وارتسمت في عيونهم نظرات تساؤل: ماذا يفعل هذا الصبي الغريب في صف السيدة ز.؟ قالت جويس في نفسها وهي تعانقه بقوة: عليك ان تثبت نفسك ايها الصغير.

في تلك الأثناء كانت هيلين، والدة إيان، تغادر المدرسة في سيارتها ودموع الفرح في عينيها غير مصدقة أنها أوصلته الى المدرسة، تماما مثل اي طفل في السادسة من عمره!

الاذكى والالمع. كان هذا الحدث العادي، حتى وقت قريب، يتجاوز تصورات هيلين. أما الآن فإيان يبدأ ثقافته المدرسية في عداد أطفال المدينة الاذكى والالمع.

أطل إيان هدسن على هذه الدنيا في ٢٩ يوليو (تموز) عام ١٩٨٣ مولوداً يزن كيلوغرامين ونصف كيلوغرام، رمادي اللون لافتقاره الى مادة الاوكسيجين، يجهد في التقاط انفاسه.

وكانت هيلين هدسن أمضت اثنتي عشرة ساعة في مخاض غير مجد، اضطر الاطباء في مستشفى أوماك بواشنطن الى اجراء جراحة توليد قيصرية عاجلة لانقاذ الطفل الذي حملته طائرة هليكوبتر الى مستشفى سبوكان حيث أسعف بجهاز تهوئة. وأعلم والداه انه اذا قُيّض له أن يعيش فسيعاني شللا مخياً، وربما نشأ متخلفاً عقليا.

حمل مارك وهيلين هدسن مولودهما الى المنزل والحزن يكتنفهما.

وفي حين أن اطفالا كثيرين مصابين بشلل في الدماغ يظهرون بعض النمو الوظيفي، لم يبد على ايان، مع مرور الاشهر، سوى تقدم بطيء. لكن عينيه الزرقاوين الأخاذتين كانتا دائمتي اليقظة،

تلاحقان كل ايماءة من والديه، الامر الذي ترك لدى هيلين انطباعاً بأن شيئاً ما يدور في هاتين العينين.

عندما بلغ ايان الرابعة من عمره تقريبا، عملت هيلين مساعدة لأستاذ العلوم الانسانية في كلية سانت نوربرت في دوبير بولاية ويسكنسن. وانتقلت العائلة الى غرين باي المجاورة حيث صار مارك محاضرا في دائرة اللغة الانكليزية في جامعة ويسكنسن. وكان الوالدان يتناوبان القراءة لإيان وهو في حجرهما. وقد سهل عليهما معرفة كتبه المفضلة، من ابتساماته وأصوات الإثارة المرتبكة التي يطلقها.

ذات يوم، وكان إيان في منتصف عامه الثالث، جاءت جويس زركوسكي، احدى تلميذات هيلين، لرعايته اثناء غياب والديه، فلفتها مارك الى ان "ايان يفضل اختيار كتبه بنفسه."

القت جويس نظرة غير مصدقة على الطفل، لكنها لاحظت البريق في عينيه. ومذذاك باتت الفتاة فردا من العائلة. فقرأت مع إيان عشرات الكتب وشاهدا معاً برامج تلفزيونية عدة. وكان إيان يتابع بشغف برنامج التسلية "افتح يا سمسم،" وينشدّ الى برنامجي "حي السيد روجرز" و"دولاب الثروة." ولاحظت جويس ان إيان كان يتابع كل حرف يتلفظ به المتبارون.

الاختبار الحاسم. التحق إيان لدى اتمامه عامه الثالث بروضة للأطفال خاصة بالمعاقين. غير انه بات حزينا بسبب قصر رفقته على الاطفال الكسيحين والبكم. ثم ما لبث ان استعاد مرحه عندما نقل الى روضة أطفال عادية. واثناء احدى النزهات زعق إيان مبتهجا إذ رأى فتاة صغيرة تنطلق على منزلق، فأدرك والده الامر مخاطبا نفسه: انه يتمثل تلك الطفلة. انه يشاركها في بهجتها.

كانت هيلين متأكدة من ان إيان غير متخلف عقليا وذلك من خلال ملاحظته القوية وبعض الاشارات الصغيرة الأخرى كضحكاته الخافتة لدى سماعه المفارقات الطريفة في القصص. بيد ان الشكوك ظلت تساور مارك. وتباينت الآراء الطبية في شأنه وقدر معظم الاختبارات النفسية ان ذكاءه هو دون المتوسط، غير ان عدداً قليلا من الأطباء اعرب عن اعتقاده باحتمال ان يكون ايان ذا ذكاء طبيعي. وابلغ احدهم الى والديه: "صدقاني ان طفلكما قادر على فهم كل شيء."

ذات يوم وضعت هيلين لوحا على الأرض وثبتت في جزئه العلوي حروفاً ممغنطة شكلت بها كلمة "بقرة"، وكلمة "ضفدعة" على الجزء السفلي منه. ثم سألت إيان: "أيهما الحيوان ذو اللون الأخضر؟"

فاندفع إيان من حجر امه الى الأمام وغطى بجسده كلمة ضفدعة.

وفي وقت لاحق أفردت هيلين صفحات جريدة وسألت إيان اذا كان قادراً على رؤية كلمة "نار" في أي من العناوين



آمبر مولندور زميلة ايان ارادت هي ايضاً دفع كرسيه المتحرك.

الرئيسية. واغمضت عينيها فيما انحنى إيان الى الأمام. وعندما فتحتهما كانت ذراعه تستقر على الكلمة المنشودة.

ومع شعورها بالغبطة، لاحظت هيلين أن القدرة على تحديد الكلمات لا تتأتى منها فائدة عملية لطفل عاجز عن تناول طعامه او الذهاب الى الحمام من دون مساعدة. وقالت في نفسها ان ما فعله لا يعدو كونه أمراً بسيطاً يمكن امثاله القيام به.

انتقلت العائلة عام ١٩٨٨ الى كروفوردسفيل بولاية انديانا حيث عين مارك مساعدا لاستاذ اللغة الانكليزية في كلية واباش. وفي ربيع ذلك العام انجبت هيلين طفلة تتمتع بصحة جيدة سميت الكسندرا. وكان إيان حينذاك شارف عامه السادس واستدعت الحال التفكير في مستقبله الدراسي. قالت هيلين: "لنستشر اختصاصيين في مدى قدراته."

حضرت ماريلين ويب الاختصاصية بعلم نفس الطفل الى منزل آل هدسن

لامتحان قدرات ايان. وبعدما اخبرتها هيلين ان إيان يستطيع الإشارة الى الأشياء التي يطلب منه تحديدها، وضعت ويب امامه على الأرض أربع بطاقات كبيرة مرقمة من ١ الى ٤. واحتفظت في يدها بأربع صور تحمل الأرقام نفسها، بينها صورة لفتاة تتأرجح. وطلبت ويب من إيان تحديد البطاقة على الارض التي يطابق رقمها رقم صورة الفتاة. ومن دون أي تردد انتقى إيان الرقم الصحيح. وراح يعطي الأجوبة الصحيحة الواحد بعد الآخر. فخفق قلب هيلين وفكرت: انه يظهر لنا اخيرا ما يمكنه القيام به. ولم ينته الاختبار الا وكان إيان حل مسائل حسابية مركبة ذات مرحلتين في الجمع والطرح والضرب. وبدت عيناه "ترقصان" فرحا لما أنجزه. اما هيلين فقد ادهشتها معرفته لبعض الكلمات الصعبة مثل "قاحل"، "متهدم"، "يزود" و"مخلب."

بعد أسبوع تلقى آل هدسن تقرير ويب، فصعقتهم النتيجة: اثبت إيان أنه واحد من النخبة الاذكى الذين لا تتعدى نسبتهم بين أقرانه في البلاد واحداً في المئة. وعجز الوالدان عن فهم سبب موهبته الحسابية، في حين بدا واضحاً انه استوعب اللغة من طريق القراءة التي كانت تُتلى عليه ومشاهدته التلفاز واصغائه الى الأحاديث.

ولدى اجتماع الوالدين بأعضاء "تعاونية الخدمات الخاصة"*، قدم مديرها رونالد لويس اقتراحا مجفلا: "نظراً الى قدرات إيان، لماذا لا يلتحق بأحد الصفوف المخصصة بالموهوبين؟" وكانت مدرسة هوس هي التي تتولى تنفيذ برنامج عمل المؤسسة في كروفوردسفيل.

قبل خمسة أيام من بدء الدروس التقت مارغريت زيمرمان آل هدسن وهي مشدوهة. فبادرها مارك قائلا: "أُعلمنا ان صفك هو المكان الملائم لولدنا." وفكرت السيدة ز. وهي تنظر الى الصبي في حجر والدته: يمكنني تزويد إيان المعلومات اللازمة ولكن كيف أستطيع استخراج قدراته؟ وما لبثت ان قالت: "سيكون إيان تلميذي."

عرّفت جويس إيان الى زملائه في الصف ثم حملته الى كرسي جُهز بصينية وأحزمة للقدمين.

تدلى رأس إيان لكن عينيه راحتا تعاينان الغرفة. وحدق اليه بعض الأطفال بينما أشاح عنه آخرون.

أراد إيان أن يُفهمهم، بأي ثمن، انه صبي ذكي ومرح. ولكن تعين عليهم القيام بالخطوة الاولى.

هتف صبي هزيل ذو شعر كستنائي جعد: "هل يهوى إيان السيارات؟"

فأجابت جويس: "لِمَ لا تسأله؟"

لوح إيان بذراعيه عندما سمع السؤال لكن أيرن شيفر لم يبد أي اهتمام بل ركز ناظريه على الابتسامة المرتسمة على وجه إيان. وقال: "سنمرح معا وسوف تحب هذا المكان."

(*) منظمة محلية تعنى بمساعدة الاولاد الذين يحتاجون الى برامج تربوية خاصة.

كانت هذه المرة الاولى يسمع إيان مثل هذه الكلمات من صبي في عمره. وفكر جذلا: إنه لا يهتم لاعاقتي بل يهتم بي!

شعرت السيدة ز. بالبهجة تتدفق في داخلها. لقد أجلست أيرن المحبوب الهادىء قرب إيان، مصادفة، وها هما يغدوان صديقين! لقد نظر أيرن الى إيان من خلال قلبه كما من خلال عينيه.

بعيد انتهاء الدوام كانت هيلين تنتظر إيان وقلبها يخفق، وفي ذهنها آلاف الأسئلة. لكن اهمها أجيب عنه بابتسامة أشرقت على وجه جويس التي بادرتها: "كل شيء سيكون على ما يرام."

وبعد أسبوع عادت جويس الى الجامعة. وتأقلم إيان بسهولة مع جيني فرودج المعاونة المسؤولة عنه في المدرسة. وكانت السيدة ز. حضرت بعناية ملصقين كبيرين يحمل احدهما أرقاما من واحد الى ١٠ والآخر الأحرف الأبجدية.

عمل إيان مع جيني على الأرض، فكانت ذراعه تطوف فوق الأحرف والأرقام وهو يحل المسائل الحسابية ويركّب الجمل. وأثار ذلك دهشة السيدة ز. فاقتعدت الأرض قربهما لتتأكد من ان جيني لا تساعد إيان في تحريك ذراعه.

وحينما درس التلاميذ حيوان الدينوصور المنقرض توجب على كل طفل ان يكتب مقطعاً صغيرا عنه. وتبدت في ملامح إيان امارات المستغرق في افكار بعيدة وخيال جامح وهو يرسم الكلمات لجيني لتدون هذا الوصف: "ادعى ديوي، الدينوصور. وأنا ذاهب الى مطعم مكدونالد. سأطلب دينوبرغر وشرائح البطاطا المقلية المفضلة لدى رجل الكهف ومشروب الكولا في كوب قدّ من صخر."

وذات يوم حاول إيان المشاركة في اداء النشيد الوطني، لكنه لم يصدر سوى همهمات غير منضبطة فانهار باكيا. وقد أحزن ذلك الجميع. وشجعت السيدة ز. في ما بعد التلاميذ على النظر الى النواحي الايجابية في إيان: "انه ذكي وخلاق. يجيء الينا مشرقا كل صباح. ويسعدنا وجوده بيننا."

ما قالته السيدة ز. تحقق فعلا، فقد نمت بين إيان وزملائه علاقة خاصة. وفي ملعب كرة السلة كان أيرن يضع الكرة لإيان على الصينية ليتمكن هذا من تمريرها. وفي فصل الخريف، كانت الاوراق المتساقطة من الاشجار تتكدس على صينية إيان، واذ ينثرها هو في الهواء يتعالى الهتاف بين رفاقه تشجيعاً.

اثناء احدى الفرص، وبعدما هرع الاطفال الى الخارج واستعدت جيني للحاق بهم مصطحبة إيان في كرسيه، قال أيرن: "سأتولى أنا إخراجه." فأمال مقعد إيان الى الوراء وانزله في الاطار المدولب وهتف لدى اقترابهما من منحدر الاسفلت الذي يؤدي الى الملعب: "إيان. ها نحن ننطلق في السباق!" أرجع إيان رأسه الى الخلف وهو يشعر بالهواء يلفح وجهه، وسمع الأطفال يصيحون: "أنظروا! إيان قادم!"

وسرعان ما بدأوا يطلبون من جيني التناوب في دفع كرسي إيان. فاجابتهم ذات مرة ضاحكة: "أراني مضطرة والحال هذه الى وضع لائحة بأسمائكم جميعاً."

وفي احد الأيام، فيما كان إيان يلهو مع أيرن في منزله بلعبة سباق السيارات همست غريس، والدة أيرن لابنها: "دع إيان يفوز في اللعبة." الا ان أيرن أصرّ: "لا. عليه ان يغلبني." وقد استطاع إيان ذلك.

أعجبت غريس شيفر بالتصرف الطبيعي لايان وهي تتأمله يلعب، وتحسرت على كل الأطفال المعاقين الذين لن يلتحقوا ابدا بصف مدرسي ويفوزوا بصداقات اقران لهم. لكنها امتلأت فخراً اذ ادركت أن أيرن يمثل جزءاً، ولو صغيرا، من قصة إيان.

انهمك إيان خلال شهر فبراير (شباط)، بالاشتراك مع أيرن وشقيقه التوأم براد وصبي يدعى جون هلينغ، في اعداد مشروع لمعرض للوسائط السمعية – البصرية شملت معروضاته شرائح فوتوغرافية (سلايدز)، وأفلام فيديو وتسجيلات صوتية.

ووضع إيان نصا عنوانه "الحفرة الكبيرة السوداء." وتولى أيرن التصوير وسرد الاحداث. استُهل شريط الفيديو بمشهد لإيان وبراد وجون في ملعب المدرسة. وفجأة يهوون في حفرة كبيرة فغرت أمامهم وقد صنعوها من ورق أسود مقوى. ثم تظهر رسوم تمثل الصبية باحجام قزمة يستكشفون باطن الأرض الخطر، يقودهم بشجاعة إيان، الصبي المتكامل صوتا وجسدا. ويلتقون اثناء مغامرتهم هذه جنديا يحمل سيفا، وفأرا عملاقا. وفي ختام القصة، يتشقلب الأولاد مجددا من داخل الحفرة الى الملعب، فيعود إيان الى كرسيه مرة أخرى وهو يكافح كي يبقي رأسه عاليا. ويُسمع آنذاك صوت أيرن مردداً: "أتمنى لو يمكننا العيش في مكان حيث الجميع سواسية. لم أكن مسرورا بصغر حجمي. لكن إيان كان قادرا على المشي."

أسر شريط الفيديو مشاعر الحكام في المعرض الاعلامي فمنحوه الجائزة الاولى. واثناء مراسم تقديم الجوائز، هرع آيرن وبراد وجون الى المنصة لتسلم جوائزهم. وضجت القاعة بتصفيق حاد كالرعد لدى ظهور إيان هدسن في الممشى بين ذراعي والده وهو يلوح بيديه وقد اتسع وجهه.

أنهى إيان عامه الابتدائي الأول بين المتفوقين الذين يمثلون واحداً في المئة من أطفال امريكا. وفي عامه الابتدائي الثاني، اذ تابع دروسه في صف السيدة ز.، اشتد عوده وصارت ذراعه اليسرى تشير بثقة اكبر الى الحروف على لوح الابجدية.

قلما يعير إيان عجزه اهتماماً، ونادراً ما يفعل ذلك والداه. فهما يأملان ان تلهم قصة إيان الآخرين.

بيتر ميتشلمور ■

تراثيات

جداريات واشغال خرزية تعكس بعداً تراثياً افريقياً فريداً

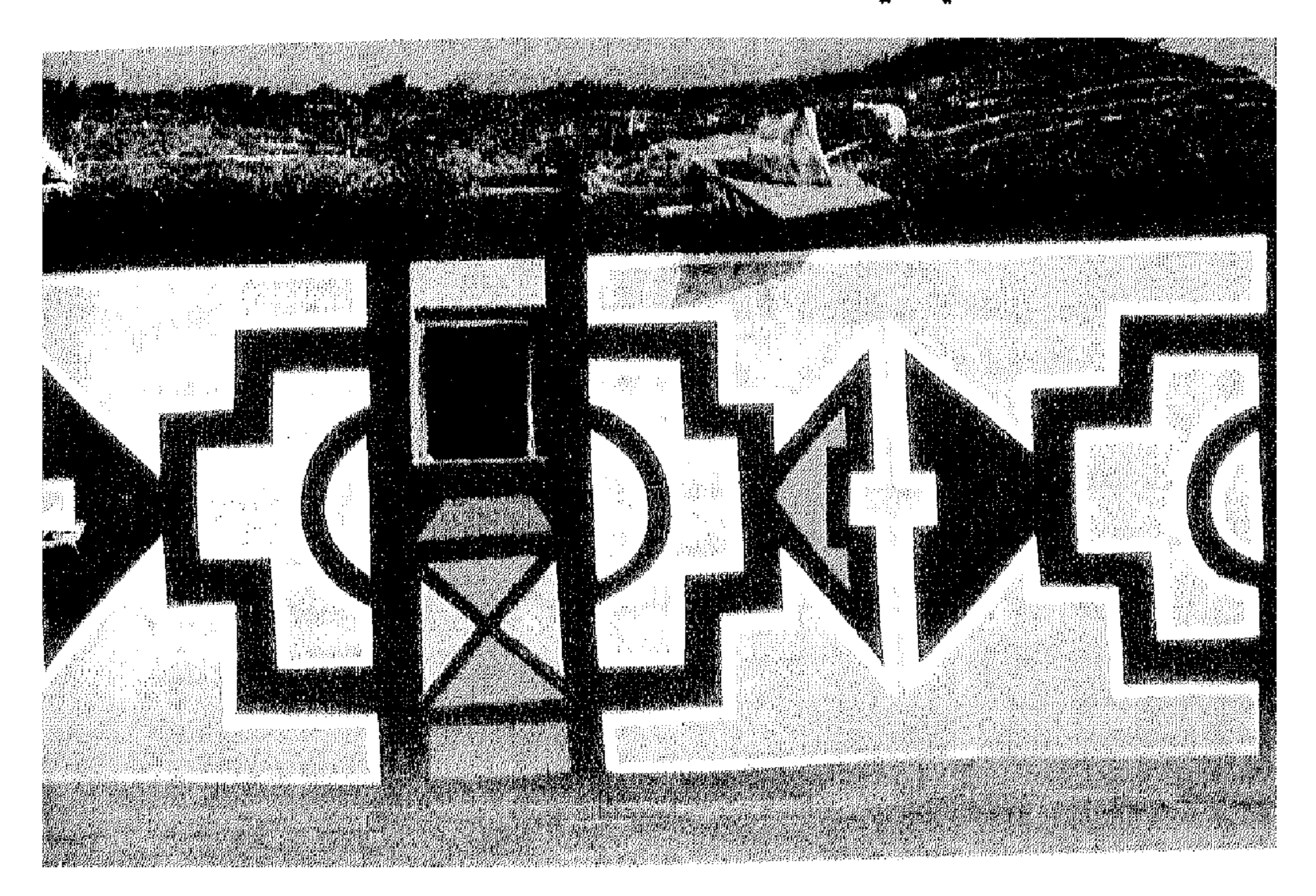
عندما ترسم المرأة النديبيلية فانها تفعل ذلك ليس رغبة في الاطراء او طمعا بالمال وإنما لتجميل منزلها الذي تعتبره مقاما مقدساً.

وما يميز امرأة عن غيرها هو اسلوبها في الزخرفة والالوان التي تنتقيها لجدران مسكنها الترابي. ولكن حين تسأل اولئك النسوة عن فنّهن يجبنك باقتضاب: "تعلمته من امي"، او "هو شريعة النديبيليين."

منذ اجيال ونساء نديبيلي في جنوب افريقيا يبدعن اعمالا فنية غنية رائعة، زاخرة بالحيوية.

في فتوته، كان جيل هؤلاء الرسامات يقتصر في عمله على الالوان الترابية — البني والمغرة والاحمر والاسود. اما اليوم فان الالوان المتوافرة باتت تتيح للنساء استعمال مجموعة الالوان الطيفية spectrum كاملة. فاللون المشرق الزاهي الذي يعززه النور الساطع في منطقة الترنسفال هو في أساس زخرفة نديبيلي.

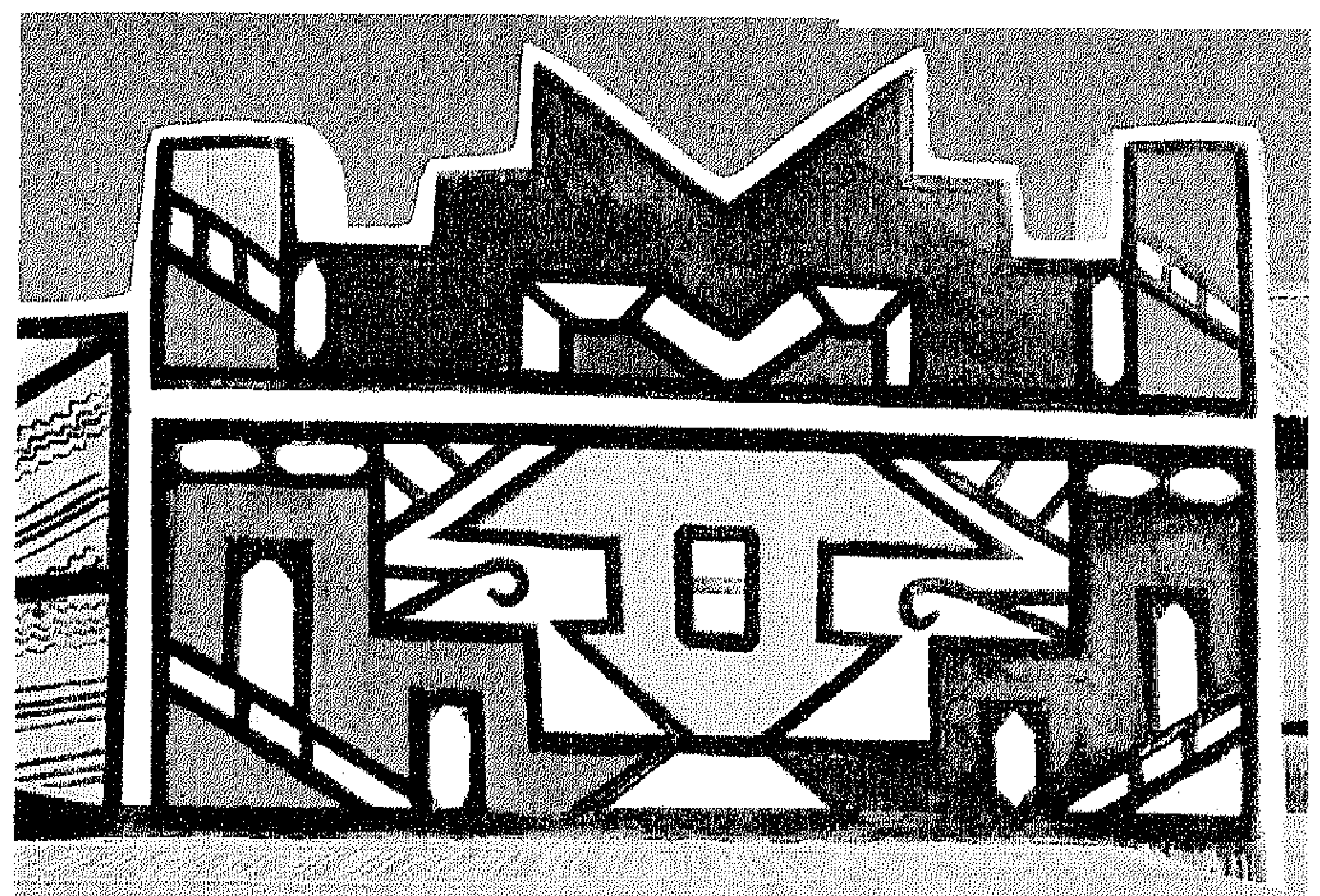
وتتحرك لريشة النديبيلية بحرية على




افريقية



امراتان في زي
يغلب عليه الطابع
النديبيلي. وخصوصا الخرز

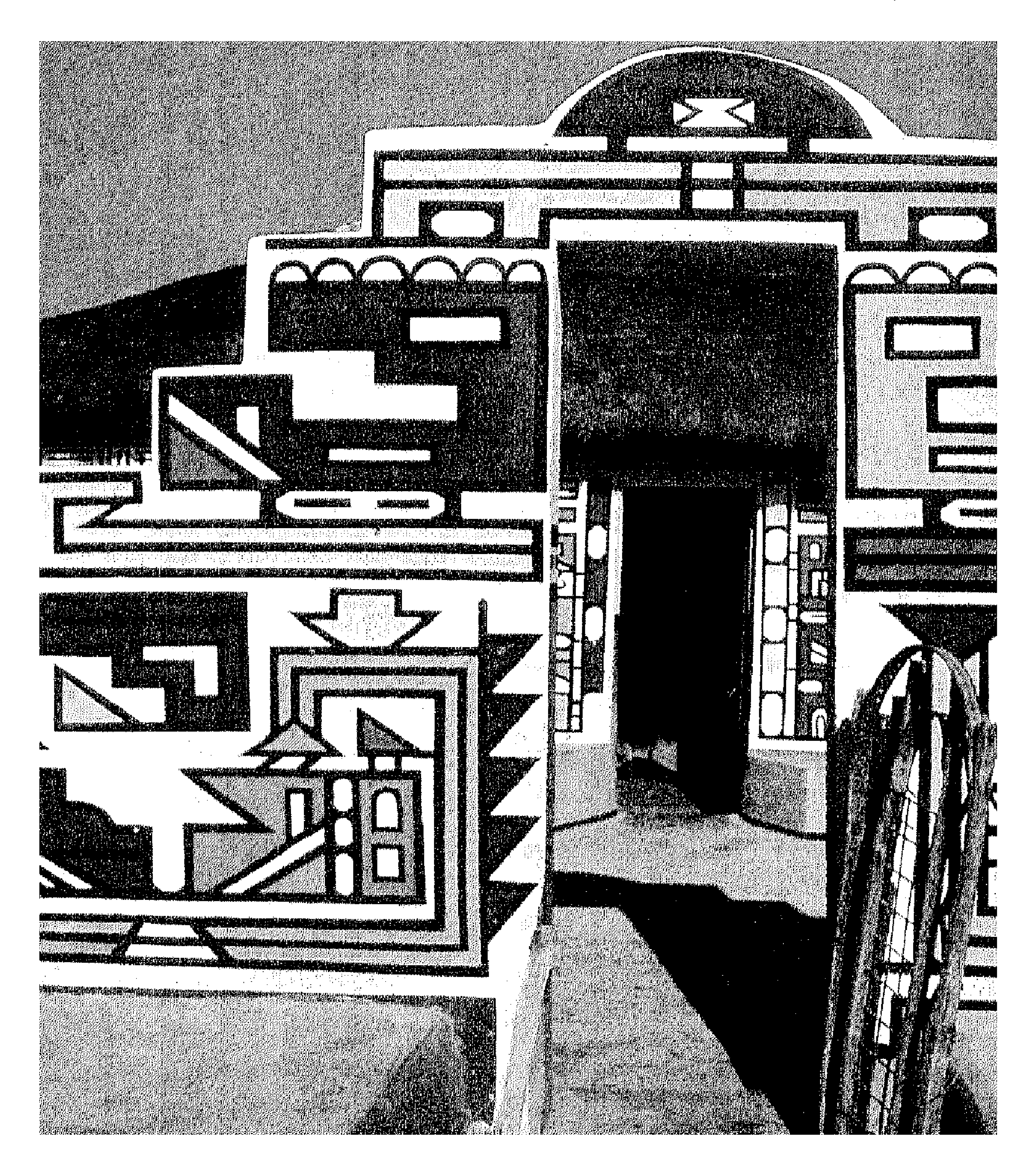


راس بوابة مزخرفة بنقوش والوان

مدخل مزخرف
لاحد المنازل العائلية
في كوانديبل

الجدران مستهدية بواحد من اسلوبين رئيسيين: التقليدي والعصري. وفي بعض الاحيان يلتقي الأسلوبان في المسكن ذاته. ففي الاسلوب التقليدي تبدو الرسوم واضحة، متواصلة الخطوط وتجريدية، وهي تزداد تعقيدا في الواجهة الرئيسية للمنزل. اما الأسلوب العصري فهو تمثيلي اكثر ويرمز الى الدور والساحات أمام الابنية والى الأبواب والنوافذ. والخطوط القطرية فيه، المائلة والأفقية والعمودية، ما هي الا ترجيع لاشكال الدعامات التي تقوم عليها الجدران الطينية.

تنتقي فنانات نديبيلي الاشكال الهندسية والبيانية الاكثر تعقيداً من الحياة اليومية. فالازهار والاشجار





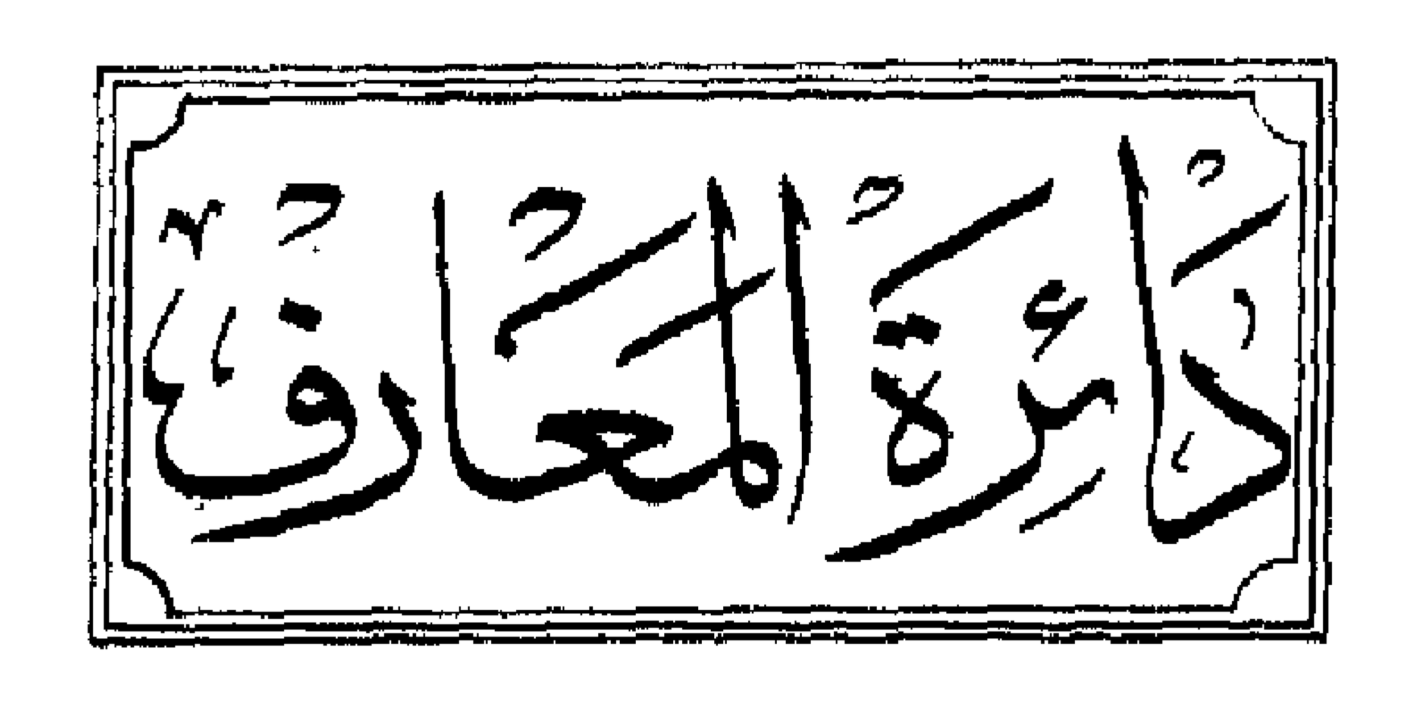
فنانة ترسم مباشرة على الجدار، مستعينة بيديها والفرشاة.

حاضرة دائماً في أعمالهن لان في الامكان رسم اجزاء محددة منها بوضوح.

ولا يقل افتخار نساء نديبيلي بأشغالهن الخرزية عن افتخارهن برسوم جدارياتهن. اذ هن يجتمعن، بعد الانتهاء من اعمالهن المنزلية اليومية، في ظل إحدى الاشجار وينشغلن في صنع عقود وادوات زينة من خرز الزجاج او البلاستيك. ويرتدين في الاحتفالات الدُّثر (الحرامات) المزركشة بالخرز وعصابات الرأس والتنانير المرصعة بالخرز اللامع.

ويقدر عدد افراد الشعب النديبيلي في جنوب الترنسفال بقرابة ٤٠٠ الف. وهم حافظوا على كيانهم كأمة حية لأنهم ظلوا متمسكين بتقاليدهم الحضارية. وعلى رغم الاضطرابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عصفت بجنوب افريقيا فان هؤلاء النساء تابعن بعناد نهجهن الجمالي المميز.

مارغريت كورتني - كلارك ■



■ اعداد وليم صعب

دائرة المعارف هذا الشهر امتحان في المحفوظات الشعرية. هنا ٤٠ بيتاً منتقاة من قصائد مختلفة. والمطلوب من القارىء ان يعرف مطلع القصيدة التي اختير منها كل بيت، واسم ناظم القصيدة، ويرسل الاجوبة الى مجلة "المختار" على العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex Internationl Courier
P.O.BOX 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

وستسحب اسماء الفائزين بالقرعة وتنشر في عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢
الجائزة الاولى ١٠٠ دولار، والجائزة الثانية ٥٠ دولاراً، والجائزة الثالثة ٢٥ دولاراً، اضافة الى عشر جوائز اشتراكات لمدة سنة في "المختار".

١. أيقنت أني – لا محالة –
حيث صار القوم صائرْ

٢. ولستُ بخالعٍ درعي وسيفي
إلى أنْ يخلع الليلَ النهارُ

٣. مِكَرٍ مِفَرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطّه السَّيلُ من علِ

٤. سئمتُ تكاليف الحياة، ومن يعش
ثمانين حولاً – لا أبا لك – يسأمِ

٥. وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً
على النفسِ من وقع الحسام المهنَّدِ

٦. كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلقها
فلم يضِرْها، وأوهى قرنَهُ الوعلُ

٧. أمست خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبَدِ

٨. إن الأفاعي، وإن لانت ملامسها،
عند التقلب في أنيابها العَطَبُ

٩. فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ
ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

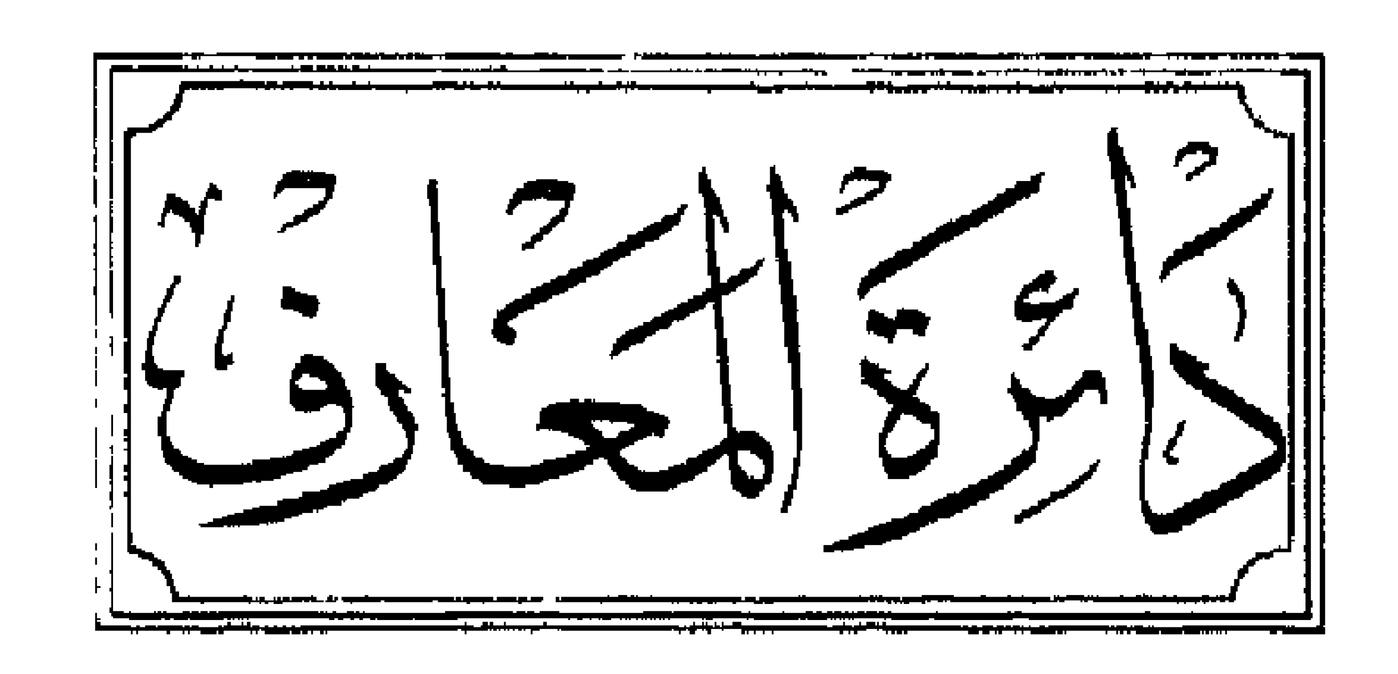
١٠. ليس من يقطع طرقاً بطلاً
إنما من يتقي الله البطلْ

١١. أم تلك ليلى العامرية أسفرت
ليلاً فصيَّرت المساء صباحا

١٢. الله – لا إله إلاّ
الله مولاك الأحدْ

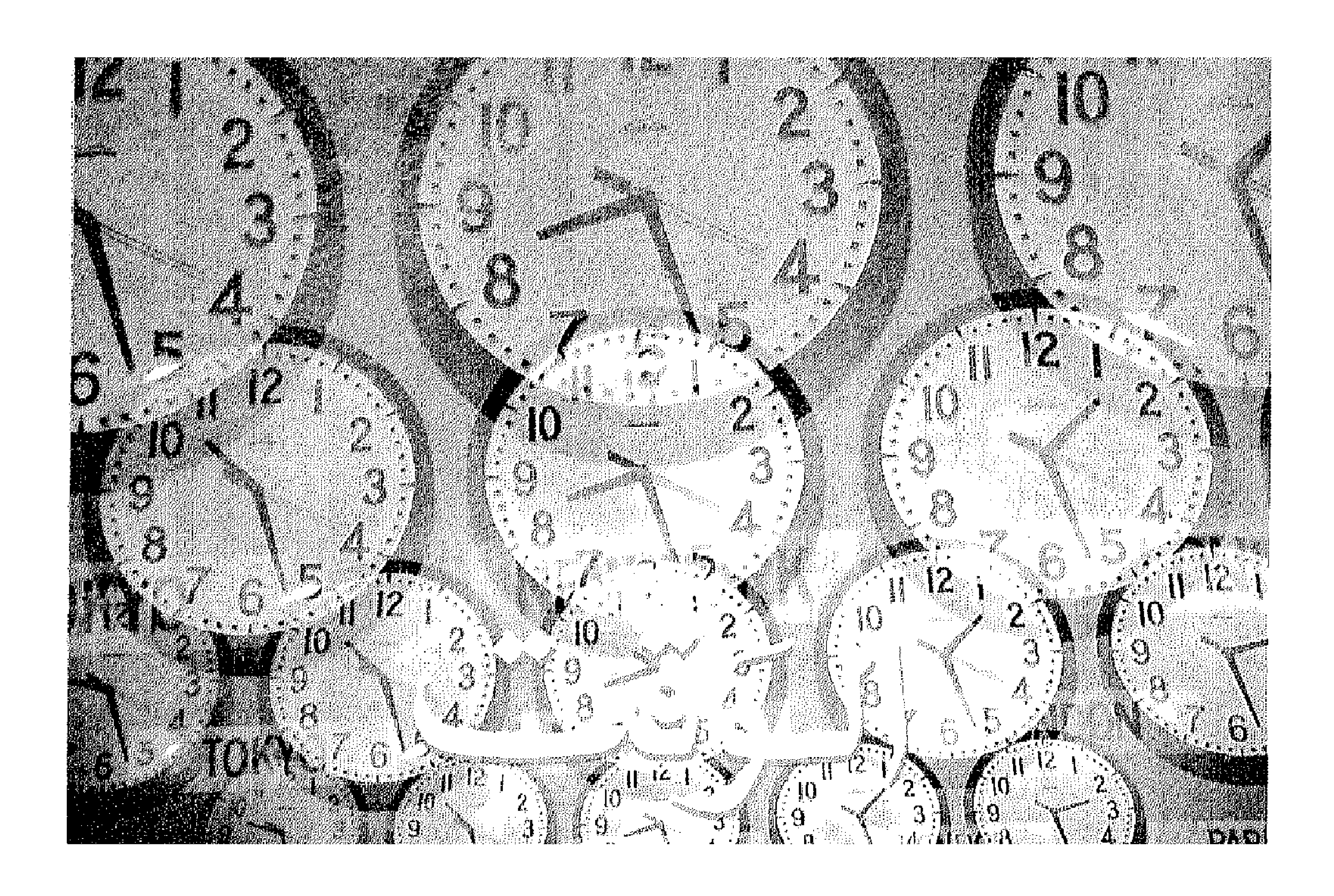
١٣. زمان الفرد يا فرعون ولّى
ودالت دولة المتجبرينا

١٤. كلُّ قومٍ خالِقو نيرونهم
"قيصرٌ" قيلٌ له أو قيل "كسرى"



١٥. وفي الزرازير جُبن وهي طائرةٌ
وفي البزاة شموخ وهي تُحتضَرُ
١٦. قالوا: أشدُّ وأدهى، قلتُ: ويحكم
إذاً لقد مات سعدٌ وانطوى العلمُ
١٧. قل يا غريب الجنس عنا ما ترى
حقاً فان الحق لا يتجنسُ
١٨. أنا من طيورك بلبلٌ
غنّى بمجدك فاغتنى
١٩. وقد كنت الضياء على زوالٍ
فأمسيت الضياء بلا زوالِ
٢٠. ما كانَ أرسخ منه في عروبته
أبو العلاء المعري وابن حمدانِ
٢١. ما كدتُ أعتزم التحملَ عن
بردى وفيه كان مبتردي
٢٢. أمةُ الفتح لن تموت، وإني
أتحدّاك باسمها يا فناءُ
٢٣. يرتمي الموج على أقدامه
دون أن يرفع للهامة هامَةْ
٢٤. إن تكن جزّت الخيانة شعري
في ضلالي، فقوّني في شعوري
٢٥. ومن لا يحبُّ صعود الجبال
يعشْ أبدَ الدهر بين الحفرْ
٢٦. يا ربِّ إنْ بلفور أنجز وعده
كم مسلم يبقى وكم نصراني
٢٧. فاحملوا حملةً على الأذناب
لا تخافوا طنين هذا الذباب

٢٨. وهبتكِ روحي يا جزائرُ فأمُري
كما شئتِ: إني خاضعٌ لكِ خادمُ
٢٩. تُشاد له المنازلُ شاهقاتٍ
وفي تشييد ساحتها الدمار
٣٠. ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً
ضاحك من تزاحم الاضدادِ
٣١. أعدَّ اللهُ للشعراءِ مني
صواعق يخضعون لها الرقابا
٣٢. وإذا اتسعتَ برزق ربك فاجعلن
منه الأجلّ لأوجه الصدقاتِ
٣٣. وما ضرَّنا أنا قليل وجارُنا
عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلُ
٣٤. لا تحسبوا نأيكم عنا يغيّرنا
إن طال ما غيّر النأي المحبينا
٣٥. شهد البحر لم أدع فيه من
درٍّ بمفرقيكِ خليقِ
٣٦. إن تُتهمي فتهامةٌ وطني
أو تُنجدي إنّ الهوى نجدُ
٣٧. كنتُ مشغوفاً بكم إذ كنتُمُ
شجراً لا تبلغ الطير ذراها
٣٨. توخّى حِمامُ الموت أوسط صبيتي
فلله كيف اختار واسطة العقدِ
٣٩. في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها
ما ان يوازي بأعلى نبتها الشجرُ
٤٠. هذا ابن فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ
بجدِّه أنبياء الله قد خُتموا



ذلِك اللغز العَجيبُ

نستعين في حياتنا بالساعات والروزنامات... ولكن ما هو الوقت؟

يقول ريتشارد ب. فينمان، الحائز جائزة نوبل: "نتعامل، نحن، علماء الفيزياء، مع الوقت يومياً، ولكن لا تسألني عن ماهيته، انه أصعب مما نستطيع ادراكه...

لفت نظري حديثاً شعار علق على جدار في مقهى بأوستن من ولاية تكساس الامريكية، فيه محاولة للاجابة، اذ يعتبر "أن الوقت وسيلة الطبيعة لمنع حدوث الاشياء كلها في آن."

نظر الانسان الى الوقت عبر معظم مراحل التاريخ كأنه جريان، كحركة النهر. حتى ان العالم الانكليزي الشهير السيد اسحق نيوتن، اعتبر جريان الوقت منتظماً. ولكن مع بروز نظرية النسبية لالبرت أنشتاين، اعتبر الوقت، أول الأمر، واحداً من الابعاد - كالاتساع او الارتفاع - مضفيا على الاحداث صورة موحدة في الزمان والمكان.

يقول غرنوت وينكلر، مدير دائرة

خدمات التوقيت في المرصد البحري الامريكي في العاصمة واشنطن: "لقد اولينا قياس الوقت اهتماما اكثر من اهتمامنا بأي من متغيّرات الطبيعة. لكنه يبقى لغزاً موجوداً في عقولنا فقط".

اثبت تضميم الروزنامات والساعات الدقيقة لقياس جريان الوقت، عبر التاريخ، انه سعي فكري متطاول ومخادع. وقد طور الانسان الروزنامة مستلهماً حركة الاجرام السماوية وتبدل الفصول. وقسم السومريون (في العراق القديم) السنة ٣٦٠ يوماً، ثم حددوها في ١٢ شهراً قمرياً مدة كل شهر ٣٠ يوماً. وأضاف المصريون خمسة ايام الى السنة، واخيراً اعطتنا التغييرات التي أدخلها الرومان، مشفوعة بالتحسينات التي لحظها البابا غريغوري الثالث عشر عام ١٥٨٢، التقويم الغريغوري الذي نعتمده حاليا والمضبوط بفارق يوم واحد كل ٣٣٢٣ سنة.

قسّمت المجتمعات الاولى أيضا النهار وحدات أصغر، ربما للاسباب نفسها التي تدعونا نحن الى ذلك — لكي نعرف متى يفترض ان نكون في مكان معيّن. ومما لا شك فيه أن الشمس المتقوسة فوق الرؤوس يوميا، كانت المقياس الاول للوقت، وتلا ذلك، ربما، ظل عصا زرعت في الارض — ساعة شمسية بسيطة.

الساعة الاولى. في القرن الحادي عشر، بنى عالم صيني، يدعى سو سونغ، اداة عملاقة غريبة الشكل كانت بين اولى الساعات المائية الآلية. وكانت ساعة سونغ التي بلغ ارتفاعها اكثر من عشرة امتار، مزودة اذرع حركة اسطوانات وتديرها ناعورة وتعلن الساعات بواسطة الاجراس والطبول.

لكن الساعة الآلية حققت عظمتها الكبرى في الغرب. وقد بنيت واحدة من اولى هذه الساعات لدير انكليزي في القرن الثالث عشر. ويعتقد المؤرخون، استناداً الى امثلة أحدث، ان هذه الساعة ومثيلاتها من ساعات الاديرة كانت تتكوّن من تروس حديد بدائية تحركها أثقال ولكن من دون عقارب. وكانت دعوة الرهبان المبتدئين الى الصلاة تتم بواسطة اجراس كانت تعرف في اللغة الانكليزية المتوسطة (بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر)، باسم "كلوكس".

وقيل ان طالب طب ايطاليا يدعى غاليليو غاليلي رأى في القرن السادس عشر قنديلا مضاء يترجح في كاتدرائية في بيزا. ولاحظ غاليليو، مستخدما نبضه لتوقيت ايقاع حركة القنديل، ان هذا كان يترجح بفواصل زمنية متساوية بصرف النظر عن اتساع المسافة التي يقطعها: لقد اكتشف الشاب رقاص الساعة. لكن سبعة عقود مرت قبل ان يبني العالم الهولندي كريستيان هايجينز الساعة الاولى المزودة رقاصاً، مفتتحاً بذلك عصر قياس الوقت بدقة.

ويبدو ان الفكرة التي انتشرت في الغرب، ومؤداها ان الماضي والحاضر والمستقبل مرتبة في خط مستقيم وان

الوقت لا يتكرر، ترعرعت في كنف تقليد اتخذ فيه تاريخ ولادة السيد المسيح (عيسى) معنى خاصاً لانه كان فريداً، وتاليا لا يتكرر. وهكذا، عندما نسرع في هذا العصر، الى موعد فنحن نسيِّر حياتنا بموجب نظام من التقويم السومري مضافا اليه علوم المصريين، في اطار ملحمة توراتية ضبطت ايقاعها كلها تقنية قادرة على تجزئة الثانية فعلا الى عدد غير محدود من الاجزاء.

بالمفهوم البشري، لا تكاد تراقب الثانية تمضي حتى تكون انقضت. ولكن عالمنا التكنولوجي يحتاج الى وقت دقيق. فالملاح في عرض البحر او في الطائرة يعتمد، وهو يحدد موقعه بواسطة قمر اصطناعي، على اشارات زمنية دقيقة الى حدود جزء من المليون من الثانية (ميكروثانية). وتوجه مركبات فضائية مثل "فوياجر ٢"، بأوامر بالراديو موقتة في حدود جزء من مليار من الثانية (نانو ثانية). اما علماء الفيزياء الذين يتتبعون الحركة داخل الذرة، فيحسبونها بجزء من التريليون[١] من الثانية (بيكو ثانية) أو حتى بجزء من الف من تريليون من الثانية (فيمتو ثانية). حتى يسهل ادراك الامر، إعرفْ ان ثانية واحدة تحوي عدداً من الفيمتو ثانية اكثر مما كان عدد الثواني في السنوات الاحدى والثلاثين مليون الاخيرة.

ان الساعات الذرية في ٥٠ محطة لضبط الوقت في انحاء العالم، من واشنطن الى باريس وموسكو، تتيح هذا التجزيء المثير للثانية. ولقد ادرك العلماء، منذ الاربعينات، ان الكترونات الذرة تتذبذب بايقاع منتظم – مثل رقاص الساعة – مما يجعلها صالحة للتوقيت. وتستخدم الساعات الذرية التي بنيت الاولى منها عام ١٩٤٨، ذرات السيزيوم، وهي معدن فضي اللون، تبلغ دقتها حدود بضعة اجزاء من مليار من الثانية (نانو ثانية) في اليوم.

القياسية الامريكية. تحتفظ الولايات المتحدة بساعتها القياسية لتحديد طول الثانية، في مكان امين في مختبر في بولدر من كولورادو. وتعد هذه الساعة التي يشرف على تشغيلها المعهد الوطني للمقاييس والتكنولوجيا وتدعى "ان بي اس – ٦"، من ادق الساعات الذرية في الولايات المتحدة، اذ تبلغ دقتها حدود ثانية واحدة كل ٣٠٠ الف سنة.

هل يعطينا كل ما سبق مفتاحا لمعرفة الوقت؟

"في الحقيقة لا،" يقول ديفيد آلان، الباحث في نظريات علم الزمن في المعهد الوطني للقياس والتكنولوجيا. ويضيف: "ان الساعات هي اجهزة ذات قدرة محدودة جداً." ويشير الى "ان الماضي ليس موجوداً في سوى ذاكرتنا، ولا مستقبل الا في توقعاتنا. ان افضل ما تستطيعه الساعة هو تحديد وقت لحظة مرت."

وتحدد الساعة أيضا المدة التي

(١) يساوي مليارا في الولايات المتحدة.

يستغرقها انجاز عمل ما. وهذا الامر نجده مثيرا، في اعتقادي، لان الفترة الزمنية الفاصلة – في الالعاب الرياضية والعلوم وقيادة السيارة على الطرق الرئيسية او في ايقاعات الموسيقى والرقص والشعر – تحفل بالحركة عادة.

كان زينون الايليالي، وهو فيلسوف اغريقي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، اول من تساءل عن طريقة تكوّن فترة زمنية معينة من فترات اصغر يمكن قسمتها هي بدورها الى ما لانهاية.

ولقد حيَّرت هذه الظاهرة التناقضية الانسان على مرِّ العصور.

لكن ألان لا يلقي بالا الى تساؤلات زينون، فالثانية بالنسبة اليه قابلة للتجزئة فعلا الى ما لانهاية: "اننا نستطيع تقسيم الثانية اجزاء بمقدار ما تسمح به التكنولوجيا المتوافرة لدينا، ولا يبدو أن هناك حدوداً لذلك. ان ضبط الوقت هو اختراعنا نحن."

المادة المضغوطة. ترشدنا الساعة الى متى – وربما كيف كذلك – نتصرف. ان كل ساعة من الزمن هي دلو صغير للوقت بحاجة الى أن نملأه، والساعة هي التي تحدد لنا متى نبدأ افراغ اللحظات فيه.

وللطبيعة ساعاتها أيضاً. اكتشف عالم الكيمياء الامريكي ويلارد ليبي عام ١٩٤٧، ضابطاً طبيعيا للوقت في كل شيء عاش في السنوات الخمسين الفا الاخيرة: ذرة "الكربون – ١٤" التي يتحلل نشاطها الاشعاعي عند معدل معين. وبتحديدهم مستوى نشاط "الكربون – ١٤"، يستطيع العلماء تحديد عمر مومياء أو قطعة فحم من موقد هندي قديم.

اما الفلكيون فقد غاصوا الى أبعد من ذلك في الزمن السحيق. فهم يستطيعون، من خلال مشاهدتهم الضوء الآتي من مجرّة بعيدة جداً معرفة احوال المجرة كما كانت قبل مليارات السنين، لأن معدل ابتعاد هذه المجرات بعضها عن البعض ينبيء العلماء بتاريخ بدء رحلة المادة في الكون.

يقول ستيفن هوكنغ، عالم الفيزياء النظرية في جامعة كمبريدج ببريطانيا: "لقد اثبتنا أن المادة في الكون لا بد كانت مضغوطة على نحو لامتناه قبل زهاء ١٥ مليار سنة." وقبل ذلك؟ "لم يكن هناك وجود للوقت كما نقيسه الآن." والسبب أن الجانب الآخر من بداية الزمن هو لغز باق، ظلام لا يسبر غوره.

لكن الوقت البشري – الادراك الحسي لأجسادنا وعقولنا – متجذر عميقاً في الماضي السحيق، قبل ان تبدأ مجموعة من الآلات ابلاغنا مواعيد النوم بزمن طويل جداً. تدعى دورة الوقت الاساسية في جسم الانسان "الايقاع الزمني المحتمل" ويعتقد ان مركز التحكم بهذه الدورة يقع في مركز معين تحت السرير البصري في الدماغ، فوق سقف الفم. ان طول الدورة الزمنية الطبيعية لغالبية البشر هو ٢٥ ساعة بفارق ١٥ دقيقة.

ويرى بعض دارسي الساعات الجسمانية، اننا ربما نكون مزودين أيضا مجموعة منتظمة من الدورات الزمنية الاسبوعية يعتقد أنها تنظم التحولات في كيمياء الجسم، وردات فعل جهاز المناعة، وارتفاع وهبوط دوريين في نبض القلب والدورة الدموية. ويلاحظ بعض علماء البيولوجيا المرتبطة بالوقت، ان هذه الايقاعات قد تساعد في تفسير الاسبوع بأيامه السبعة كوحدة زمنية – القياس الوحيد في الروزنامة الذي لا ترقى جذوره الى علم الفلك.

الايقاع الداخلي. يثق ايهريت بانك اذا اسأت استعمال ايقاعات جسمك الداخلية – الايقاع الزمني المحتمل او غيره – فانك تسعى الى المشاكل وقد تتأتى كآبة صباحات الاثنين واضطرابات النوم وحتى الاحباط، من تمايز بين الساعة المعلقة على الحائط وتلك التي في جسمك.

وهكذا يكون الجسم البشري جزءا من كون منتظم كأي من آلات الوقت التي صنعناها.

ولكن، ماذا عن الاسئلة الأخرى التي تراودنا جميعا: هل نستطيع الانتقال في الزمن، او هل يمكن ان نعكسه؟ من منا لم يحلم باعادة عقارب الساعة او أوراق الروزنامة الى الوراء – من اجل محو اخطاء ارتكبها، او ليعود طفلا بحكمة البالغين، او للتحدث الى شكسبير؟

يقول العلماء انه على رغم ان قواعد الفيزياء قد لا تمنع ذلك، فان كل الاسهم المنظورة التي تشير الى الوقت، تذهب في اتجاه واحد.

أيا تكن ماهية الوقت، فقد اضفينا عليه، نحن البشر، من ذواتنا ما جعله يأخذ معنى متفردا به. اننا نسيّر حياتنا تبع ارقام مثبتة على ساعات وروزنامات خلقناها نحن بانفسنا.

يستبعد ديفيد لاندس، وهو مؤرخ لتطور مفهوم التوقيت في جامعة هارفارد: "ان الساعات تنبىء الفرد بالوقت الذي يجب ان يخصصه لعمله والوقت الذي يخصصه لنفسه. وبات العمال اكثر تحررا من قبل. لا وجود للعالم الحديث بدون ساعة، ساعة اليد. انها تشكل الفرق بين مجتمع مركب معقد التنسيق وآخر بدائي يكاد لا يعي أهمية الوقت.

"لا نزال، في المطلق، اسيادا في طريقة استخدام الوقت وتأثيره في حياتنا." ان الوقت، اكثر من أي شيء آخر، ما نصنعه منه.

جون بوشلو ■

بهلوان صغير

رات جارتنا العجوز ابني الصغير يوازن نفسه وقوفا على راسه، فسالته: "الست صغيرا جدا على هذا العمل البهلواني وليس لك من العمر سوى سبع سنوات؟" أجابها: "لا تخافي، فعندما انقلب يصبح عمري ثماني سنوات."

ش.ش.

سَيقفون وَيمْشون من جَديد

انجاز طبي مثير في علاج اصابات النخاع الشوكي

قبيل بزوغ فجر يوم أحد من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ أغفا البائع رون نوزي (٢٨ عاما) خلف مقود سيارته الصغيرة واصطدم بمؤخر شاحنة - قاطرة على الطريق العامة قرب يونغستون من ولاية أوهايو الامريكية. وللحال، استدعى صاحب الشاحنة، عبر جهاز اللاسلكي، سيارة اسعاف، سرعان م وصلت ونقلت المصاب الى المستشفى المحلي حيث ثبت طبيب طوقاً حول عنق المكسورة. ثم نقلته طوافة الى مستشفى ألغيني العمومي في بيتسبرغ.

ولدى وصوله الى غرفة الطوارى استقبلته الممرضة الاختصاصية سار ليمان التي كانت تساعد الأطباء. وعلى رغم أن نوزي ظل واعيا، فقد كان جسمه فاقداً الحركة، وخشي الاطباء ان يكون أصيب بشلل. سألته ليمان: "هل تقدر ان تهز كتفيك؟" فاستجاب لها وتمكن من رفعهما قليلا. وبناء على طلبها كذلك ثنى مرفقيه بصعوبة، لكنه عجز عن بسط ساعديه او تحريك يديه وساقيه وقدميه. واذ وخزته ليمان فى أنحاء جسده لم

PHOTO. c LLOYD S. JONES

يشعر بشيء، من أسفل كتفيه وما دون. وتبين أن كل نشاط عصبي لديه بدءاً من الفقرة العمودية الخامسة في عنقه تعطل عن العمل، وان رون أصيب بشلل في اطرافه الاربعة.

حالة نادرة. ان معظم ضحايا اصابات النخاع الشوكي الذين يصلون أحياء الى غرف الطوارىء هم من الأحداث والشباب الذين يكونون تعرضوا لحوادث اصطدام او سقطات. وتتسبب ممارسة النشاطات الرياضية والاعمال العنيفة في وقوع اصابات ايضاً. ويقضي على غالبية المصابين هؤلاء بالعيش مشلولي الاطراف أو مشلولين نصفيا. وقد يتعافى بعضهم تلقائياً، لكن فرص الشفاء في حالات الشلل الشامل، مثلما حدث لرون نوزي، ضئيلة جدا لا تتعدى واحداً في المئة.

لم ينقطع الحبل الشوكي لنوزي الذي يشبه حزمة من أسلاك الهاتف، ولكنه أصيب بارتجاج ورضوض شديدة. ويتفاقم الضرر في الساعات التي تلي الاصابة بسبب التورّم وتمزق أغشية الخلايا مما يترك في الحبل تجاويف فارغة حيث تكون الخلايا ماتت.

لم يكن اي من العلاجات السابقة أتى بنتيجة فاعلة في الحد من هذا المسلسل القاتل. ولكن في الوقت الذي وقع الحادث لنوزي، كان مستشفى ألغيني وتسعة مراكز طبية أخرى في الولايات المتحدة مكبة على اختبار عقارين سبق أن استخدما في خفض الشلل لدى الهررة، ويدعى أحدهما "ستيرويد ميثيلبردنيسولون"[1] وهو دواء شائع مقاوم للالتهاب، والآخر "نالوكسون"[2] الذي يخفف آثار الجرعات المفرطة من المخدرات.

كان البروفسور مايكل براكن من كلية الطب في جامعة يال بنيوهافن من كونتيكت المشرف على تجربة "التعمية المزدوجة،" وتقضي هذه بالا يعلم لا الاطباء ولا المرضى اذا كان الدواء المستخدم هو احد العقارين المذكورين ام مجرد دواء لا قيمة طبية له. واحتفظ براكن لنفسه بالرموز العائدة الى صناديق الادوية التي شحنت الى المراكز الطبية العشرة التي تجري الاختبار.

قالت ليمان لنوزي: "لقد اصيب الحبل الشوكي لديك اصابة بالغة. سنبذل ما في وسعنا لمساعدتك، ولكن ليس لدينا اي علاج ناجع مؤكد." وشرحت له أسلوب اختبار الدواء وشدّدت على ضرورة الا يعرف هو أو الفريق الطبي المعالج الذي يرئسه الدكتور جوزف مارون، اذا كان سيتلقى دواء حقيقيا ام مهدئاً. وسألته: "هل توافق على هذا الشرط؟"

اجاب نوزي: "بكل تأكيد، سأجرب حظي."

اتصلت ليمان بالصيدلي المداوم في مستشفى يال بنيوهافن وزودته طول قامة المريض ووزنه. فحدد الجرعة الصحيحة

---

(١) Steroid Methylprednisolone
(٢) Naloxone

ثم اتصل بدوره بمستشفى ألغيني وزوده رقما مرمزا يحدد اثنين من الصناديق التي شحنت من يال.

ولم تمر ساعة حتى كان محلولان مختلفان يُضخان في ذراعي نوزي. ولم يكن ثمة سبيل الى معرفة اذا كان هذا يتلقى العقار ميثيلبردنيسولون ممزوجا بآخر زائف او العقار نالوكسون ممزوجا بالدواء الزائف، أم دواءين زائفين. (تضاف الادوية الزائفة الى الدواء الصحيح، لاخفاء نوع الدواء المستخدم، في حال استخدم الدواء فعلا.) وكانت مرت ست ساعات على الحادث حين بوشر حقن نوزي وريديا، علما انه ينبغي اعطاء المصاب الدواء الاختباري ضمن مهلة اقصاها ١٢ ساعة بعد الحادث.

نقلة عجيبة. ظل نوزي ثلاثة أسابيع بعد جراحة لدمج حبله الشوكي، موصولا بجهاز تنفس. وقبل اسبوع من قطع الجهاز عنه تبين له انه بات قادرا على بسط ساعده الايسر قليلا وضم ابهامه وسبابته معا. وبعد ستة اسابيع حرك باعتزاز الاصبع الكبرى لقدمه اليسرى واستعاد جانبه الايسر ايضا حركة أنشط ونما بعض الاحساس في جانبه الأيمن. وغادر نوزي المستشفى في يونيو (حزيران) مستعينا بعكاز ذي عجلات ورجلاه مشدودتان بسنادتين مقوِّمتين من أعلى فخذيه حتى أسفل قدميه. ويتذكر: "رحت أخطر كجندي من تنك، لكني عددت نفسي رجلا محظوظا."

مع مرور الوقت تخلى نوزي عن السنادتين مكتفيا بالمتكأ النقال فيما شُدّ رسغ قدمه اليمنى برباط. تقول ليمان: "كان شفاؤه مدهشا." وسجلت لدى اطباء آخرين اعتمدوا هذا الاختبار حالات شفاء مماثلة ملفتة للنظر. وقد كان شفاء امرأة مسنّة في الثانية والستين احدى حالات الشفاء الاكثر إثارة.

ادخلت المرأة جامعة كارولينا الجنوبية للطب في تشارلستون مصابة بكسور في ثلاث فقرات. وبعد بقائها اسابيع مشلولة الاطراف لاحظت أثر حركة في ساقيها وساعديها. وعشية عيد رأس السنة، أي بعد تسعة اشهر من اصابتها، تمكنت، بخطوات متثاقلة، من مراقصة حفيدها.

أوقف براكن في نهاية عام ١٩٨٨ تجربة الدواء على مرضى آخرين، وركز جهده على دراسة النتائج. وحين بلغته نتائج التحاليل الالكترونية لـ٤٨٧ من المرضى المتطوعين، غمره شعور بالالم والاحباط. وهو يقول: "كانت النتائج كلها واحدة، لا فرق أتمت المعالجة بميثيلبردنيسولون او بنالوكسون أو بالدواء الزائف."

ولمعرفة الاسباب، اكب براكن، والاحصائيون العاملون في فريقه، على تحليل المعلومات عن المرضى الذين عولجوا في الساعات الثماني التي تلت اصابتهم. وقد اختاروا هذه المجموعة بعدما غلب لديهم الظن ان النخاع الشوكي المصاب يتضرر بعد ثماني

ساعات الى حد يصبح شفاؤه ميؤوسا منه وان جرعات الدواء الكبيرة يمكن الا تؤدي فائدة. كذلك، أظهرت المحصلة الاجمالية أن النتائج الهزيلة لكل علاج لاحق تحجب أي نتائج جيدة يكون حققها علاج سابق.

حين ظهرت نتائج التحاليل الجديدة تجمّد براكن. وهو يقول: "حصلنا على معلومات مثيرة جدا."

وفي اجتماع مغلق بدالاس في ٢ أغسطس (آب) ١٩٨٩، وقف براكن امام جراحي الجهاز العصبي المشاركين في الدراسة وعرض على الشاشة شرائح تبين الطريقة العشوائية التي أجري بها الاختبار على المرضى المتطوعين. وكان ثلث هؤلاء قد أعطي الستيرويد ميثيلبردنيسولون وثلث آخر أعطي نالوكسون والآخرون دواء زائفا. ثم انتقى براكن شريحة اخرى واعلن بهدوء: "هذه هي النتائج التي كنتم جميعا تنتظرونها." وحين انعكست الصورة على الشاشة ساد القاعة صمت وذهول. فقد قسم خط بياني المصابين الذين عولجوا في غضون الساعات الثماني التالية لوقوع الاصابة، ثلاث فئات، بحسب وسيلة العلاج، مبرزاً نسبة التحسن الذي طرأ عليهم بعد ستة اشهر. وظهر الخط الذي يشير الى ميثيلبردنيسولون على مسافة لافتة فوق الخطين اللذين يشيران الى نالوكسون والدواء الزائف. وتبين أن المصابين الذين عولجوا بالستيرويد استعادوا في المتوسط ٢٠ في المئة من ارتكاس الحركة والحس المفقودين، بينما لم يستعد الذين عولجوا بنالوكسون او بالدواء الزائف، سوى ثمانية في المئة فقط من الارتكاس. وقد يعني هذا الفارق القدرة على استعادة استخدام الساعدين والساقين.

هتف أحد الاطباء: "هذا لا يصدّق! ان العملية ناجحة."

ويقول الدكتور فانور ل. بيرو رئيس دائرة جراحة الاعصاب في جامعة كارولينا الجنوبية للطب: "كان الامر مثيرا. اذ هي المرة الاولى يقوم دليل على تحسّن في نتيجة معالجة اصابة الحبل الشوكي."

ولكن، شاب الإثارة قلق، لأنه تعين أولا وضع تقرير علمي وعرضه على خبراء آخرين قبل نشره في مجلة طبية، الامر الذي يستغرق أشهراً.

في غضون ذلك وافق جميع أطباء الفريق على ابقاء نتائج الدراسة سرّية وقصر المعالجة على الحالات الملحة، وقرر عدد منهم انتظار اطّلاع الاختصاصيين على التقرير بينما صمم آخرون على مباشرة استخدام العلاج ولكن حرصوا على الا ينكشف الامر، وبين هؤلاء الدكتور فولكر زونتاغ من معهد الأمراض العصبية في مستشفى القديس جوزف في فينكس بأريزونا.

وبعد ثمانية ايام من الاجتماع الطبي في دالاس غادرت دنيز شويلوم وسبعة آخرون مدينة لايك هافاسو في أريزونا برحلة الى متنزه الوادي الكبير الوطني.

جلست شوبلوم، وهي رياضية، في الثانية والاربعين من عمرها تعمل مسؤولة في محطة اذاعية، في سيارة "بيك أب" بين ابنها البالغ ١٧ عاما، وأحد اصدقائه. وتبعهم الخمسة الآخرون في سيارة أخرى.

وبعيد التاسعة مساء، انفجر احد الاطارات فسقطت السيارة في أخدود صغير. وتمكن ابن شوبلوم من الخروج من الشاحنة الصغيرة سالماً، وقذفت قوة الصدمة صديقه خارجها من غير ان يصاب بأذى، في حين احتجزت شوبلوم تحت الحطام وقد فقدت كل إحساس في جسمها.

هُرع بشوبلوم الى مركز طبي صغير في كينغمان حيث اظهر فحص بالأشعة السينية (اكس) انها اصيبت بكسور في ثلاث فقرات من رقبتها وبتخلع شديد. فاتّخذت الترتيبات لنقلها بالطائرة الى مستشفى القديس جوزف في فينكس، حيث اقترح الجراح المختص، قبل نقلها: "احقنوها اولا جرعة قوية من ميثيلبردنيسولون، لقد عاد علينا استخدامه بالنجاح."

بعيد ظهر اليوم التالي تناهى الى دنيز شوبلوم تكهّن قاس بأنها ستبقى مشلولة الاطراف مدى الحياة. ولكن، بعد ثلاثة ايام شعرت بحركة خفيفة في الاصبع الكبرى لقدمها اليسرى فأوضحت لها احدى الممرضات: "هذا تطور رائع! انه يعني ان لديك فرصا افضل للشفاء."

وفي الاسابيع التالية استعادت شوبلوم القدرة على تحريك قدميها ورجليها، وبعد خمسة أشهر غادرت المستشفى مستعينة بعكازات. وهي في طريقها حاليا الى الشفاء الذي يؤمل ان يكون بنسبة ٩٥ في المئة.

"**الصدمة الكبيرة.**" في هذه الاثناء قدم براكن تقريره الى مجلة "نيو إنغلند جورنال اوف ميديسين." وبعد التدقيق فيه ومراجعته بات جاهزاً للنشر في ١٧ مايو (ايار) ١٩٩٠.

لكن صبر براكن وجراحي الاعصاب كاد ينفد. فالربيع هو الفصل الذي تسجل فيه أعلى نسبة من اصابات النخاع الشوكي في الولايات المتحدة، والتأخر في نشر التقرير يحرم مئات الضحايا فرصتهم الوحيدة المتاحة للتخفيف من مأساة الشلل مدى الحياة. وكانت المراكز العشرة كلها بدأت تستخدم الستيرويد للمعالجة. وناشد عدد منها مستشفيات المنطقة ارسال مرضاها في اسرع ما يمكن.

وفي ٣٠ مارس (آذار) بعد انتهاء عملية مراجعة التقرير وبموافقة المجلة الطبية، دعت المعاهد الوطنية للصحة الى مؤتمر صحافي أعلن فيه براكن نتائج تجربة الدواء. وتصدر الميثلبردنيسولون الصفحات الاولى في الصحف في انحاء البلاد.

إلا ان فكرة إعطاء الستيرويد بمثل هذه الجرعات القوية بدت راديكالية الى حد لم يستسغه بعض الاطباء. لذلك،

امتنعوا، ويا للمأساة! عن استخدامه. وقد أفاد مصاب واحد فقط من الدواء، طوال الفترة التي استغرقتها اجراءات اجازة استخدامه، ويدعى ديفيد تود، وهو نجار في الثانية والثلاثين تحطمت فقرات عدة في عموده نتيجة سقوطه من ارتفاع ستة امتار على ارض من الاسمنت في نورث ميرتل بيتش بكارولينا الجنوبية ونقل الى الجامعة الطبية في الولاية ذاتها. وحين اعطي تود ميثيلبردنيسولون لم يكن تبقى سوى بضع دقائق لانقضاء مهلة الثماني ساعات. وهو يتذكر: "سمعت احد الاطباء يقول: "اعطوه الصدمة الكبيرة."

وبعد عشرة ايام، استطاع تود التنقل في محيط غرفته مستعينا بمتكأ نقال. وبعد شهر خطا بضع خطوات من دون مساعدة. واخذت قدرته على التحرك تتحسن باطراد.

وتستخدم حاليا جرعات كبيرة من ميثيلبردنيسولون على نطاق واسع في معالجات اصابات النخاع الشوكي الحادة في الولايات المتحدة. ويأمل جراحو الاعصاب ان يؤهل المسعفون الطبيون في وقت قريب لاعطاء الستيرويد في مكان وقوع الاصابة، وهم يتوقعون ان تزداد فاعليته حين يعطى في وقت أبكر.

يقول الدكتور بيرو: "ان النتائج المرتقبة مشرقة."

ويجسد رون نوزي هذا الامل، فهو بات قادراً الآن، بعد اربع سنوات من حادث اصابته، على التنقل بمساعدة عكاز نقال وقيادة السيارة وكتابة تقرير. وهو يخطط للالتحاق قريبا باحدى الجامعات، ويقول: "كلما تقدم بي الوقت أشعر اني ازددت قوة. ثمة خيارات كثيرة استطيع الافادة منها الآن. إن مستقبلي يبدو اكثر إشراقا."

بيتر ميتشلمور ■

حكمة معمّر

اقيمت في احدى دور العجزة حفلة لتكريم احد النزلاء لمناسبة بلوغه عامه المئة. واثناء الاحتفال بدا العجوز يقظاً ناشطاً وعيناه تتالقان مرحاً، واجاب بظرف عن الاسئلة الكثيرة التي طرحت عليه في شان عمره المديد. وحين ساله عجوز آخر في التسعين عما يتعيّن عليه عمله لبلوغ المئة، اجاب ببساطة: "ما عليك الا الانتظار."

ج.ا.

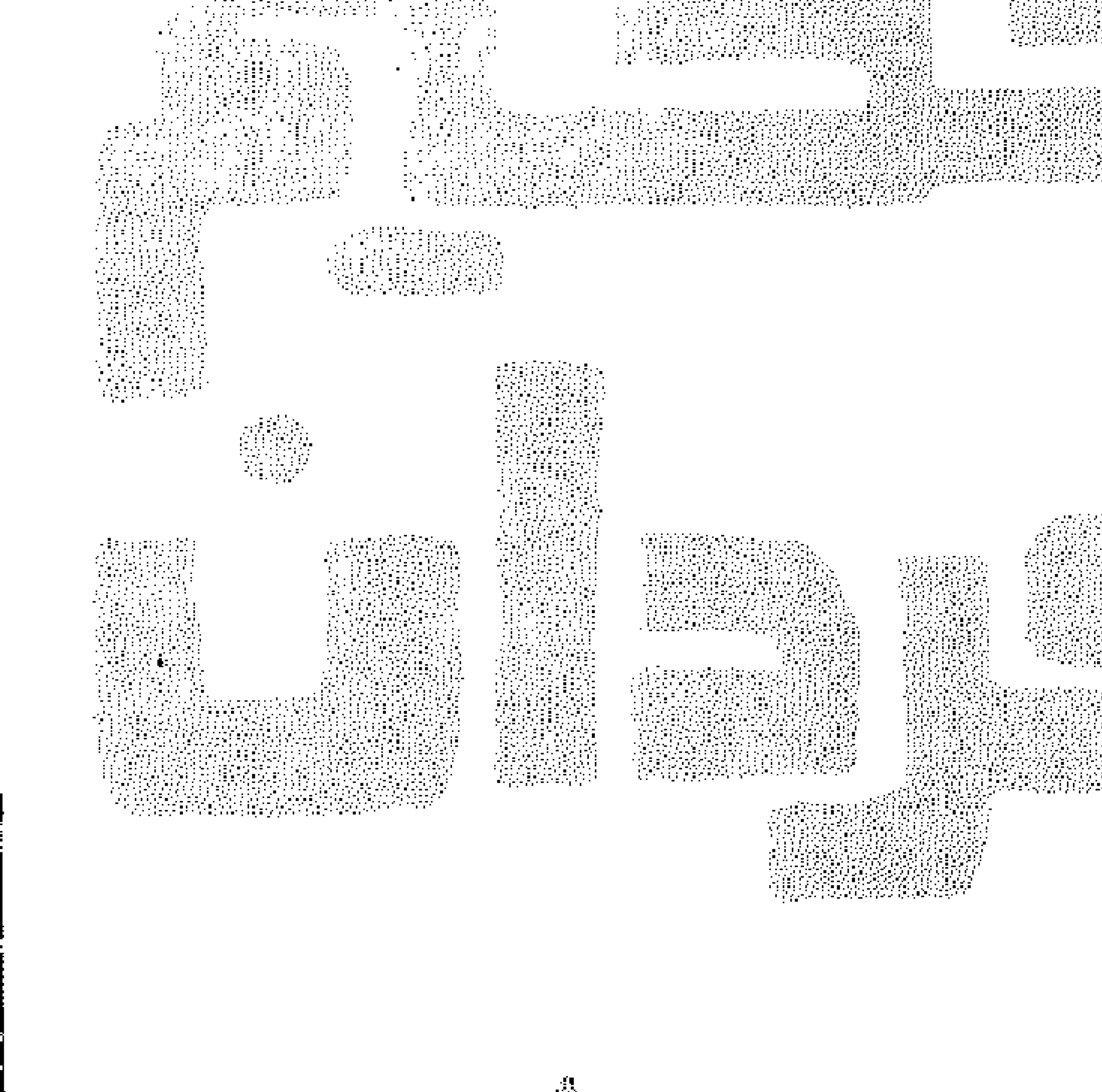
ست بيت صغيرة

اثناء زيارتي احدى صديقاتي سمعت ابنتها الصغيرة تسالها: "ماما، هل تسمحين لي بمساعدة الخادمة في تنظيف البيت؟"

فاجابتها امها: "كلا يا عزيزتي، ليس اليوم، فلديها أعمال كثيرة."

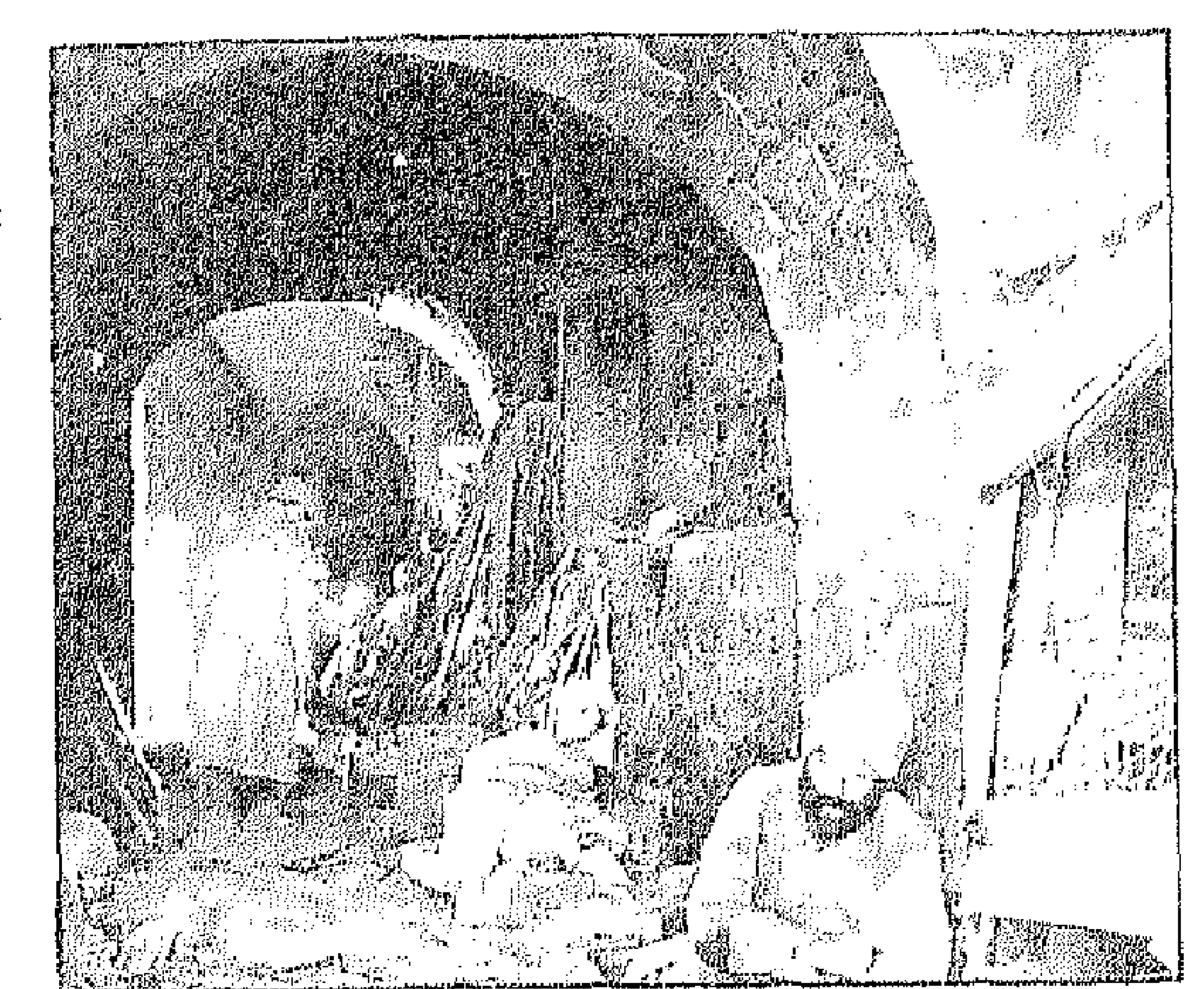
ا.ن.

غرقت ڤردان خلال الحرب العالمية الاولى في "حمّام دم" لم يشهد التاريخ مثله. واليوم أصبح الموقع رمزاً للمصالحة والسلام

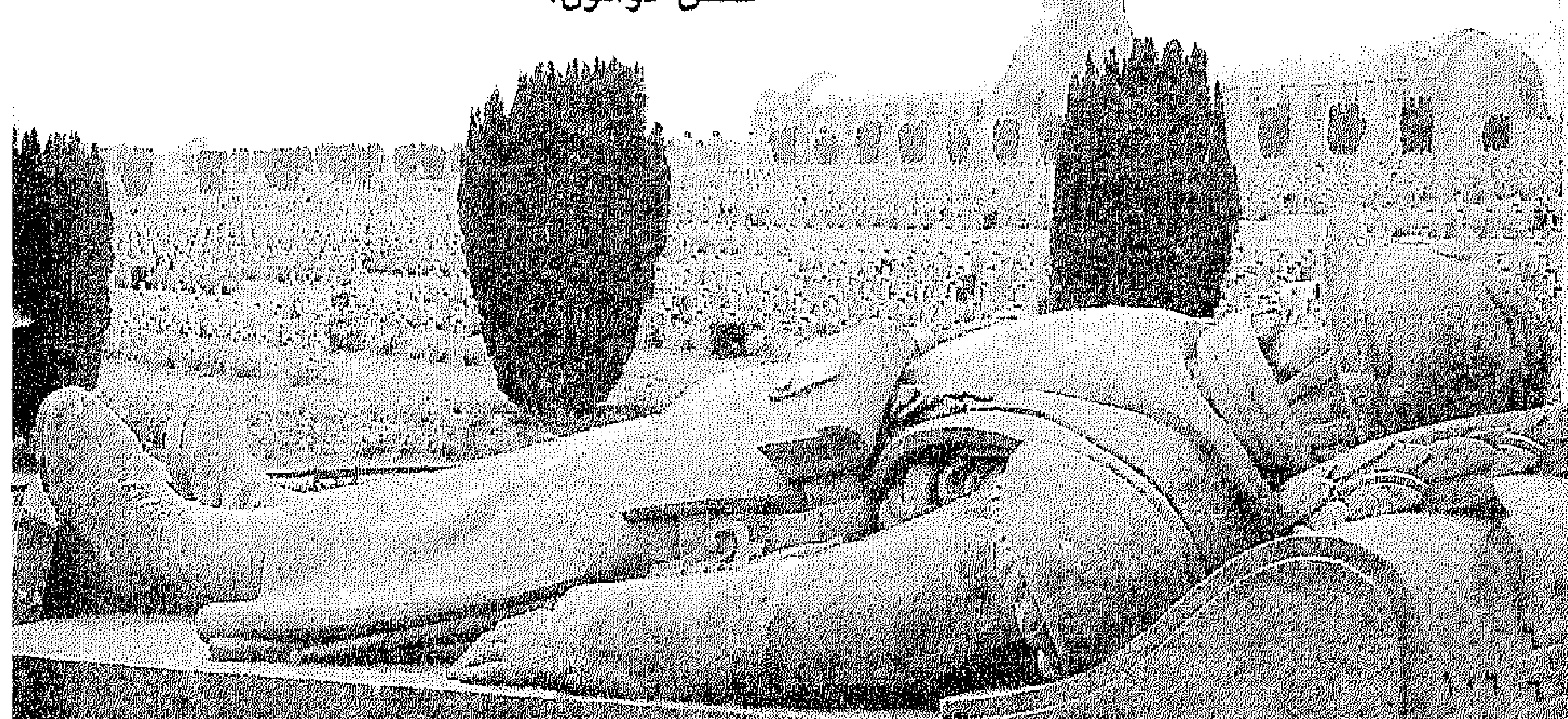


"أنزل زجاج النافذة، وستسمع زقزقة العصافير." كان دليلي يقود السيارة عبر دروب ضيقة. فالتفت الى يميني حيث انتصبت شجرات التنوب الضامرة وسط الضباب الخريفي، فسمعت سقسقات طيور الغابات الفرنسية. ثم استدرت نحو اليسار حيث الضباب والشجر متشابهان، فلم اسمع أي صوت. منذ خمسة وسبعين عاماً لم يعشش طائر هنا ولم يعدُ غزال عبر الشجيرات النامية.

JALAIN / EXPLORER



مبنى "أوسوير" والمقبرة العسكرية. (فوق) داخل حصن دوامون.



هنا، على أرض معركة فردان، التحم الجيشان الفرنسي والالماني خلال عشرة أشهر من العام ١٩١٦، في أعظم صدام لاعظم حرب شهدها العالم أبداً. غطّت المعركة مساحة مئتي كيلومتر مربع من الغابات والاراضي الزراعية التي انهمرت عليها ستون مليون قذيفة مدفعية وقضى فيها نحو نصف مليون رجل.

تغيّرت معالم الارض، وحفرت القذائف العملاقة عشرة أمتار في بعض المواقع، حتى بدت المنطقة في النهاية كأنها رقعة واسعة من سطح القمر، خالية من كل حياة الا الحشرات والجرذان.

خلال سنوات ترحالي في أوروبا عبرتُ مواقع عشرات المعارك الكبرى. كان بعضها أكثر حسماً في التاريخ من فردان، وبعضها أكثر دموية، ولكن لا ميدان آخر يترجّع صداه في ذاكرة الانسانية كهذا الموقع. لم يسبق ان انحشر هذا العدد الكبير من الجنود في مساحة محدودة كهذه لفترة متطاولة وهم يتلقّون عقوبة مدبَّرة.

تضعك منطقة ڤردان، حتى اليوم، في جو حرب. كنت أحس بكآبة باردة مقلقة أينما اتجهت عبر التلال والوهاد على ضفتي نهر الموز. لا شيء يشدّ النظر سوى صلبان وشواهد قبور وأبراج وتماثيل تنقّط رقعة الارض. مع ذلك لم يسعني أن أسير أكثر من مئتي متر في أي اتجاه من دون أن أصادف بقعة أغرقت بالدم في ما مضى.

وصلت الى منخفض ساكن هو أخدود طويل ضيق. كان في امكان من سيطر على أحد طرفيه عام ١٩١٦ أن يطلق النار من مدفع رشاش على امتداد طوله. وهو أصبح يعرف باسم "وهدة الموت."

هنا كانت "التلة ٣٠٤" حيث قضى عشرة آلاف فرنسي وألوف الالمان. كان عدد الجثث كبيراً الى حد أن الالمان الذين احتلّوا التلة طلبوا حصة اضافية من التبغ لتغطية رائحة الموت.

أما تلك المساحة المنبسطة الجرداء فكانت في ما مضى قرية فلوري التي تبادلتها الايدي ١٦ مرة في صيف ١٩١٦. لم يبق فيها بعد الحرب ورقة عشب. كل ما تبقى كأس فضية في كنيسة المدينة وعقيفة حديد لتعليق القدور فوق الموقد في احدى المزارع، والقطعتان محفوظتان في متحف المعركة الذي أقيم حيث كانت محطة القطارات.

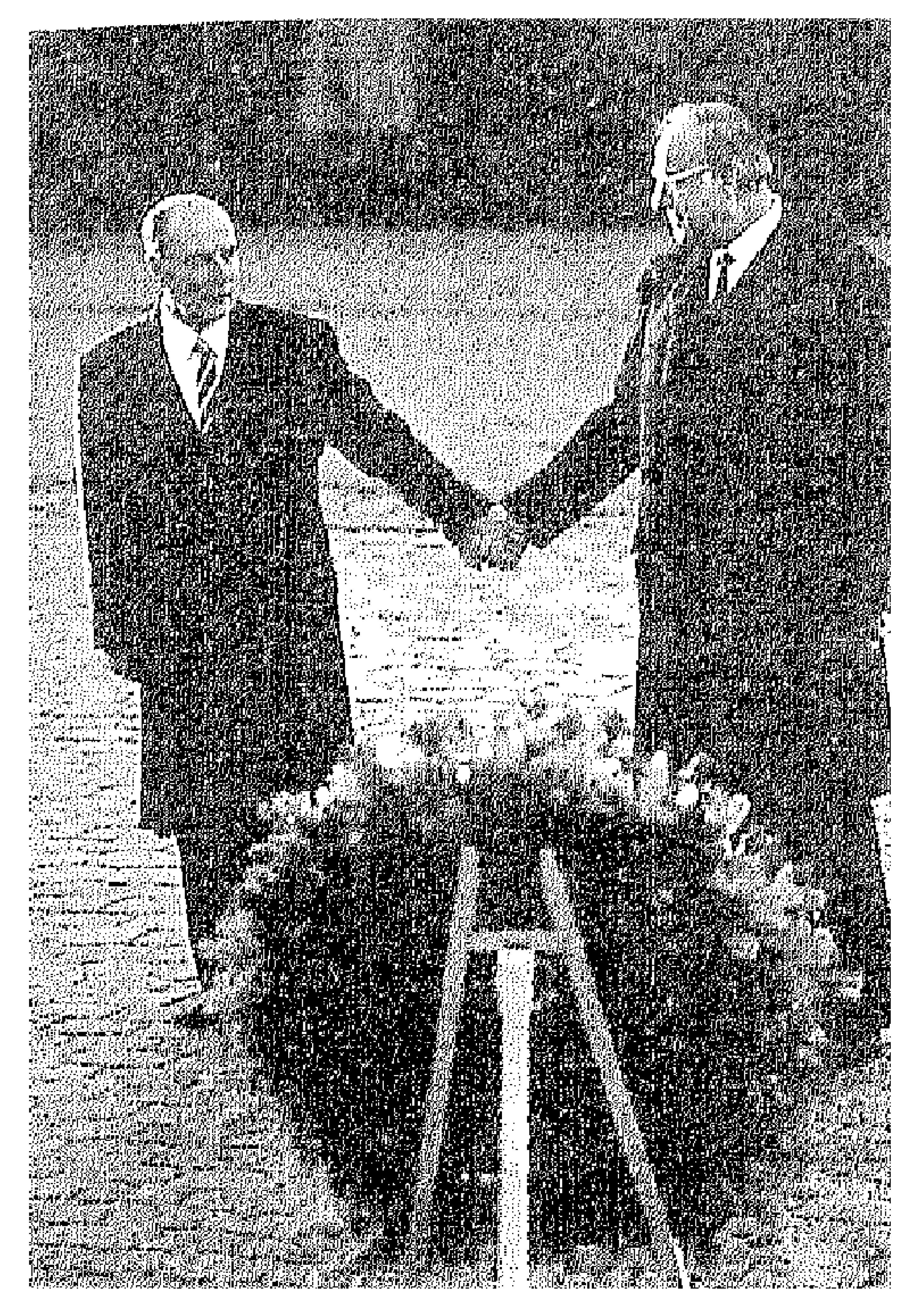
درستُ الخرائط والنماذج في المتحف لاعيد رسم سير المعارك القديمة: هجم الالمان على الضفة اليمنى لنهر الموز في فبراير (شباط) وتقدموا حوالى ثمانية كيلومترات. ثم اتسع الهجوم ليشمل الضفة اليسرى في مارس (آذار). وفي يوليو (تموز) أصبحت الوحدات الالمانية على مرأى من الحصن القديم في ڤردان. لكن الفرنسيين استعادوا المبادرة في أغسطس (آب) وقاتلوا لاستعادة المواقع التي خسروها. وفي ديسمبر (كانون الاول) عندما انتهت المعركة أخيراً، كانت

الخطوط الامامية في مرمى المدفعية التي ركزت حيث كان موقعها في فبراير (شباط).

ان الامر الاشد هولا في مذبحة ڤردان هو أنها خططت لتكون كذلك. أصدر الجنرال اريك فون فالكنهاين، رئيس هيئة أركان القوات الالمانية، أوامره الى الجيش الخامس للتقدم في اتجاه ڤردان، لكن خطته الحقيقية لم تكن الاستيلاء على المدينة وانما دفع الفرنسيين الى ارسال مزيد من الجنود للدفاع عن القطاع. كانت تقديرات فون فالكنهاين أن المدافع الالمانية الضخمة سوف تمزق الفرنسيين خلال تقدمهم وتنزل بهم خسائر فادحة وتحطم معنوياتهم وتنهي الحرب. وسمّى خطته "أوسبلوتونغ" أي معركة "النزف الابيض."[1]

أحضر الالمان، بسريَّة محكمة، ١٢٠٠ مدفع كبير بينها ١٣ من أكبر المدافع قاطبة ويدعى "بيغ بيرتا"[2] من عيار ٤٢٠ مليمتراً. فتحت كل هذه المدافع نيرانها معاً في السابعة والربع من صباح ٢١ فبراير (شباط) على خط الدفاع الفرنسي الذي لم يتجاوز طوله ١٢ كيلومتراً. كان ذلك أقوى تركيز للقوة النارية شاهده انسان. واستمر القصف تسع ساعات.

لكن خطة فالكنهاين واجهت مصاعب منذ البداية. ارتبك الفرنسيون أولا بسبب الهجوم، لكنهم سرعان ما استجمعوا قواهم. ومع استمرار القتال ازدادت صلابة عزمهم. لم تعد ڤردان مجرد موقع حصين، بل أصبحت رمزاً فرنسياً تجب



الرئيس الفرنسي ميتران والمستشار الالماني كول في مبنى "أوسوير" عام ١٩٨٤.

المحافظة عليه بأي ثمن. وغمرت نشوة عصبية الاستحكامات الفرنسية الموحلة على امتداد نهر الموز. ودعيت الطريق، الممتدة مسافة ٧٥ كيلومتراً من بار – لو – دوك "الطريق المقدسة" وهي الوحيدة التي أمكن عبرها احضار الجنود والمؤن بمأمن من المدفعية الالمانية. مر في هذه الطريق ثلثا وحدات الجيش الفرنسي، وعبرها جنود كثيرون غير مرة. وبلغ العدد الرسمي للخسائر ٣٧٧ ألفا بين قتيل وجريح.

---

(١) Ausblutung

(٢) Big Bertha

قصص بسالة. لم يستشرف فالكنهاين أن "النزف الابيض" سيكون سيفاً ذا حدين. فقد أحضر الفرنسيون مدافعهم الكبيرة بالمئات. وطالت المعركة وأصبح الالمان مهووسين بالاستيلاء على ڤردان والفرنسيون مهووسين بالاحتفاظ بها. وعقد الالمان العزم على الانتصار بأي ثمن، فتكبدوا ٣٣٧ ألف اصابة.

حقق الرجال مآثر من البسالة من أجل احتلال بضعة أمتار مربعة من الارض الموحلة أو الدفاع عنها. في غابة كور، النقطة الشمالية القصوى في الخطوط الفرنسية عند بدء المعركة، نصب تذكاري على قبر المقدَّم اميل دريان الذي كان على رأس ١٣٠٠ رجل في تلك البقعة. عندما انفتح سد النار[٣] ليغطي المنطقة كرشاش ماء من صنبور حديقة، بدت غابة الاشجار الضخمة العتيقة كأنها تتحلل حول رجال دريان. وبدت السماء ملأى بالحجار، كما روى أحد عُرفاء الجيش. فقد تطايرت الشظايا المعدنية الكبيرة الناجمة عن انفجار قنابل ذلك الزمن، حاملة قطعاً من التراب والعربات والمدافع وأشلاء من الخيل والرجال.

وأفاد الطيارون الالمان الذين كانوا يستكشفون المنطقة من الجو، أن أحداً لم ينجُ. لكن كثيرين نجوا في الواقع. ففي غابة كور استبسل دريان و٤٠٠ من رجاله المذهولين المدمّين وقاتلوا الالمان المتقدمين بالبنادق والحراب. تغلبت الكثرة في النهاية، لكن المقدم دريان، باعاقته رأس الحربة الالمانية أربعا وعشرين ساعة قبل سقوطه، قد يكون أنقذ الجيش الفرنسي، بكامله، من كارثة.

المسافة بين غابة كور وحصن دوامون ثمانية كيلومترات قطعها الالمان في ثلاثة أيام، وهذه سرعة مذهلة بمقاييس الحرب العالمية الاولى. كان حصن دوامون منيعاً على القصف المدفعي، اذ بلغت كثافة سقفه ٢،٥ متر من الاسمنت وفوقه نحو تسعة أمتار من التراب. كما كانت مدافعه تتحكم بكل الطرق التي يمكن أن يسلكها العدو للتقدم نحوه. وكان الالمان يعتبرون الحصن العقبة الاكثر صعوبة في وجههم.

ما لم يعرفه الالمان أن مزيجا مستغرباً من سوء التقدير والحظ العاثر جرّد الحصن الا من حامية صغيرة بلغ

(٣) سد النار (barrage) حاجز من نيران المدفعية يستخدم لمنع العدو من التقدم او لتمكين القوات الناشطة خلف تلك النيران من العمل باقل مقدار ممكن من الاصابات.



صورة التقطها جندي لخندق في ميدان المعركة

تعدادها ٥٠٠ رجل. وفي ٢٥ فبراير (شباط) أرسل رقيب ألماني يدعى كونز مع سرية من عشرة رجال لقطع الاسلاك الشائكة حول الحصن، فاكتشف أنه يستطيع التسلل الى الحصن الضخم من جانب مدفع مهجور. وعندما اندفع عبر باب صارخاً "ارفعوا أيديكم!" استسلم له طاقم مدفع من عيار ١٥٥ مليمتراً.

وقد لزم الفرنسيين ثمانية أشهر وتكلفوا بحراً من الدماء (نحو ١٠٠ ألف اصابة) لاستعادة الحصن الذي سقط في دقائق.

يقع حصن ڤو على أقل من خمسة كيلومترات خلف دوامون، الا أن قطع المسافة استغرق الالمان أكثر من ثلاثة أشهر. وهاجموا في الاول من يونيو (حزيران) بأعداد كبيرة واحتلوا أعلى الحصن. لكنهم اضطروا في الايام الخمسة التالية الى شق طريقهم قتالا عبر دهاليز حالكة الظلمة ترتفع مترا ونصف متر ويقل عرضها عن متر. انسحب الرائد سيلفان – أوجين رينال ورجاله من غير أن يتوقفوا عن اقامة حواجز من أكياس الرمل، فيما الرصاص يرتد نحوهم من الجدران، والدخان يثقل صدورهم. واضطروا أخيراً الى الاستسلام لان الرصاص ثقَّب خزانات المياه فقاتلوا في اليومين الاخيرين مكتفين بكوب واحد من الماء لكل عنصر. وهم لم يجرؤوا على الاكل، لان اللحم في زادهم كان مملَّحا.

ذهل الالمان الذين خسروا ثلاثة آلاف رجل قبل الاستيلاء على حصن ڤو، حين رأوا الحامية الصغيرة التي خرجت منه مستسلمة، فهي ضمت نحو ٢٥٠ رجلا ومعهم كلب صغير، حتى ان الالمان عاملوهم باحترام غير عادي. وتقدم ولي العهد الالماني الذي كان يقود الجيش الخامس، وصافح رينال ومنحه سيفاً أخذه الفرنسي معه الى معسكر أسرى الحرب.

في ڤردان قصص كثيرة كهذه، عن التضحية والبسالة والمعاناة. ويؤم المنطقة ربع مليون زائر كل عام، يعبرون "الطريق المقدسة" حيث تنتثر نماذج من خوذات الحرب العالمية الاولى، ويزورون حصن ڤردان، وفيه سبعة كيلومترات من الدهاليز والحجرات حفرت في الصخر في القرن السابع عشر. هنا عملت قيادة فرنسية خلال المعركة. وهنا يقدَّم عرض حي بالصوت والصورة: نماذج بالحجم الحقيقي للمخابز العملاقة التي أمّنت الخبز للجيش، ومقسّم الهاتف، وغرفة طعام حيث كان الضباط، ببزاتهم الانيقة، يأكلون ويشربون جالسين الى موائد مغطاة بشراشف نظيفة مكوية، قبل أن يخرجوا الى رعب المعركة.

ثم ينتقل الزوار في سيارات لرؤية حصني دوامون وڤو، وامتدادات من النصب والمقابر، ومتحف فلوري المليء بصور لا تنسى عن أرض مدمرة ورجال هالكين. ويذهبون كلهم الى أوسوير، وهو مبنى طويل منخفض له برج في شكل قذيفة مدفع. في المبنى ٤٦ نافذة تطلّ كل

واحدة على مُختلى في حديقة، ولا يلبثون أن يُصدموا عندما يعلن الدليل أن كل مختلى يحوي نصف متر مكعب من العظام البشرية التي لم يعرف أصحابها.

لم ينقطع سيل الوفود الى ڤردان منذ نهاية الحرب العالمية الاولى، لكن نوعيتهم تبدلت كثيراً. ظلوا لسنوات يأتون في تظاهرات وطنية "انعزالية"، اذ لم يكن الالمان والفرنسيون يحلمون بأن يزوروا موتاهم في وقت واحد أو في مقبرة واحدة. أما الآن فيسير أحفاد الاعداء القدامى، وأحفاد أولادهم، جنباً الى جنب، تهزهم المأساة التي فرضت على أجدادهم.

التقيت في ڤردان آخر الاحياء في الفرع المحلي للمنظمة الوطنية الفرنسية "رجال ڤردان."[٤] كان رينه فنسان في السادسة والتسعين من العمر ولا يزال منتصب القامة حاد النظر. كان رقيباً عندما خدم هناك مع وحدة انسحبت بعدما خسرت ثلثي عناصرها الفاعلين في ثمانية أيام، ثم مع وحدة أخرى خسرت ثلثها في عشرين يوماً.

لا تزال ذاكرته حية، يسكنها رعب لا يرحم. وهو يذكر كيف كان ينام واقفاً مستنداً الى رفيق، لانه لو استلقى لتمكّن منه الغاز السام الزاحف غادراً على مستوى الارض. ويذكر القمل، فتتحرك يده لحك رقبته. القمل أحبَّ رباط العنق الذي استخدمه الجنود الفرنسيون في تلك الحرب. لكن ما يذكره فنسان بوضوح أكبر هو قطعان الجرذان المسمَّنة. ولا يزال يذكر مئات من العيون تشع صفراء في الظلام فيما هو يحاول اقتناص لحظات من النوم.

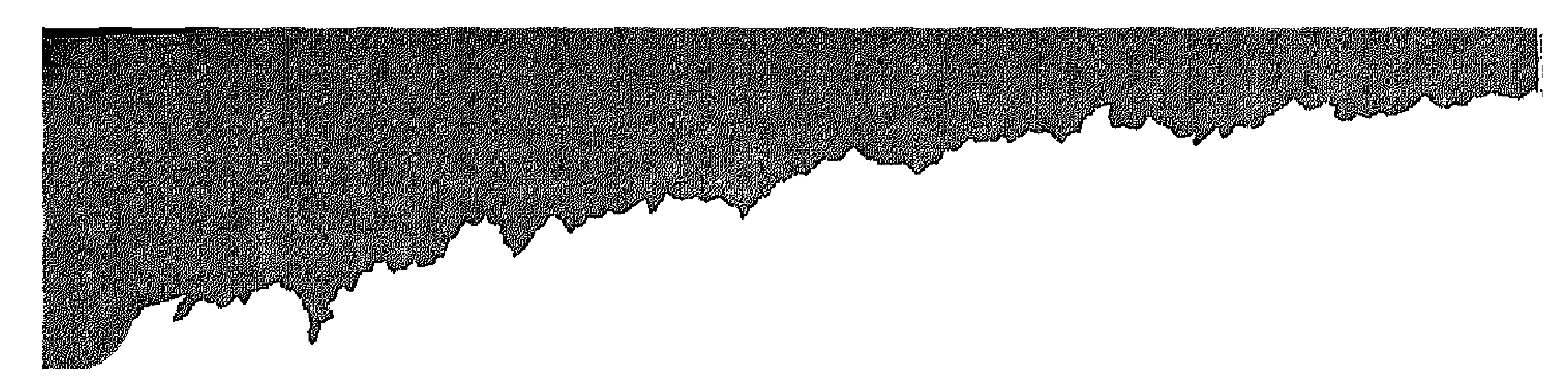
لقد تغيّر العالم، وتغيرت معه ڤردان. عندما كان الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران والمستشار الالماني هيلموت كول يبحثان عن موقع مناسب للمصافحة الرمزية التي تقرّ اتفاقهما على تعاون طويل الامد، اختارا أوسوير.

أخبرني دومينيك بيريدون رئيس المكتب السياحي في ڤردان: "كنا رمزاً للكفاح، أما الآن فنحن نترقب افتتاح "المركز الدولي للسلام والحرية وحقوق الانسان" في العام ١٩٩٢، الذي سيعزز سمعة ڤردان كمكان للمصالحة والسلام."

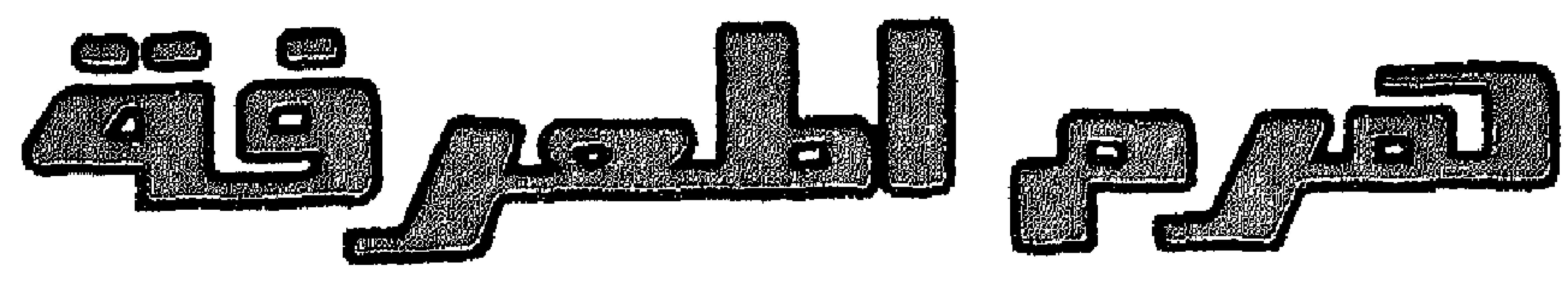
وروى لي رينه فنسان قصة ويلي نوثديرست الذي يعيش في بون والذي أمضى أشهر مارس (آذار) وابريل (نيسان) ومايو (أيار) من العام ١٩١٦ في جحيم ڤردان الذي لا يرحم. وأقام نصباً في العام ١٩٨٤ على هذه الارض الكئيبة، كرّسه للصداقة الفرنسية – الالمانية، وهو يأتي لزيارته كل ثلاثة أشهر أو نحوها، فيسير اليه بصمت مع صديقه رينه ويضعان أزهاراً على قاعدته. انهما رقيبان يشارفان عيدهما المئوي، تجمعهما ذكريات أيام حين كان الواحد منهما ليقتل الآخر لو رآه.

روبرت فرنيك ■

(٤) Ceux de Verdun



لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات



لعبة عربية تثقيفية مشوقة

▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

رياضة
تاريخ
فنون
جغرافيا
ادب
علوم

خاص

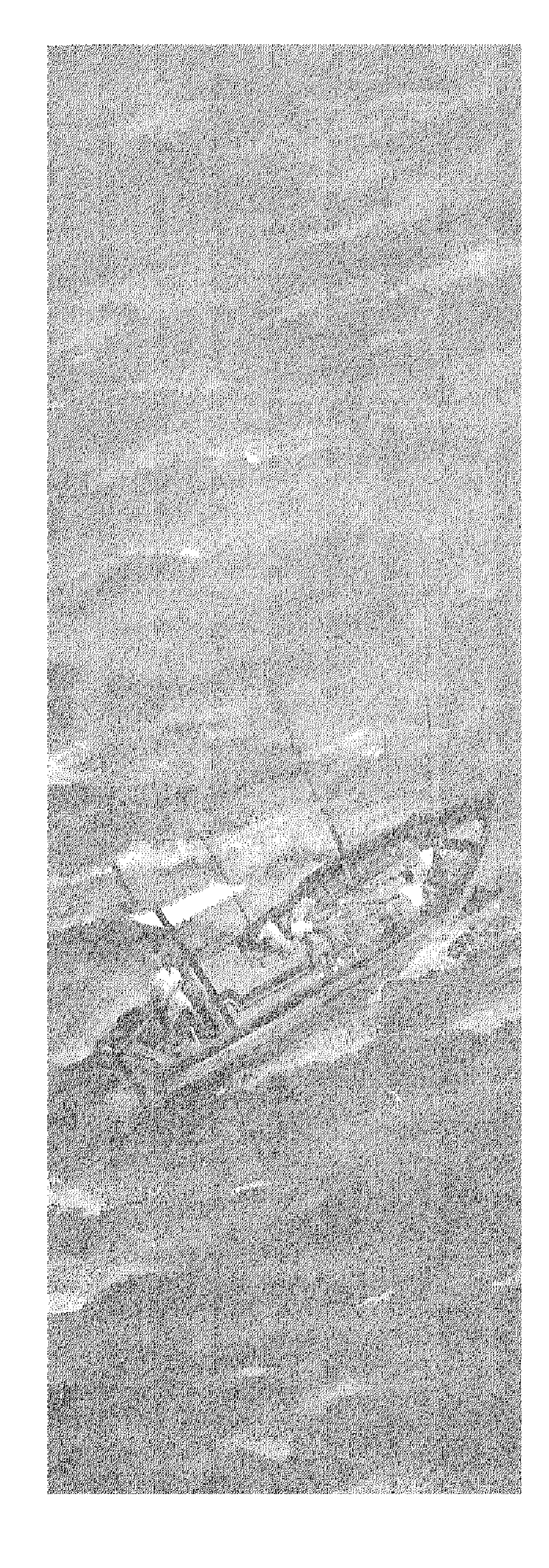
تائهون في المحيط الهندي

بقلم كورتني تاور

تائهون في المحيط الهندي

**نفد الوقود
في قارب الصيادين
أول الأمر،
ثم الطعام فالماء.
ابتهلوا الى الله يائسين،
فهو وحده القادر
على انقاذهم من موت محتم.**

ILLUSTRATIONS: JIM DENEAU



راح جيرار فاس ينتفض ويتأوه ثم يرتمي على جانبي الـ"سانتا جود"، وهو زورق صيد سري لانكي طوله نحو عشرة امتار، ظل يترجح وحيداً بين امواج المحيط الهندي. وكانت صور من الدم والعنف تضطرب في ذهنه وهو نائم على متن الزورق تحت شمس الظهيرة المحرقة. وقد تمكن، مترنحاً، من الوقوف بقامته النحيلة الفارعة، ثم استعان بيسراه التي تشقق جلدها ليثبُت في وقفته، مستندا الى حجرة المحرك. بانت عيناه الهائجتان تتقدان كجمرتين سوداوين محمرتين، عميقاً داخل إطار من الشعر الاسود اللبد ولحية شعثاء. أخذ يلوح بيمناه بعنف ممسكا سكيناً يستخدم لاخراج احشاء السمك.

صرخ فاس: "يا رفاق! باتت حياتنا عقيمة. فلا طعام لدينا. وليس في الافق أثر ليابسة. أنتم الاربعة لديكم اولاد، أما أنا فلا أولاد لي. سأقتل نفسي وأفتديكم. ليبارككم الله!"

ولما كان فاس (٢٩ عاما)، صاحب السانتا جود، رجلا زئبقيا، نظراً الى طبعه الحاد، لم يتردد الربان انطوني فونسيكا ومعه انطوني فرناندو في الانقضاض عليه والامساك بيده، وصاحا به: "ايها المالك، لا تأتِ عملا مجنوناً!" وأيدهما في ذلك الشبحان الآخران المتسربلان في جلد متقرح سودته الشمس. فطمأنه الجميع: "أنظر، السماء تكفهر وستمطر. استرح ونحن نجمع الماء."

كانت المياه هي كل ما حولهم. مياه تمتد الى ما لانهاية داخل الافق الخالي. واذا ما كانت تثور احياناً، فهي بدت في ذلك اليوم، كما الحال غالباً، صحراء من المياه، منبسطة، حارة، موحشة، ولا أثر من حياة يلوح للصيادين الخمسة المحمومين الهائمين في البحر في ١٤ فبراير (شباط) عام ١٩٨٨ لليوم الثاني والثمانين.

لم يكن تبقى لديهم من ماء الشرب سوى نزر يسير. وكانوا احيانا يُحرمونه تماماً مدة تكفي لدفعهم الى حافة الجنون أو شفا الموت.

تراجع فاس، مطوحاً بذراعيه لاطما صدره، اذ كان لا يزال تحت تأثير حلمه المحموم. ثم دب الى تحت المتن الضيق للزورق، وتمدد في الفسحة القذرة الواطئة خلف المحرك الصامت. أمطرت السماء فعلا، سيولا منعشة، فسدَّ الصيادون الاربعة مصارف الزورق وجمعوا ماء عذباً فنجوا من معاناة العطش مرة أخرى. ودب فاس خارجاً من خلوته وقد خمدت ثورته. وجثا الخمسة يصلون سائلين الخالق ان يريهم "علامة، شيئاً ما - أي شيء - يبشرنا باننا سننجو."

منذ اكثر من عشرين سنة وانطوني فونسيكا، الربان القدير الهادىء، يمتهن صيد السمك قبالة ساحل سري لانكا الجنوبي. الثالثة فجر الاربعاء ٢٥ نوفمبر

(تشرين الثاني) ١٩٨٧، ترك فونسيكا منزله القرميدي الصغير في بنداروانه وهي قرية تقع قرب بروويلا، بهدوء لئلا يوقظ زوجته فيلومنا واطفاله الثلاثة، وتوجه الرجل النحيل الذي يتمتع بثقة مطمئنة وصوت هادىء، ناحية الشاطىء حيث صعد الى السانتا جود، الزورق المصنوع من مادة الفايبرغلاس[1]، ليجهزه لرحلة صيد تستغرق ثلاثة أو اربعة ايام. كان عليه ان يعود وافراد طاقمه الثلاثة بصيد من سمك القرش الذي يقدم في مطاعم العاصمة كولومبو، وسمك البالايا الرائج لدى العامة، الى أنواع الورنك والتونا اللحيم والكوبارا السمين التي تتميز بها الفنادق السياحية المنتشرة على امتداد الساحل ذي الشاطىء الرملي. وكان يؤمل ان يعود السانتا جود من رحلته بحمولة كاملة قيمتها نحو ٢٨٠٠ دولار يخصص نصفها لصاحب الزورق جيرار فاس، بعد حسم ثمن الطعام والوقود ومصاريف اخرى، وتوزع البقية بالتساوي على أفراد الطاقم.

بدا الربان الشاب البالغ السادسة والثلاثين منشغل البال، اذ ادرك، وهو يستعيد في ذهنه لائحة حاجات الرحلة، ان الزورق ليس مزوداً سوى ٣٠٠ ليتر من الوقود. كان يجدر بفاس ان يرفع هذه الكمية الى الضعفين، تحوطاً. الى ذلك، كانت تعوزهم الاشرعة، وهي تدبير احتياطي أولي يمكن الركون اليه اذا ما توقف المحرك الذي تبلغ قوته ثلاثة وثلاثين حصاناً. ثم ان السانتا جود لم يكن مزوداً أجهزة اتصال لاسلكي، اذ كانت الحكومة حظرت استخدام مثل هذه الاجهزة في محاولة للحؤول دون تسلل المهربين والارهابيين الى سري لانكا من البحر في مراكب صغيرة. في اي حال، كانت كمية الطعام تكفيهم عشرة ايام على الاقل، كذلك علب من عيدان الثقاب لايقاد نار الطهو، فضلا عن ٢٠ كيساً من الثلج حفظت في عنبر السمك، تصلح لخمسة ايام. وفي مؤخر الزورق احتفظ بنحو مئة ليتر من مياه الشرب في براميل بلاستيك ربطت الى خزان الوقود.

تفحص فونسيكا صنانير الصيد الـ١٥ بخيوطها الطويلة والخاصة بصيد التونا والبالايا. وبدت شباك متينة تطول عشرات الامتار ملفوفة امام حجرتين ترتفعان نحو نصف متر فوق المتن الذي يبلغ عرضه نحو مترين ونصف متر. وتحتل الحجرة التي فوق المحرك ويبلغ عرضها متراً ونصف متر وطولها نحو مترين، والحجرة الاخرى المماثلة حجما فوق عنبر السمك، معظم مساحة المتن، باستثناء مواضع الشباك والعدة وجهاز القيادة. وافردت تحت المتن، خلف المحرك ذي الهدير الضاج والى جانبيه، فسحات رطبة ضيقة يملأ الشحم انحاءها ويعبق فيها الدخان، لينام فيها اربعة أشخاص. وأخليت لفونسيكا فسحة مماثلة في مقدم الزورق.

وما هي الا دقائق حتى صعد انطوني روهيتا (روي) فرناندو (٢٣ عاما) الى الزورق.

(١) Fiberglass

وروي هذا شاب نشط قليل الصبر أحياناً، لكنه بحار مجتهد ومساعد خبير. وكان يسعى الى جمع المال ليبني منزلا في فترة قصيرة لزوجته الحامل دفيكا وابنهما تشامارا البالغ عامين من العمر.

بادره انطوني فرناندو (٢٥ عاما) الذي لا يمت اليه بقربى: "كيف حالك؟" وانطوني شاب هادىء مقل في الكلام لا يُظهر تأثره بسرعة. غير ان داخله يضطرم بكل انواع المشاعر، وقل بالغضب اذا شئت. وهو يعيش وزوجته اسونتا سريماثي وابنتهما دينوشا (عامين) وابنهما نيلانكا (عام واحد) مع اهل زوجته في قطعة أرض ريفية تبعد ثمانية كيلومترات عن بنداروانه. كان همه ان يسدد مبلغ ٧٠ دولاراً استدانها من شقيق زوجته ليقيم حفلة لابنه في عيد مولده الاول. ولأنه كان مستاء من تصرفات فاس التي لا تطاق احياناً، قرر في نفسه العمل في زورق آخر، مع مطلع السنة التالية.

انتاب القلق أنيل سويسا، الشاب العصبي، وهو ينضم الى الطاقم اذ سقط أمامه غصن شجرة من جوز الهند اثناء توجهه من كوخه الهزيل المصنوع من الواح خشب. وقال في نفسه: هذا نذير شؤم. لقد سبق ان حدث هذا لي وكدنا نغرق. شعر سويسا بالخجل امام فاس، وهو الذي يعتبره صياداً مغروراً تعوزه الخبرة، وبخيلا لا يأبه لمصلحة الآخرين. لكن الشاب كان في حاجة الى المال ليسدد مبلغا استدانه من مراب ليحج الى مزار كاتاراغاما، ويحمل اليه هدايا من الزهور والرز وجوز الهند المقشور والمال وافيا بذلك نذراً من اجل صحة اطفاله الثلاثة وزوجته بريانثي. أخيراً وصل جيرار فاس منهكا بعد حفلة شارك فيها الليلة السابقة. وهو لم يكترث لتوسلات زوجته الشابة كاميني كانثي (١٧ عاما) ألّا يذهب. وكان منجِّم في قرية الوثغاما القريبة ابلغ اليها أن الساعة التاسعة والدقيقة الثانية من صباح التاسع من ديسمبر (كانون الاول) ستكون بشير خير لانتقالهما من منزل والديها الى منزل كبير اعطاهما اياه والد جيرار. وعليهما قبل هذا التاريخ ان يكشطا الجدران ويسوياها ثم يطلياها كما ان عليهما اجراء بعض الترميمات العامة في المنزل.

لم يكن لدى فاس سبب حقيقي ليشترك في هذه الرحلة. ويبدو أنه فعل ذلك بدافع الضجر والرغبة في مغامرة صغيرة. وكان اشترى الزورق من مدخرات جمعها اثناء عمله نادلا في ناد للموظفين الاوروبيين في العراق، علما انه لا يتقن عمل الصيادين مثل وضع الطعم في الصنارة وسحب الشباك والتنظيف. وقد حاول في رحلة صيد سابقة المطالبة بخمس حصة الطاقم من ارباح الصيد الى حصة النصف التي تحق له كمالك للزورق، لمجرد مشاركته في الرحلة، لكن الرجال هددوه بالاستقالة. وقال له فونسيكا: "لا ندري لماذا أتيت. أنت لا تعمل وليس من العدل أن تأخذ مالنا." وتراجع فاس عن مطلبه، لكنه ظل يكتم في نفسه ضغينة.

الساعة الرابعة فجراً، أبحر السانتا جود وزورق آخر من زوارق برووِيلا الثلاثمئة يدعى "النسر"، متخطيين معا حائل الامواج وتوجها جنوبا غرباً نحو المحيط الهندي بسرعة ثلاثة اميال[٢] في الساعة. وتسافر زوارق برووِيلا عادة في مجموعات غير محددة العدد لتبادل الحماية في حال توقف محرك احدها عن العمل. وكان السانتا جود والنسر يعتزمان الصيد معاً ثم العودة في غضون ثلاثة أو اربعة ايام.

بعد سبع ساعات كان سويسا وآل فرناندو اصطادا نحو ستين سمكة بالايا تزن الواحدة اربعة الى خمسة كيلوغرامات. انها بداية لا بأس بها، كانت كافية لاحتفاظ افراد الطاقم بشعور يكتنفهم منذ سنة بأن السانتا جود كما يقول فاس: "زورق محظوظ يعود دائماً بصيد ما." وظلوا يبحرون الشباك حتى الغروب حين توقفوا عن رميها في مياه البحر العميقة.

وتحول الربان فونسيكا طاهيا اخذ يحضر الرز المسلوق والخضر المنكهة بالكري على موقد ذي رأس واحد يعمل بالغاز. في هذه الاثناء تولى سويسا وآل فرناندو لف الشباك وتقطيع سمك البالايا ووضع الطعوم في صنانير الاسلاك الطويلة ثم بسطها. واذ اقتعد البحارة الخمسة ارض الزورق لاحظ فونسيكا أن: "الريح ليست قوية اليوم، لكن التيار يبدو قوياً بعض الشيء."

قرابة الساعة الثالثة من فجر الخميس، خرج الرجال من مضاجعهم وسحبوا الشباك. ولسوء حظهم لم يجدوا سوى عدد قليل متناثر من الاسماك عالق فيها. قال فونسيكا: "ثمة قطيع من الدلافين يتجه جنوباً. سنلحق به لأن سمك التونا يتقفى أثر الدلافين عادة."

ارتاح السانتا جود والنسر تلك الليلة، تفصل بينهما مسافة نحو ٤٥٠ متراً ليوفر واحدهما الحماية للآخر، وارخيا شباكهما. لكن صباح الجمعة طلع من غير ان يظهر اي اثر للنور الاحمر الذي ينبعث عادة من مستودع الفحم الحجري في النسر. قال فونسيكا: "كان التيار قوياً ليلة أمس. سنسحب الشباك ونبحث عنهم. لقد توغلنا اكثر من المعتاد والافضل ان نكون قرب اصدقائنا." وأقصى ما امكنه معرفته، ودليله المامه باحوال الطقس وبوصلة وغريزة مدربة، انهم تخطوا كثيراً الخمسين أو الستين ميلا التي تفصلهم عن شواطىء بلادهم. وبدا فونسيكا قلقاً حيال تضاؤل كمية الوقود.

سحب سويسا وروي وانطوني فرناندو الشباك، فتساقطت اسماك التونا الفضية والبالايا من ثنياتها. كان صيداً جيداً، ولكن دون المستوى الذي يريدون. قال فاس الذي يريد صيداً أوفر يكفيه ليدفع تكاليف الاصلاحات في بيته: "سنواصل الصيد."

(٢) الميل البحري الدولي يساوي ١٨٥٢ متراً.

ومع ان أياً منهم لم يعتد البقاء في البحر اكثر من ثلاثة ايام، لم يعترض فونسيكا على طلب المالك وامتثل الاخرون، على عادتهم، لرأيه. وطمأن سويسا نفسه: وثقنا دائماً بانطوني فونسيكا، وانا اثق به الآن.

تابع السانتا جود صيده وبحثه عن النسر مدى ثلاث ساعات قال بعدها فونسيكا: "أنني متأسف، ولكن لا نستطيع مواصلة البحث. علينا ان نعود في اتجاه الشاطىء."

وظل ركاب السانتا جود يبحرون طوال فترة بعد الظهر في اتجاه ما اعتقدوا انه اليابسة. وتحول لغو الصيادين قلقاً صامتاً. لم يكن في الافق اي زورق أو طائر أو اي مظهر للحياة. تفحص فونسيكا خزان الوقود والرجال يراقبونه من غير ان ينبسوا بشفة. ولاحظ بتجهم أنه "لم يبق سوى ٢٥ ليتراً تقريباً." واوقف المحرك. أخذ افراد الطاقم يتبادلون النظرات القلقة بحدة وهم يؤدون عملهم المسائي المعتاد من طرح الشباك ووضع الطعوم في الصنانير وبسط الاسلاك الى ما هنالك. أما فاس وقد بدا انه لم يشعر بالخطر المحدق، فانتحى جانباً وانهمك في تناول عشائه بنهم.

بدأت الامواج العاتية تلطم السانتا جود، فسارع الرجال الى سحب الشباك. وانجرف المركب على نحو متسارع مبتعداً أكثر فأكثر عن اليابسة. قال روي فرناندو: "البحر هائج. سأشغل المحرك من جديد لمقاومة التيار، وإلا جرفنا الى حيث لن نتمكن من العودة ابداً." ووافقه فاس الرأي وقد أصبح أقل ابتهاجاً. وراح الزورق الصغير يواجه ما تحول أخيراً أقوى تيار عرفه الرجال الخمسة. وطفقوا يجلسون ويقفون على متنه والقلق ينتابهم وفونسيكا يوجه الدفة. وواصلت الريح عصفها والتيار اندفاعه، والزورق يصارع. وفي ساعة متقدمة من الليل خيم الهدوء فجأة – لقد توقف المحرك. صرخ فونسيكا: "إنها النهاية. نفد الوقود."

فجر يوم السبت هرع الرجال اليائسون الى المستودع في مؤخر الزورق، حيث المصباح الليلي. التقطوا خرقاً وغمسوها في وقود المصباح ثم عصروها داخل زجاجة. وسكب فونسيكا السائل الثمين في خزان المحرك وهو مدرك ان هذه محاولة عبثية. بالطبع شغلت هذه الكمية الضئيلة المحرك مجدداً ولكن لدقائق معدودة. قال فونسيكا لرفاقه: "لقد توقف المحرك. نفد الوقود. كان الله في عوننا."

وقف فاس على متن الزورق، رافعاً ذراعيه، متضرعاً الى العلي بصوت عال. وحاول فونسيكا طمأنته: "لا تخف. لا بد أن نصادف زورقاً آخر أو سفينة." أما سائر افراد الطاقم الخائفين فصبوا جام غضبهم على صاحب الزورق بسيل من الاتهامات. قال أحدهم: "إنها غلطتك. كان عليك ان تجهز الزورق بكمية كافية من الوقود." ولاحظ آخر: "أنت دائماً تبخل بالوقود. انظر الى حالتنا الآن – ليس لدينا حتى شراع! هذه نتيجة

تقتيرك." وبالكاد سمعهم فاس، اذ كان غارقاً في نواح صاخب.

فجأة، كف الجميع عن ارهاصاتهم، وقد اعتراهم الخجل. وبدأوا يتضرعون الى الله.

اخيراً بادر الربان قائلاً: "حسناً، دعنا نأخذ هذه الاغطية البلاستيكية ونصنع شراعاً. سنحاول ابقاء الزورق في اتجاه اليابسة." وخاطوا شراعاً غير متقن ورفعوه على الصاري، حيث شرع يخفق محدثاً ضجيجاً. وبدا ان لا جدوى منه اذ أخذ ينتسل ويتمزق مع كل هبة ريح. ومع هذا رأى فونسيكا: "اننا نحاول ان نفعل شيئاً على الأقل."

اليوم السابع. يوم الثلثاء، قلّت كمية الطعام ونفدت الخضر الطازجة وذاب الثلج في عنبر السمك فألقي ما كان فيه من سمك مهترىء في البحر. وبقي لديهم من الرز والعدس والبسكويت ما يكفيهم اياماً أخرى. وحض فونسيكا كل فرد على احتساء نصف كوب فقط من الماء، علماً أنه كان بدأ خفض حصص الطعام منذ السبت.

فجأة ظهرت في الافق سفينة. وصرخ فاس وهو مفعم بالحماسة: "لقد نجونا."

لاحظ فونسيكا ان "الشمس وراءها تماماً، وهذا يعني انها آتية من اليابسة. وقد لا تكون اليابسة بعيدة كثيراً." وتبين للآخرين "انها سفينة شحن. وستكون مزودة كمية كبيرة من الوقود."

بدأ الرجال يلوحون بعصبية مستخدمين ملابس عقد بعضها ببعض. واذ صارت السفينة الصغيرة على مقربة منهم توقفت. فرفع السري لانكيون اوعية الوقود البلاستيكية الفارغة للدلالة على ان الوقود نفد منهم. وادار فونسيكا المحرك بما كان تبقى فيه من الوقود الذي سحب من المصباح واتجه بالزورق الى ان صار بجانب السفينة. والقي اليهم حبل لربط زورقهم.

لم يكن احد على السفينة، المجهولة هوية واسماً، يتكلم السري لانكية. فحاول فاس ان يشرح لهم الامر بالانكليزية، قال: "لا وقود لدينا. أين نحن؟ وكيف نصل الى كولومبو؟" وبعدما علم مَنْ في السفينة أن السانتا جود يقطع أربعة أميال في الساعة، أجاب أحدهم عبر مكبر للصوت: "انتم على مسافة ٢٤ ساعة من كولومبو." فابتهج الصيادون، اذ كانوا على مسافة يوم واحد من وطنهم.

ودلّيت اليهم بحبل آخر خريطة مرسومة باليد، تظهر ساحل سري لانكا، من كولومبو في الغرب الى غال في الجنوب ورأس دوندرا في اقصى الجنوب. كانت كولومبو تقع، من حيث هم، على خط مستقيم ذي ٣٤٠ درجة. رفع السانتا جود الى متن السفينة ستة اوعية بلاستيكية فارغة أعيد ثلاثة منها ملأى فقط، اثنان وقوداً والثالث ماء

للشرب، فضلا عن تسع رزم من عصائب الرز. وبرر الصوت عبر المكبر الامر بحزم: ان ركاب السفينة على عجلة. وابحرت هذه قبل ان تتاح للصيادين فرصة للاحتجاج.

تساءل فونسيكا بغضب وهو يشغّل المحرك: "٤٥ ليترا؟ لأربعة وعشرين ساعة؟" وابحروا في الاتجاه الذي حدد لهم، بسرعة قصوى، مدة سبع او ثماني ساعات. اخيراً نفد الوقود وانجرفوا مع التيار مجدداً. وبينما هم في حال من الاحباط والخيبة، شاهدوا زورق صيد محملا بالسمك يمر بقربهم من غير ان يلتفت من فيه اليهم. وحلقت طائرتان فوقهم، مما أحيا فيهم الامل ثانية، لكن الخلاص لم يأت. قال فونسيكا: "لا تخافوا. سيجدنا أحد ما. لسنا مجرمين ولم نخطىء لنعاقب."

انقضت الايام التالية حارة حارقة، معرقة وقذرة، وأسوأ من ذلك كله، مضجرة على نحو فاق الوصف. أعد الرجال، من اكياس الثلج المصنوعة من القنب الاصطناعي، وقاء استظلوا به من الشمس. وكانوا لدى اشتداد الحر ينزلقون من الزورق الصغير في مياه البحر الدافئة. وقد اضطروا الى صيد السمك بالصنانير، لان وهنهم كان يمنعهم من طرح الشباك. وعندما تمطر، كانوا يجمعون مياه الشرب.

أخيراً، تمزق الشراع الذي صنعوه، فخاطوا ملابسهم بعضها الى بعض، شراعاً آخر. وانجرفوا مع الريح والتيار داخل الافق. ولبثوا يتحدثون عن ديارهم وعائلاتهم بلا انقطاع. أبقاهم فونسيكا على نظام التقنين الصارم - قليل من الرز مع سمكة طازجة وقطعة بسكويت - الى ان حل الاثنين، السابع من ديسمبر (كانون الاول)، يوم نفدت المؤن.

قال فونسيكا: "لم يبقَ لدينا سوى السمك الذي نصطاده، لكننا لا نزال نستطيع على الاقل طهوه." وكان يستعين لذلك بمياه البحر ويضيف بعض الكري المتبقي ومسحوق الفلفل الحار ليصبح سائغاً. ولما كادت مياه الشرب تنفد حرصوا على ان يشربوها باقتصاد في اكواب نصف ملأى. لكن فاس اتهم بشربها سراً من ابريق الشاي. وادعى الآخرون - وفاس ينكر بشدة - انه كان ينهض ليلا ليشرب الماء وحده.

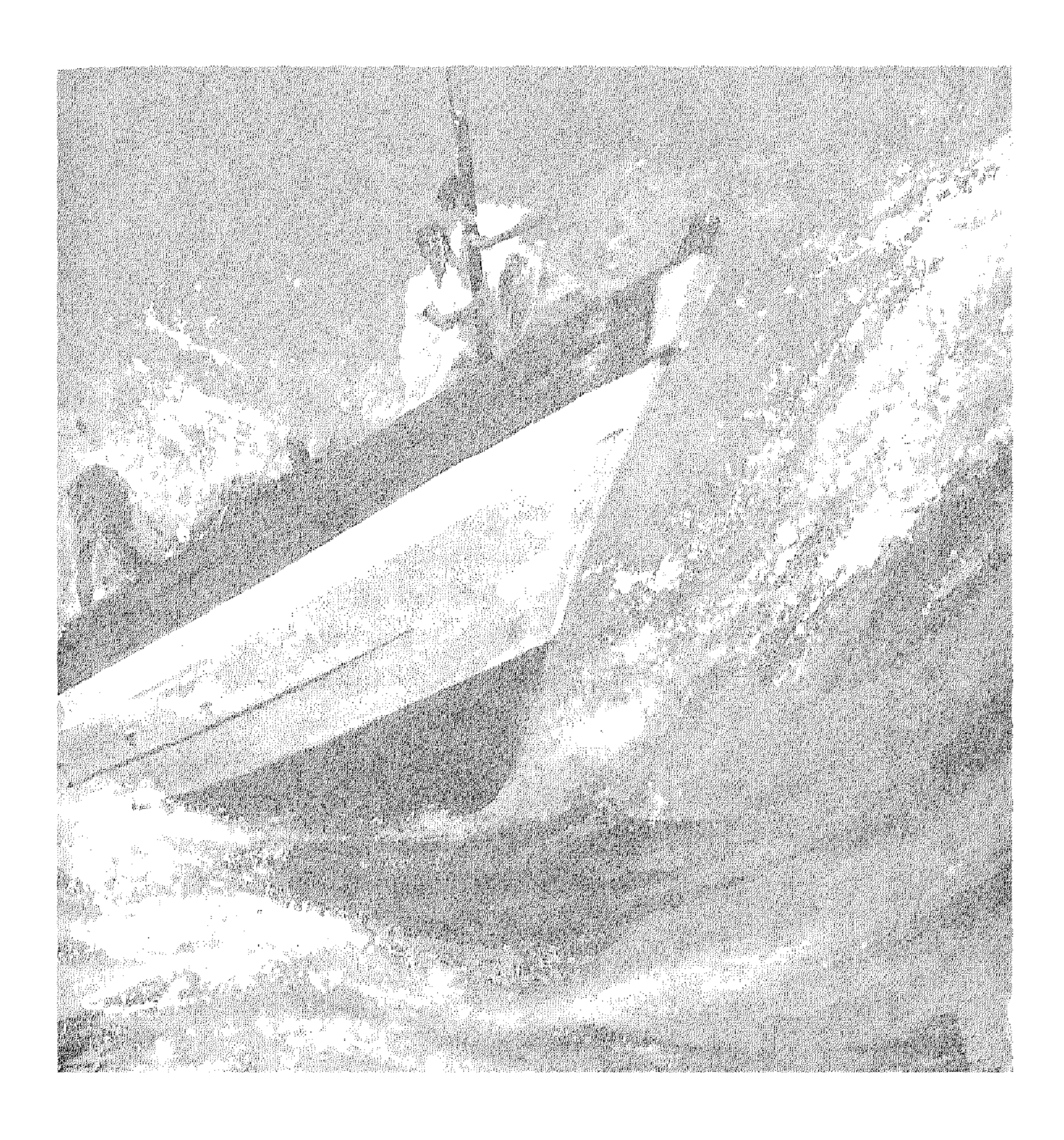
اليوم الرابع عشر. خفّت الانتقادات التي وجهت الى فاس لأنه مالك الزورق. ولكن في اليوم التالي عندما لم يبق على متن الزورق سوى ثمانية ليترات فقط، لم يتورع فاس عن عب الماء علناً. فنبهه فونسيكا بحدة: "استخدم كوبا صغيراً كما نفعل نحن! اذا تماديت على هذا النحو، سينفد الماء قريبا جداً."

صرخ فاس: "هذا ليس شأنك!"

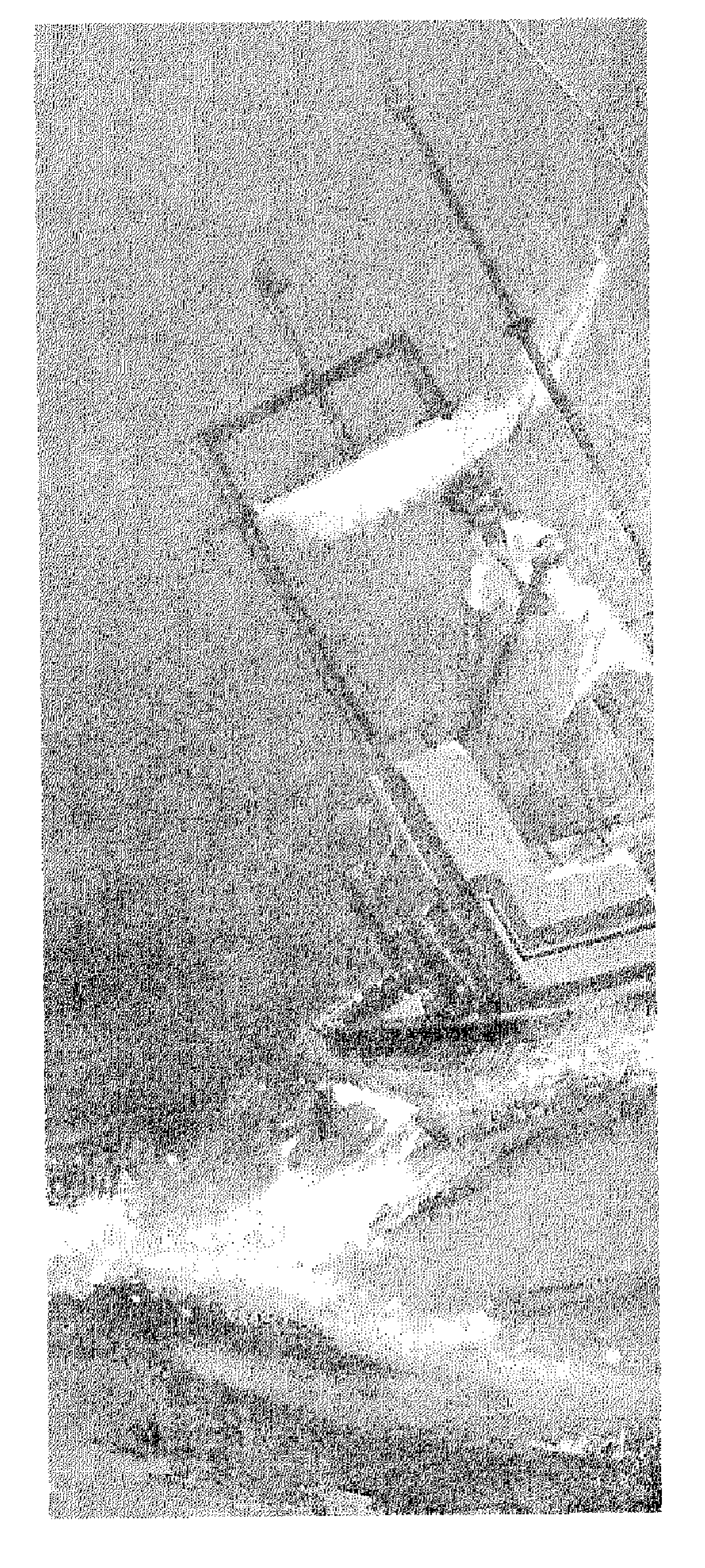
فأجابه فونسيكا صارخاً بدوره: "بل انه شأننا جميعاً!" أمسك فاس فونسيكا بياقة قميصه، فلكمه فونسيكا على وجهه. اذذاك هب روي وانطوني فرناندو للفصل بينهما.

احتج فاس: "انه زورقي. ويحق لي ان افعل ما يحلو لي!" وحمل برميل ماء الشرب بغضب ورماه في البحر ثم أتبعه بكيس يحوي ما لديهم من فتات السمك المجفف. وقد أمكن انتشال برميل الماء لكن مياه البحر تسربت الى داخله. وعادوا الى رشدهم فجأة وجلسوا واجمين.

قال انيل سويسا والشابان فرناندو: "ليس هذا وقتاً للعراك. صحيح انك المالك، يا فاس، لكن الوقت يوجب عليك ان تتبع أوامر الربان. علينا ان نكابد لنجد اليابسة ونصل



الى ديارنا وعائلاتنا." واتفق الجميع على التزام التقنين، ثم صلوا معاً كي تمطر.
انهمر المطر طوال اليوم التالي فجمعوا كفافهم لايام عدة.
المطر والعراك نقيا الاجواء على متن الزورق. وادرك الجميع ان خلاصهم يعتمد جزئياً على رفع بعضهم معنويات البعض. قال انطوني فرناندو: "لا يمكننا ان نستسلم للخوف. اذا ما اصيب احدنا بالاحباط، فذلك يؤثر علينا جميعاً، ونستسلم."
مذذاك، كان كلما بكى أحدهم نادباً حظه لانه لن يرى عائلته ثانية، ينبري له الجميع مؤاسين: "بالطبع سترى زوجتك واولادك. سننجو وسيجدنا احدهم."



لكن الايام كرت ونفدت مياه الشرب، وظل الرجال ثلاثة أو أربعة ايام محرومين نقطة ماء. وهم كانوا أقروا رأي فونسيكا: "اذا شربنا مياه البحر، ادمنّاها فنصاب بالاسهال الحاد... ثم نموت."
أجل، ولكن ما العمل والشمس التي لا ترحم جففت حلوقهم والحناجر حتى باتت اصواتهم مجرد همس أجش؟ كان انيل سويسا أول من خرق الاتفاق، فتناول بهدوء زجاجة، فصاح به الآخرون: "حذار، يا أنيل! أنت تعرف ماذا سيحدث! أصمد قليلا بعد!"
لم يجب سويسا، ثم غطّس يده والزجاجة من فوق حافة الزورق، ورفع الزجاجة الملأى الى فمه وأفرغها في جوفه في لحظة ارتياح يائس. وكرت السبحة. قال انطوني فرناندو: "أعطني الزجاجة، يا أنيل." ثم ملأها وعب محتواها بشره. احس بالغثيان، ولكن بالاكتفاء الآني ايضاً. ثم اخذت اعراض الاسهال تظهر عليه بعد وقت قصير. في هذه الاثناء بدأ روي فرناندو وفاس شرب المياه المالحة، كذلك فعل فونسيكا الذي

قال في نفسه: "إنها فكرة سيئة جداً. يجب ان امتنع عنها، لكنني عاجز."
أعد فونسيكا حساء السمك، لكنهم تناولوا منه القليل. ودفعهم الظمأ الملحاح الى زجاجتهم اربع مرات او خمساً ذلك اليوم. وعندما اشتدت حرارة الشمس في الايام الاربعة التالية، اخذوا يعبون من المياه المالحة بغير حساب. وصاروا أوهن من ان يعدوا يخنة السمك او يتناولوا وجبتهم هذه فكانوا يكتفون بقضم السمك المجفف الذي يعده فونسيكا.

اليوم الرابع والعشرون. في الثامن عشر من ديسمبر (كانون الاول)، تمدد الرجال الخمسة واهنين على متن الزورق الضيق، ووجوههم المتورمة صوب الشمس المتوهجة. واستغرقوا في نوم محموم حفل باحلام محمومة. ألفى روي فرناندو نفسه في فندق ايمبالا في بروويلا. وبعدما اشبع نهمه من طبق من عصائب الرز بالكري، أثنى على صاحب الفندق: "طعامكم هذا شهي."
ولم يعد انطوني فرناندو شبحاً مرتعشاً على متن الزورق، يصعب تمييزه برأس ولحية يغطيهما شعر قذر متلبد. كلا، يا سيدي! إنه يرتدي الآن افخر الثياب ويقدم بكل اعتزاز الرز والكري الى عائلته واصدقائه في وليمة الذكرى الاولى لميلاد ابنه.
أما الآخرون فهم في منازلهم، أو مع اصدقائهم في فندق "النجم الجديد" في الشارع الرئيسي لمدينة بروويلا، حيث الجرار الزجاجية في النوافذ مليئة بالحلوى والسكاكر. انهم في مقهى "سريباتي" يبتاعون الكعك المحلى الطري يأكلونه مع الموز الطازج وجرعات كبيرة لذيذة من الشاي. جيرار فاس نقلته مخيلته الى مقهى حيث قدم المشروبات الباردة الى اصدقائه.
واذ أفاقوا وقد قاربوا الجنون من جراء احلامهم الجميلة، أدرك كل واحد منهم انه لا بد مشرف على الموت. لكن التصميم على عدم الاستسلام للخوف، لم يفارقهم، فعادوا يضرعون من أجل أن تمطر.
وانهمر المطر صباح اليوم التالي على الاجساد الخمسة المنطرحة على متن الزورق. انتعشوا قليلاً، فدبوا والالم يعتصرهم وسدوا مصارف المياه، ثم غرفوا ما تجمع على أرض الزورق، وخزنوا منها في عنبر السمك الذي بات خالياً نظيفاً، كمية كفتهم أربعة أو خمسة ايام توقف في اثنائها الاسهال. وأمطرت ثانية وأخذوا يستعيدون عافيتهم ببطء.

مساء ٢٣ ديسمبر (كانون الاول)، اي قبل عيد الميلاد بيومين، امتحنت الرياح العاتية الصيادين النحيلين. فراح المطر يجلدهم والريح تولول والامواج تعلو الزورق الصغير اضعاف ارتفاعه، فتجتاح السانتا جود لتعود فتفيض منه بينما الرجال

الخمسة جاثمون متلاصقين تحت حجرة المحرك أو ممددون في الامكنة الضيقة وباتوا في مهب الريح، يرتطمون بالمحرك تارة وبجانبي الزورق طوراً أو بعضهم ببعض، فأصيبوا برضوض وكدمات سببت لهم آلاما مبرحة. وما ان كانت الريح تهدأ لحظة حتى يغامر فونسيكا أو انطوني فرناندو بالخروج لسحب الصنانير التي يكون علق بها سمك فيأكلونه نيئاً، ذلك لان احداً منهم لم يقو على اكثر من القضم. وسكنت اخيراً اسوأ عاصفة واجهوها في حياتهم. فخرجوا من أماكنهم متألمين واهنين وجائعين، ولكن احياء من جديد.

اليوم الحادي والثلاثون. صبيحة عيد الميلاد لم يكن لديهم ما يسد جوعهم. بكوا جميعاً وهم يفكرون في عائلاتهم وبما كانوا سيفعلونه لو كانوا في منازلهم. وتذكر فونسيكا: "كانت زوجتي فيلومنا تعتزم خياطة ملابس جديدة لاطفالنا الثلاثة، وشراء ثوب جديد لها وسروال جديد لي."

وصلى فاس بصوت مرتفع: "لو كنت في بيتي مع أسرتي، لكنت قدمت اوراق التنبول الى والدتي ووالدي وبجلتهما، ولاشتريت الدجاج من السوق، وتناولنا وجبة عائلية في جو من الحبور."

الحادية عشرة والنصف ظهراً، وكان عضهم الجوع، لمح أنيل سويسا وانطوني فرناندو سلحفاة. فبدأا ينقران بلطف على حافة الزورق لاجتذابها، ودنت تسبح بمحاذاتهما. قال انطوني لأنيل: "التقطها بهذه الصنارة الكبيرة." اجابه هذا بعد لحظة: "حسنا. التقطتها. انها ثقيلة. طولها نحو ستين سنتيمترا. ساعدني من الطرف الآخر." وتمكنا من سحب السلحفاة الى متن المركب. وكانت قارورة الغاز قد فرغت بعد تسعة ايام من مغادرتهم برووبلا، فصنعوا موقداً ذا محرق واحد من وعاء من الالمنيوم قلبوه رأساً على عقب وأحدثوا فيه ثقباً تمر عبره النار التي كانوا يغذونها بقطع من خشب الصناديق المكسرة. وضع فونسيكا وعاء آخر مملوءاً ماء على الموقد وراح بسلق قطع لحم السلحفاة.

يوم رأس السنة. لم يشعر احد بالبهجة، فهذا يوم للولائم والعائلة والاصدقاء. لكن انطوني فرناندو بدا مستاء بنوع خاص. انتحى بعيداً عن رفاقه وبكى. غير انه ما لبث ان شرح لهم الامر: "انها ذكرى مولدي، وليس لدينا طعام ولم يأت أحد الى نجدتنا."

فجأة، رأى الرجال البائسون سمكة واناً، وهي من النوع الذي يبلغ طوله ٦٠ سنتيمتراً، خضراء اللون تشوبها بقع صفر، فالتقطوها. وتحولت هذه السمكة بعد سلقها مأدبة عشاء في ذكرى مولد انطوني فرناندو. وتبادلوا في أحاديث مقتضبة ما

اعتادوا ان يفعلوه وعائلاتهم في يوم رأس السنة. ثم أدوا الصلاة سائلين الله ان ينقذهم لاعياد مقبلة.

بعيداً في وطنهم، أضاءت فيلومنا فونسيكا وبريانتي سويسا والزوجات الاخريات المصابيح في منازلهن وصلين. هزت المصيبة والد انطوني فرناندو، وهو في الخامسة والستين، فأمسى طريح الفراش وفارق الحياة حزناً في فبراير (شباط). أما والد فاس فرفض حلق ذقنه قبل ان يعود ابنه.

وأقام رجال الدين صلوات خاصة من اجل الرجال المفقودين. وتركت الزوجات خمس شجيرات جوز هند وخمسة مصغرات قوارب وخمس صور صغيرة تمثل الصيادين المفقودين في كنيسة كوداغاما واضأن ٣٥ شمعة في كنيسة راغاما. وفي المعبد البوذي في كالوتارا نذرن تقديم ما يعادل زنة الرجال الخمسة زيت جوز الهند، وهذا مكلف جداً بالنسبة الى صيادي السمك. وفي مسجد اسلامي نذرن ما يعادل وزن الرجال ملحاً.

وأخذت بريانتي النسوة الاخريات الى كانده بانسالا حيث ظل الرهبان ينشدون طوال سبع ليال متواصلة، ترتيلة شعرية خاصة تدعى "سث كافي" كرروا فيها اسماء



الرجال المفقودين وانهم لم يعودوا من البحر بعد. وبطلب من الرهبان، أحضرت بريانثي الى المعبد سبع زهرات مختلفة وخمسة اصناف من الحلوى وجوزة هند كبيرة وزجاجة من زيت جوز الهند وعدداً من عيدان البخور وارزاً وتنبولا. وكانت تضيء كل يوم مصابيح زيت فيما الكاهن يرتل.

صبيحة الخامس عشر من فبراير (شباط) عام ١٩٨٨،
خرج الرجال من الفسحة الضيقة تحت متن الزورق. ووقف روي فرناندو وفونسيكا وسط الزرقة اللامحدودة، البحر تحتهما والسماء فوقهما يفرك واحدهما ظهر الآخر مستخدمين مياه البحر وقطعاً خشنة من الشباك لازالة الملح والسخام المجبول بالعرق. وفعل انطوني فرناندو وأنيل سويسا الامر نفسه قبل ان يصطادا خمس سمكات صغيرات ويقطعانها لتكون قوامهم ليوم آخر.

في التاسعة صباحاً، تطلع روي فرناندو نحو الافق، وهتف فجأة: "انظروا! طائرتان!" وهما كانتا الاشارة الاولى الى وجود بشري يرونه منذ شهرين. "إنهما قادمتان من كاتوناياك (مطار سري لانكا الدولي وقاعدة جوية). إذاً جرفنا التيار الى قبالة كولومبو."

بعد ساعتين لمح روي مركبا في الماء. تجمع الرجال حول روي باجسادهم الهزيلة وشعورهم الطويلة وجلودهم المتقرحة وظهورهم المقوسة وانعموا النظر الى المكان الذي اشار اليه. ولاحظ أحدهم متهللا: "أعتقد انه مركب صيد من النوع الذي يصنعونه في نغومبو في حوض كوماري." بكى الرجال فرحاً بصوت خافت.

قال فونسيكا آمراً: "لنصعد الى سطح الحجرة حتى يتمكنوا من رؤيتنا." كان روي اول من ارتقى السطح. ناوله فونسيكا السراويل المعقودة بعضها ببعض وقطعة من القماش الاحمر. وصعد كل منهم بدوره الى سطح الحجرة مستعينا بكاحلين وركبتين تورمت وعصيت على الحركة، وانتصب يلوح ويلوح ويلوح. وتناوبوا مدى ساعة ونصف ساعة يومئون للحرية بأيد تورمت مفاصلها.

قال روي اخيراً بصوت اجش: "لقد رأونا. انهم آتون!" كان ذلك مركب صيد يتقدم نحو السانتا جود. دنا الى ان بات على مدى السمع منهم. لكن صيحات الصيادين على المركب الغريب لم تكن باللغة السري لانكية!

وتبين لهم، وقد صار المركب في محاذاتهم، انه ليس من نغومبو. وأبلغ الغرباء الى السري لانكيين بالاشارة، ان عليهم الانتظار، فعجبوا للأمر. وبعد اكثر من ساعة، وصل مركب صيد آخر. قال فونسيكا لفاس: "يشيرون اليك والي كي نصعد الى المركب الاول. هيا بنا."

مد صيادو المركب الاول ايديهم لفاس وفونسيكا ورفعوهما الى المتن، في حين رفع الرجال الثلاثة الاخرون الى المركب الثاني. ولم يتمكن الخمسة من فهم لغة الرجال الغرباء. ثم قدم اليهم أحد الصيادين علبة سجائره فقرأ فاس عليها عبارة "صنعت في اندونيسيا،" الامر الذي صعق له فاس فسقطت السجائر وعلبة الكبريت من يديه. وادرك الرجال على الفور ان مركبهم الصغير لم يكن على مقربة من سري لانكا، بل قبالة بادانغ في سومطرة، باندونيسيا. لقد جرف التيار السانتا جود مسافة ١٨٦٠ ميلا خلال ٨٣ يوماً!

قدمت القهوة القوية والحلوة الى الرجال، فاذا بها شهية لذيذة، لكن فنجانا واحداً لكل منهم ملأ معدهم المنقبضة فلم يستطيعوا احتساء المزيد. وفهموا من منقذيهم أنهم لا يستطيعون قطر السانتا جود الى الشاطىء. فبكى فاس وقبّل مقدم الزورق. وبكل مظاهر الاسى، دفعه لينجرف مع التيار من جديد، وقبع حزيناً يراقبه مدى ساعة ونصف ساعة حتى غاب عن ناظريه. وقال مخاطباً اياه: "اشتريتك بمال جنيته في بلد اجنبي، وها أنا أتخلى عنك لبلد اجنبي."

ظل مركبا الصيد ثمانية ايام اخرى يصطادان في البحر، الى ان ملأا عنابرهما ثم ابخرا الى مرفأ بادانغ. ولدى وصولهم الى الشاطىء بعد ٩١ يوماً، ركع الرجال السري لانكيون وقبلوا الارض.

احتجزت سلطات المرفأ الرجال في سجن محلي سبعة ايام. ثم انتقلوا في حافلة الى العاصمة الاندونيسية جاكارتا، ليعودوا في طائرة الى بلادهم.

في الاول من مارس (آذار) في بندارواته، كانت عائلة انطوني فرناندو وعدد من اصدقائه مجتمعين حول الغداء التقليدي في ذكرى مرور اسبوع على وفاة والده، فاذا بلوكاس فاس، والد جيرار، يطل من الباب المفتوح مبتسماً، حاملا شيئاً ما في يده. وبادر زوجة انطوني، اسونتا: "تسلمنا هذه الرسالة. انها من جيرار. جميعهم سالمون وفي صحة جيدة، في اندونيسيا!"

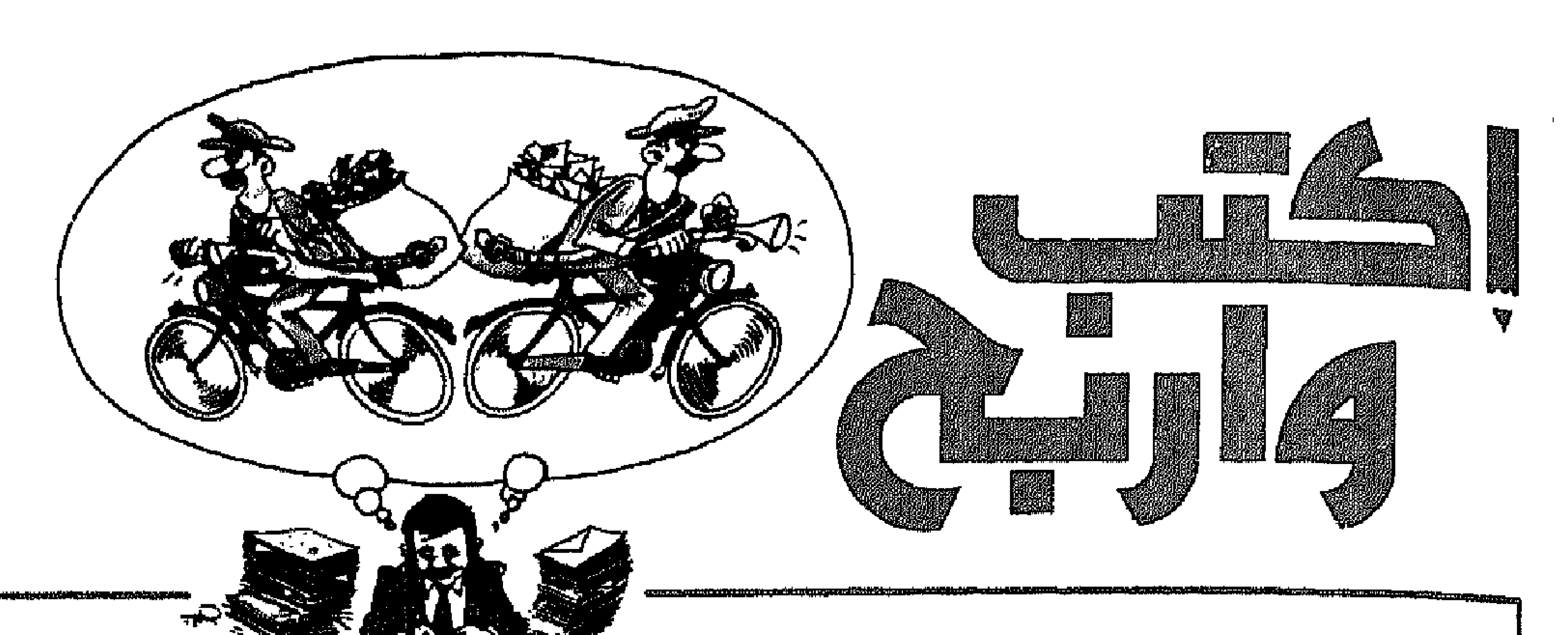
وفي الرابع من مارس (آذار) هبط الرجال الخمسة في مطار كاتونايان حيث استقبلهم ثلاثمئة صديق قروي مبتهجين. وتقدمت عائلات الرجال الجمع المحتشد. وعندما ترجل الخمسة بحياء ارتفعت الهتافات.

عاود افراد الطاقم عملهم في البحر مع اصحاب زوارق آخرين. أما فاس فيحاول حالياً شراء زورق جديد. لقد انقذهم ثباتهم وصلابتهم وايمانهم. لكن فيلومنا فونسيكا تقول، واثقة، بوجود سبب أبسط: "الله هو الذي انقذهم!"

كورتني تاور ■

ترجمة سام نجار

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.

شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

